المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية بالكتاب
التعريف بالكتاب
اسم الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة الملك
موضوع الكتاب: تفسير موضوعي تحليلي لمفاهيم سورة الملك، مع ربطها بسورة التحريم، واستخلاص الدروس النفسية والتربوية والعملية منها
طبيعة الكتاب: كتاب تفسيري تربوي نفسي، يجمع بين التأصيل العلمي والتطبيق العملي، بأسلوب يجمع بين العمق المعرفي والوضوح البياني
تأليف أحمد عبد الرزاق مربوش العامري
مراجعة وتدقيق الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى

محاور الكتاب ومحتواه

1. الربط الموضوعي بين سورتي الملك والتحريم: تتبع العلاقة بين خاتمة سورة التحريم) نماذج مريم وآسية (ومقدمة سورة الملك) القواعد الكونية(، وإظهار أنها تشكل وحدة موضوعية متكاملة.
2. مفهوم "تبارك": تحليل دلالات صيغة التفعل في "تبارك"، وما تثيره من محبة وتعظيم في قلب المؤمن.
3. مفهوم "بيده الملك": دراسة أثر استشعار أن الملك كله بيد الله في تحرير الإنسان من الخوف من المخلوقين، وتحقيق الاستخلاف الواعي في المجتمع.
4. مفهوم "على كل شيء قدير": ضمانة الأمن النفسي، وتفكيك الخوف من الفقر والفشل والموت.
5. مفهوم خلق الحياة والموت: إعادة تعريف الوجود، وغائية الخلق، والابتلاء، وإحسان العمل.
6. مفهوم خلق السماوات السبع طباقاً: الإتقان المبني، ونفي التفاوت والخلل في الخلق، ودلالاته العلمية والتربوية.
7. مفهوم تزيين السماء الدنيا بمصابيح: الجمال المقصود بالحكمة، وحراسة السماء من الشياطين.
8. مفهوم عذاب جهنم: حقيقة الجزاء وقبح العاقبة، ومشاهد دخول النار، والتوبيخ المتكرر للكافرين.
9. مفهوم الخشية بالغيب: تحقيق الإخلاص، ودرجات الإحسان، واليقظة الدائمة، ومحاسبة النفس.
10. مفهوم العلم الإلهي المحيط: إثبات أن الله يعلم السر والعلن وما في الصدور، وأثره في تحقيق الصدق الداخلي.
11. مفهوم تسخير الأرض و النشر والحشر: توحيد الربوبية في الرزق والنصر والمصير.
12. مفهوم الاستهزاء بالوعد الإلهي: تصوير مشهد يوم القيامة وسوء وجوه الكافرين، والرد على المستعجلين والمستهزئين.

منهجية الكتاب

يعتمد الكتاب منهجية متكاملة تجمع بين:

1. المنهج الموضوعي: دراسة السورة كوحدة متكاملة، وربط آياتها ببعضها، وربطها بسور أخرى) خاصة سورة التحريم.(
2. المنهج التحليلي المفاهيمي: تحليل الألفاظ والمفاهيم الرئيسية في كل آية، واستخلاص دلالاتها اللغوية والبيانية.
3. المنهج النفسي التربوي: استخلاص الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من كل مفهوم.
4. المنهج التطبيقي العملي: تقديم تمارين يومية وتدريبات عملية لتحويل المفاهيم إلى واقع ملموس في الحياة.
5. المنهج المقارن: مقارنة حال المؤمنين والكافرين، وأهل الهدى وأهل الضلال، في كل محور.
6. المنهج التكاملي: الجمع بين البعد العقدي، والنفسي، والتربوي، والمعرفي، والعملي في معالجة كل مفهوم.

أسلوب المؤلف وأهميته

خصائص الأسلوب:

- يتميز بالوضوح والعمق معاً، مع تجنب التعقيد اللغوي الزائد.
- يعتمد على التكرار الهادف للمفاهيم الأساسية لتثبيتها في الذهن.
- يستخدم لغة محفزة، وخطاباً مباشراً للقلب، بأسلوب يجمع بين العلم والوعظ.
- يتنقل بين التحليل اللغوي الدقيق والتطبيق النفسي العميق.

· يخاطب العقل والقلب معاً، بأسلوب يجذب القارئ ويدفعه للتفاعل.

أهمية الأسلوب:

· يقدم تفسيراً معاصراً يلبي احتياجات العصر.
· يحول النصوص القرآنية إلى برامج حياة عملية.
· يربط بين النص القرآني والواقع المعاش.
· يغرس القيم الإيمانية بأسلوب مؤثر ومباشر.

ما يتميز به الكتاب عن بقية التفاسير

.1التركيز على الجانب التطبيقي العملي: لا يكتفي بالتفسير النظري، بل يقدم تمارين وتدريبات يومية.
.2التكامل بين التفسير وعلم النفس: يقدم قراءة نفسية عميقة للمفاهيم القرآنية، ويعالج مشاكل نفسية معاصرة كالقلق والاكتئاب والخوف.
.3الربط العضوي بين السور: يظهر العلاقة الوثيقة بين سورة الملك وسورة التحريم، وكيف تشكلان وحدة موضوعية.
.4استخلاص الرسائل المتعددة) نفسية، عقلية، تربوية، عملية (من كل آية، مما يثري الفهم ويوسع الأ فق.
.5العناية بالمهارات الحياتية: يستخرج مهارات عملية من النص القرآني مثل مهارة التفكير، والتوكل، و التأمل، ومحاسبة النفس.
.6خطابه المباشر للقلب: بأسلوب أخوي مؤثر، يخاطب القارئ بكلمة "يا قلب" مما يخلق حميمية وتأثيراً عميقاً.
.7الشمولية: يغطي جوانب عقدية، ونفسية، وتربوية، واجتماعية، وعملية، في إطار تفسيري متكامل.

--- الجمهور المستهدف بالكتاب

.1عموم المسلمين الراغبين في تدبر القرآن وتطبيقه في حياتهم.
.2طلاب العلم الشرعي والمهتمين بالتفسير الموضوعي.
.3الدعاة والمرشدين والمربين الراغبين في أساليب مؤثرة في الدعوة والتربية.
.4المهتمين بعلم النفس الإسلامي والتربية النفسية.
.5الباحثين عن معنى الحياة والغاية من الوجود.
.6كل من يعاني من القلق، الخوف، الاكتئاب، أو التساؤلات الوجودية.
.7الأسر والمربين الراغبين في تربية أبنائهم على المفاهيم الإيمانية الصحيحة.

---أهداف المؤلف وغاياته

.1ترسيخ مفاهيم التوحيد والإيمان من خلال دراسة متعمقة لسورة الملك.
.2تصحيح المفاهيم الخاطئة حول الحياة، الموت، الرزق، النصر، والعذاب.
.3تحرير الإنسان من الخوف من المخلوقين والفقر والفشل والمجهول.
.4غرس اليقظة الدائمة والخشية بالغيب، ومراقبة الله في السر والعلن.
.5تربية النفس على الإحسان في العمل، والصدق، والتوكل، والشكر.
.6تقديم منهج حياة عملي مستمد من القرآن، يمكن تطبيقه يومياً.
.7إعادة تعريف الإنسان لوجوده، وغايته، ومصيره، وعلاقته بربه وبالكون.
.8بناء شخصية متوازنة تجمع بين القوة والتواضع، والخوف والرجاء، والعمل والتوكل.
.9دعم النهضة الحضارية الإسلامية من خلال إعادة تشكيل العقلية والوعي الإيماني.
.10إظهار التكامل بين العقل والقلب في فهم النص القرآني وتطبيقه.

المفاهيم المستخلصة من الكتاب

المفهوم الجوهر
التوحيد إفراد الله بالملك والتدبير والرزق والنصر
البركة النماء والاستمرارية والزيادة من عند الله
الخشية بالغيب عبادة الله في الخفاء، واليقظة الدائمة
الإحسان إتقان العمل كأنك ترى الله
الابتلاء اختبار الإنسان في الخير والشر لمعرفة أحسن عملا ً
التوكل الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب

التفكر النظر في آيات الله الكونية والشرعية للوصول إلى اليقين
محاسبة النفس المراجعة اليومية للأعمال والنيات
الاستخلاف كون الإنسان أميناً على ما أوتيه من ملك وجاه ومال
الشكر استعمال النعم في طاعة الله، والاعتراف بفضله
الغيب ما استأثر الله بعلمه، والإيمان به ركن الإيمان
المصير الحشر والجزاء على الأعمال، والنار أو الجنة
الجمال الإلهي الكون آية جمال وحكمة ورحمة تدعو للحب والإجلال
اللطف والخبرة علم الله المحيط ببواطن الصدور وخباياها

لماذا يجب أن تقرأ الكتاب؟

.1يغير نظرتك للحياة: من نظرة مادية سطحية إلى نظرة إيمانية عميقة ذات معنى.
.2يعالج قلقك وخوفك: يحررك من الخوف من الموت، الفقر، الفشل، والمخلوقين.
.3يصنع يقظة دائمة في قلبك: يعلمك مراقبة الله في كل لحظة.
.4يحول عباداتك من عادات إلى طاعات حية: يشعرك بلذة القرب من الله.
.5يقدم لك مهارات حياتية عملية: مستمدة من النص القرآني مباشرة.
.6يعلمك كيف تتدبر القرآن: بأسلوب تطبيقي عملي، وليس نظرياً فقط.
.7يبني شخصيتك: يجعلك قوياً متوكلا ً، متواضعاً شكوراً، صبوراً واعياً.
.8يربطك بسورة الملك بعلاقة خاصة: تجعلها رفيقة روحك في كل وقت.
.9يجيب عن أسئلتك الوجودية الكبرى: لماذا نعيش؟ لماذا نموت؟ ما معنى الحياة؟
.10يساعدك على تربية أبنائك: على المفاهيم الإيمانية الصحيحة، بأسلوب عملي معاصر.

مخرجات الكتاب

.1زيادة الإيمان واليقين بالله وأسمائه وصفاته.
.2تحرير النفس من الخوف من المخلوقين والموت والفقر.
.3بناء شخصية متوازنة تجمع بين الخوف والرجاء، العمل والتوكل.
.4تطبيق عملي يومي للمفاهيم القرآنية من خلال التمارين والتدريبات.
.5مهارات حياتية متكاملة: التفكر، التوكل، محاسبة النفس، التخطيط، الصبر.
.6علاج نفسي إيماني للقلق والاكتئاب والضيق الوجودي.
.7استعداد دائم للآخرة من خلال العمل الصالح والإحسان.
.8وعي بقيمة النعم كالماء والصحة والسمع والبصر، وشكرها.
.9رؤية كونية جديدة تجعل كل شيء في الحياة آية تقرأ وتتدبر.
.10علاقة روحية خاصة بسورة الملك تجعلها رفيقة الدرب والأنيس في القبر.

-أقوال مأثورة وردت بلسان المؤلف

"بِيدِهِ المُلْكُ" كتابة عن القبضة الكاملة والتصرف المطلق والسلطان النافذ.

"الحرية الحقيقية: هي ألا تخاف إلا الله، وألا ترجو إلا الله، وألا تخضع لأي سلطة بشرية في معصية الله .هذا هو عين العزة."

"الموت ليس فناءً ولا هروباً من المسؤولية، بل هو جسر إلى الآخرة ينتقل به العبد من دار الابتلاء إلى دار الجزاء."

"البركة ليست في كثرة المال، بل في علاقة المال بالهداية."

"إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ...الوعي الدائم بأن الله مطلع عليك هو نقيض الغفلة."

"أَعْلَى دَرَجَاتِ الإِيمَانِ هِيَ خَشْيَةُ اللهِ فِي الخَفَاءِ، لَا فِي العَلَنِ فَقَطْ."

"كل شيء بيد الله، فإذا كان الله معك، فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك، فمن لك؟"

"يا قلب ...لا تكن ممن عطل سمعه وعقله .اجعل لكل من حواسك نصيباً من طاعة الله."

"القناعة ليست فقراً، بل هي الرضا بالكفاف مع الإيمان بأن المبارك من القليل خير من الكثير غير

المبارك."

"الحياة ليست مجرد استهلاك وإنتاج، بل رحلة اختبار لبناء شخصيتك وإحسان عملك."

"إذا أذنبت، فبادر إلى الاعتراف الآن .قل بينك وبين الله: رب إني اعترف بذنبي، فاغفره لي .ولا تنتظر حتى يحين اليوم الذي لا ينفع فيه الاعتراف."

الخلاصة

كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الملك" هو عمل تفسيري تربوي نفسي متميز، يأخذ بيد القارئ في رحلة تدبرية عميقة داخل سورة الملك، مستخرجاً كنوزها المعرفية والإيمانية، ومحولاً إياها إلى برنامج حياة عملي .يتميز الكتاب بمنهجيته الشاملة التي تجمع بين التحليل اللغوي، والاستنباط النفسي، والتربية السلوكية، والتطبيق العملي .يخاطب الكتاب القلب والعقل معاً، بأسلوب مؤثر يجعل من سورة الملك رفيقة الروح في الحياة وبعد الممات .إنه كتاب يغير النظرة إلى الحياة والموت، ويحرر النفس من المخاوف، ويبني شخصية المؤمن القوي المتوكل الشكور، ويزرع اليقظة الدائمة ومراقبة الله في السر والعلن .كتاب يستحق أن يكون رفيقاً لكل بيت، ومنهجاً لكل نفس تسعى إلى الإحسان والفلاح.

"رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ"

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية بسورة الملك

.١عدد آيات السورة

ثلاثون آية (٣٠) في عدّ الكوفيين والبصريين، وهي متّفقٌ عليها.

.٢مكان نزول السورة

مكية، نزلت في مكة المكرمة قبل الهجرة النبوية، بإجماع المفسرين.

.٣ترتيب السورة

· ترتيبها في المصحف المرتل: السابعة والستون.(٦٧)
· ترتيبها في النزول: السادسة والسبعون (٧٦) على الراجح، نزلت بعد سورة المؤمنون وقبل سورة الحاقة.
· الجزء: التاسع والعشرون) جزء تبارك.(
· الحزب: الحزب السابع والخمسون.

.٤أسماء السورة وسبب التسمية

أ- الأسماء الواردة لها:

.١سورة الملك – الاسم الأشهر والأكثر تداولا ً.
.٢تبارك الذي بيده الملك – وهو الاسم الذي سمّاها به النبي ﷺ.
.٣المانعة – لأنها تمنع عذاب القبر عن صاحبها.
.٤المنجية – لأنها تنجي قارئها من عذاب القبر.
.٥الواقية – لأنها تقي صاحبها.
.٦المجادلة – لأنها تجادل عن قارئها عند سؤال الملكين.
.٧الدافعة – لأنها تدفع العذاب.
.٨الشافعة – لأنها تشفع لصاحبها.
.٩المخلصة – لأنها تخلص قارئها.

ب- سبب التسمية بـ"الملك":

سُمّيت بهذا الاسم لأنها افتتحت بذكر ملك الله المطلق في قوله تعالى:} تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ{، ولأن مدار السورة كلها على إثبات ملك الله وقدرته وتصريفه للكون.

.٥الأجواء التي نزلت فيها السورة

نزلت في مكة المكرمة في مرحلة العداوة المفتوحة والمؤامرات السرية ضد النبي ﷺ، وكان المشركون يتشاورون في السر، ويستهزئون بالقرآن، ويضعفون المؤمنين .وقد نزلت السورة لتثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين، وإقامة الحجة على المشركين بالدليل العقلي والحسي، وإظهار عاقبة المستهزئين والمكذبين.

٦.أسباب النزول

أ- سبب نزول الآية(١٣) :{ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ{

روى ابن عباس وغيره أن المشركين كانوا يتناجون فيما بينهم، ويقولون: "أسِرُّوا قولكم كي لا يسمع إله محمد"، وكانوا يتعجبون من القرآن، فجاءت الآية ترد عليهم بأن الله يعلم السر وأخفى، وهو خبير بذات الصدور.

ب- عموم السورة:

لا يوجد سبب نزول واحد لسورة الملك بكاملها، بل نزلت منجّمة على فترات، كسائر السور المكية التي تخاطب المشركين وتدعوهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر.

٧.أهداف السورة وأغراضها

١.تقرير توحيد الربوبية والألوهية، وإثبات أن الله هو المالك المتصرف المطلق.
٢.بيان عظمة الله وقدرته من خلال مخلوقاته) السماوات، الأرض، الطير، الماء.(
٣.تحديد الغاية من خلق الموت والحياة وهي اختبار الإيمان والعمل.
٤.الرد على المشركين والمستهزئين، وتبيين عاقبة تكذيبهم.
٥.الترغيب والترهيب معاً، بذكر الجنة والنار والمغفرة والعذاب.
٦.غرس الخشية بالغيب في القلوب، وتحرير الإنسان من الخوف من المخلوقين.
٧.إثبات علم الله المحيط بالسر والعلن، وما تخفيه الصدور.
٨.توجيه النظر إلى آيات الله الكونية للوصول إلى اليقين الإيماني.

٨.الموضوع الرئيسي للسورة

تقرير ملك الله المطلق، وقدرته الشاملة، ووحدانيته من خلال مظاهر خلقه، وبيان مصير المؤمنين و الكافرين في الآخرة، مع التأكيد على الحكمة من الخلق والابتلاء.

هي سورة العقيدة بامتياز؛ لأنها تؤسس الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، واليوم الآخر، والجزاء، والاستد لال بالكون على الخالق.

٩.محاور السورة والموضوعات التي تتحدث عنها

١.الملك والقدرة) آ١ -(٢: إثبات ملك الله المطلق، وخلق الموت والحياة للابتلاء.

٢.خلق السماوات السبع وإتقانها) آ٣ -(٤: الدعوة إلى التأمل والتفكر في إحكام الصنع.

٣.تزيين السماء بالنجوم ورجم الشياطين) آ(٥ : بيان وظائف المخلوقات السماوية.

٤.عذاب جهنم للكافرين) آ٦ -(١١: وصف النار، وشهيقها وفورانها، واعتراف الكفار بذنبهم.

٥.وعد المؤمنين الخاشين) آ(١٢ : المغفرة والأجر الكبير للذين يخشون ربهم بالغيب.

٦.علم الله المحيط) آ١٣ -(١٤: إثبات علمه بالسر والجهر وما في الصدور.

٧.تسخير الأرض) آ(١٥ : بيان نعمة الذلولية والتمكين.

٨.التهديد بالخسف والحاصب) آ١٦ -(١٧: تحذير المشركين من عذاب الدنيا.

٩.الاعتبار بالأمم السابقة والتأمل في الطير) آ١٨ -(١٩: سنة الله في هلاك المكذبين، وبديع خلقه.

.١٠نفي الناصر والرازق سوى الله) آ٢٠ -(٢١: كشف غرور المشركين بجندهم وأموالهم.

.١١بيان من هو أهدى سبيلا ً) آ(٢٢ : المقارنة بين المؤمن المهتدي والكافر الضال.

.١٢نعمة السمع والبصر والأفئدة) آ(٢٣ : التذكير بالنعم الحسيّة، والتوبيخ على قلة الشكر.

.١٣الحشر إلى الله) آ(٢٤ : التذكير بالمصير النهائي.

.١٤الرد على المستعجلين والمستهزئين) آ٢٥ -(٢٧: تصوير مشهد القيامة وسوء وجوه الكافرين.

.١٥إعلان الإيمان والتوكل والخاتمة بالماء) آ٢٨ -(٣٠: أن النصر بيد الله، وأن الرزق – ومنه الماء – بيده وحده.

.١٠خصائص السورة وفضائلها

أ- الخصائص:

.١هي أوّل سورة في جزء "تبارك") الجزء التاسع والعشرون.(
.٢من سور المفصّل التي كان النبي ﷺ يكثر من قراءتها.
.٣ليس فيها سجدة تلاوة.
.٤افتتحت بـ "تبارك" – صيغة تدل على الثبات والدوام والكثرة.
.٥جمعت بين توحيد الملك، والقدرة، والرحمة، والعلم في نسيج متكامل.

ب- الفضائل الثابتة:

.١الشفاعة: قال النبي ﷺ: "إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفِر له، وهي: تبارك الذي بيده الملك") رواه أبو داود والترمذي.(

.٢النجاة من عذاب القبر: قال ابن مسعود: "من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر") رواه النسائي.(

.٣المجادلة عن صاحبها عند سؤال الملكين في القبر.

.٤كانت تسمّى في عهد النبي ﷺ "المانعة"، لأنها تمنع صاحبها من عذاب القبر.

.١١ما انفردت به السورة

.١افتتاحها بـ "تبارك"، وهي صيغة لم تفتتح بها سورة أخرى بهذه الكثافة الدلالية في أول السورة.

.٢الجمع بين مشهدي العذاب والنعيم في أسلوب بصري حسي بالغ التأثير، خاصة في قوله:} وَغِيضَ مَا فِي الأَرْضِ} {وَسِيئَتْ وُجُوهُ الذِينَ كفَرُوا.{

.٣ختمها بضرب المثل بالماء، كأقرب دليل مادي على قدرة الله ورحمته، وكأنها تقول: هذا الماء الذي تشربه، لو غار في الأرض، من يستطيع أن يعيده لكم؟

.٤ارتباطها العضوي بسورة التحريم في المصحف، بحيث تشكلان معاً وحدة موضوعية تربط بين النماذج البشرية) مريم وآسية (والقواعد الكونية) ملك الله.(

.١٢مقاصد السورة

.١إظهار كمال ملك الله وقدرته؛ بعثاً على خشيته، وتحذيراً من عقابه، ودعوة إلى التفكر.

.٢تأكيد التوحيد الخالص؛ فلا مالك ولا ناصر ولا رازق ولا منقذ إلا الله.

.٣تقرير الإيمان بالبعث والجزاء؛ وأن الآخرة هي المصير الحقيقي.

.٤تربية النفس على الخشية بالغيب، ومراقبة الله في الخفاء، وتحقيق درجة الإحسان.

.٥تقديم منهج للتفكر العلمي يقوم على الملاحظة، وإعادة النظر، والتأمل العميق في آيات الله الكونية.

.٦تحرير الإنسان من عبودية المال، والجاه، والسلطة، والخوف من المخلوقين، وإرجاع كل شيء إلى المالك الحقيقي.

.٧الجمع بين الترغيب والترهيب لبناء شخصية متوازنة، تعمل للآخرة كأنها تراها، وتعمر الدنيا كأنها تعيش فيها أبداً.

.١٣لماذا يجب أن تقرأ سورة الملك كل ليلة؟

.١لتكون من الفائزين بشفاعتها يوم القيامة.
.٢لتأمن من عذاب القبر، فهي المانعة والمنجية.
.٣لتتذكر حكمة الموت والحياة، فتحسن عملك وتجدد توبتك.
.٤لتقوي إيمانك ويقينك بقدرة الله من خلال النظر إلى الكون.
.٥لتتخلص من الخوف من الناس والفقر والمستقبل، وتتوكل على الحي القيوم.
.٦لتربي نفسك على خشية الله في السر والعلن.
.٧لتكون مستعداً للقاء الله، عاكفاً على تدبر آياته قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم.

.١٤الخلاصة

سورة الملك هي السورة السابعة والستون في المصحف، مكية، عدد آياتها ثلاثون، نزلت في جوّ التآمر والاستهزاء بمكة .اسمها مشتق من افتتاحها بـ ملك الله المطلق .وهي من أعظم سور القرآن فضلا ً، إذ تشفع لقارئها وتنجيه من عذاب القبر .مدارها على توحيد الله، وإثبات قدرته، والحكمة من الخلق، ومصير المؤمنين والكافرين .جمعت بين الدليل العقلي) التفكر في الكون (والحسي) الماء، الطير ، السماء(، وبين الترغيب والترهيب .وختمت بأعجب دليل: الماء، لتقول للإنسان: لو غار ماؤك، فمن ذا الذي يأتيكم بماء معين؟ أليس الله وحده؟

فهي سورة اليقظة، والخشية، والتوحيد، والنجاة .من أحبها وحافظ عليها، كانت له نوراً في قبره، وشفيعاً في آخرته، ورفيقاً في دنياه.

نسأل الله أن يجعلنا من أهلها، وأن يختم لنا بخيرها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الملك
المقدمه
انه من خلال التامل العميق في الربط بين النماذج البشرية التي خُتمت بها سورة "التحريم" والقواعد التوحيدية التي استهلت بها سورة "الملك"،نجد الاتى :
التناغم بين ختام سورة التحريم واستهلال سورة الملك:
.1 تُعد سورة "الملك" امتداداً تربوياً ومنهجياً لسورة "التحريم"؛ فبينما خُتمت سورة التحريم برسم النماذج العليا للعبودية الصادقة في شخصية مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون، اللتين جسدتا أسمى مراتب الخضوع واليقين بكلمات الله وكتبه، جاءت سورة "الملك" لتؤسس للقواعد التوحيدية الكلية التي تضمن استمرارية هذا الخضوع .إن الانتقال من تلك النماذج الفردية إلى القواعد الكونية في سورة الملك ليس مجرد ترتيب مصحفي، بل هو انتقال من "المثال المُعاش" إلى "المنهج المُؤصل"؛ حيث يُعيد الله تعريف علاقة الإنسان بالخالق في ظل ملكوتٍ لا يغيب عنه سلطان الله.
.2 يكمن السر في هذا الترابط في أن السورة تسعى إلى غرس قواعد التوحيد في أعماق النفس، مخاطبةً العقل والوجدان معاً؛ فالعقل هو بوابة الإيمان، والقلب هو محل استقرار التوحيد أو داء الشرك .ولأن النفس البشرية قد تتعرض لرواسب البيئة المادية والحضارة التي تحجب الفطرة عن خالقها، جاءت سورة الملك لتصحيح هذه المفاهيم عبر استعراض ملكية الله المطلقة وقدرته النافذة في الكون، مما يحول المعرفة النظرية بالله إلى حالةٍ من "العرفان المحب"؛ فحب الله الذي دفع آسية للتخلي عن ملك فرعون والجاه الزائف، هو ذاته الحب الذي تدعو سورة الملك المؤمن إلى استحضاره في كل حركة وسكنة، ليكون دافعاً للعمل والإصلاح.
.3 لذا، يمكن القول إن سورة الملك جاءت لترسيخ الغاية من الوجود البشري، والمتمثلة في المعرفة والحب والعبادة، انطلاقاً من إدراك حقيقة "الذي بيده الملك" .فبينما كانت سورة التحريم تبرز ثمار التصديق في سلوك الأفراد، تقدم سورة الملك المنظومة الفكرية والقلبية التي ينبغي أن يُبنى عليها هذا التصديق، لتكون الخلافة في الأرض تحقيقاً لمنهج الله، وليست مجرد استخلافٍ بلا هدف .وبذلك، تشكل السورتان وحدة موضوعية واحدة؛ حيث تختم التحريم بنماذج العابدين، وتفتتح الملك ببيان عظمة المعبود الذي استحق هذا الإخلاص، موجهةً العبد نحو غايته الكبرى: أن يعرف ربه، فيحبه، فيعبده، ثم يعمر الأرض وفق مراده سبحانه.

**التناسب الموضوعي بين سورة التحريم وسورة الملك

أولا ً: لمحة عن سورة الملك

سورة الملك، التي تلقب بـ"المانعة" و"المنجية"، هي جوهرة قرآنية في التوحيد والتعريف بالله عز وجل .يدور محورها الأساسي حول إثبات ملك الله المطلق للكون، وقدرته التي لا يعجزها شيء، مع التركيز على الغاية العظمى من الخلق وهي الابتلاء .فهي تفتح آفاق التفكر في ملكوت السماوات والأرض، وتنقل الإنسان من مشاهدة المخلوقات إلى إدراك صفات الخالق .وتختم السورة ببيان أن العلم بحقيقة هذا الملك ومصيره هو بيد الله وحده، وأن الإنسان ما هو إلا مُختبر في هذه الدنيا ليرى الله عمله .إنها سورة تهدف إلى غرس "الطمأنينة الإيمانية" في قلب المؤمن من خلال ربطه بملك لا يزول.

ثانياً: خاتمة سورة التحريم) نقطة الانطلاق(

تنتهي سورة التحريم بذكر نموذجين نسائيين فريدين في الإيمان والصدق:

· مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها، فصدّقت بكلمات ربها وكتبه، وكانت من القانتين.
· آسية امرأة فرعون التي تخلت عن ملك الدنيا وزينته، وآثرت حب الله على سلطان فرعون وجاهه.

هذان النموذجان يبرزان أعلى مراتب الخضوع والتصديق والإخلاص لله، وهما بمثابة تمهيد عملي لفهم سر الملكوت الذي ستفتتح به السورة التالية.

ثالثاً: وجوه التناسب بين ختام التحريم وافتتاح الملك

يمكن إجمال أوجه التناسب الدقيق بين السورتين في النقاط التالية:

.1الانتقال من النماذج البشرية إلى القواعد الكونية:
ختام التحريم يرسم نماذج فردية بلغت الذروة في العبودية، بينما تفتتح الملك بالقواعد الكلية لحكم الكون .وكأن القرآن يقول: هؤلاء الصالحون) مريم وآسية (بلغوا هذه الدرجة لأنهم أدركوا حقيقة "الذي

بِيَدِهِ المُلكُ"، فجاءت بداية سورة الملك لتفصح عن السر التكويني الذي صنع تلك القدوة.

.2من "التصديق بكلمات الله" إلى "الابتلاء بحسن العمل":

· في التحريم: "وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا".
· في الملك: "الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا".
فالتصديق هو المنبع، وحسن العمل هو النتيجة .تشكل السورتان وحدة متكاملة: الأولى تقدم الإيمان النظري العملي) التصديق(، والثانية تقدم الغاية التكوينية) الابتلاء لمعرفة أحسن العمل.(

.3من خصوصية الأفراد إلى عمومية الملكوت:
تركز نهاية التحريم على سلوك فردي استثنائي، بينما تشرع سورة الملك في عرض سلطان الله المطلق الشامل لكل شيء .هذا يرشدنا إلى أن العبادة الصادقة لا تنمو إلا في ظل إدراك عظمة المعبود؛ فكلما تعاظمت معرفة العبد بـ"ملك الله"، تعاظم خضوعه وإخلاصه.

رابعاً: الأهداف التربوية والتوحيدية لسورة الملك في ضوء هذا الربط

تأتي سورة الملك بعد سورة التحريم لتؤسس لمنظومة معرفية وقلبية تحقق الغاية من الوجود، وذلك من خلال:

.1غرس قواعد التوحيد في أعماق النفس:
تخاطب السورة العقل والقلب والوجدان معاً .فالعقل هو بوابة الإيمان) يقبل الدلائل(، والقلب هو مستقر التوحيد أو الشرك .لذلك تعرض السورة الدلائل العقلية على قدرة الله وملكه، ثم توجهها إلى القلب ليُقبل على العبادة بإرادة نابعة من الحب لا من الخوف فقط.

.2تصحيح المفاهيم الفاسدة وإزالة الرواسب:
تهدف السورة إلى تنقية الفطرة البشرية مما علق بها من تلوث بسبب البيئة والمادة والحضارة المادية التي تحجب الإنسان عن ربه .فإثبات ملكية الله المطلقة وقدرته النافذة وإحسانه هو المنطلق لا ستعادة صفاء الفطرة.

.3تحقيق الغاية الكبرى من الخلق:
الإنسان مخلوق لكي:

· يعرف ربه معرفة صحيحة) عرفاناً.(
· يحبه حباً يجعله يقدم رضا الله على كل شيء) كما فعلت آسية.(
· يعبده وحده لا شريك له) كما فعلت مريم.(
· يقيم الخلافة في الأرض وفق منهج الله.
فالسورة ليست مجرد سرد لآيات الله، بل هي وسيلة عملية لتحقيق هذه الغاية النبيلة.

خامساً: الخلاصة) الرؤية الموحدة للسورتين(

تشكل سورة التحريم وسورة الملك وحدة موضوعية مترابطة:

· سورة التحريم تختتم بـ"ثمرة الإيمان" ممثلة في شخصية مريم وآسية.
· سورة الملك تفتتح بـ"شجرة الإيمان" وأصولها الراسخة المتمثلة في ملك الله المطلق، وقدرته الشاملة، وحكمة الابتلاء.

فمن أراد أن يكون مثل مريم في تصديقها، وآسية في تخليها عن الدنيا، فعليه أن يعيش في قلب سورة الملك، ليعرف أن بيد الله الملك، فيسلم، ثم يعمل، ثم يستخلف في الأرض .وهذا هو سر التكامل البديع بين خواتيم السور وبدايات ما يليها في النظم القرآني.
القسم الاول
اولا

تفسير الآية الأولى من سورة الملك:

}تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

سورة "الملك" مكية، افتتحت بهذه الآية مباشرة دون مقدمة سابقة. لكنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمقصد العام للسورة، وهو تذكير الناس بعظمة الله وقدرته، وإقامة الحجة عليهم عبر النظر في الكون، و التحذير من عذاب الآخرة. فالآية الأولى هي "الباب" الذي يدخل منه القارئ إلى جوهر السورة، وهي بمثابة الأطروحة المركزية التي تفصلها بقية الآيات.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى: إثبات البركة الإلهية المطلقة لله وحده) تبارك.(
· الفكرة الثانية: إثبات الملكية التامة الشاملة لله تعالى على كل شيء) بيده الملك.(
· الفكرة الثالثة: إثبات القدرة الإلهية الكاملة غير المحدودة) على كل شيء قدير.(

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: تحرير التوحيد في قلوب العباد، بحيث لا يشركوا بالله أحداً في الربوبية والألوهية.
· الهدف النفسي: غرس الشعور بالأمن والطمأنينة من جهة، والهيبة والإجلال من جهة أخرى، فيتخلص العبد من الخوف من المخلوقين ويطمئن إلى خالقه.
· الهدف السلوكي: تحويل الإنسان من كائن عابث أو مادي إلى كائن مسؤول مؤمن بأن حياته اختبار ضمن ملك الله، فيسعى لإحسان العمل.
· الهدف التربوي: بناء جيل يرى البركة في الاتصال بالله لا في كثرة المال، ويحسن الأمانة لأنه يعلم أن الملك لله، ويتوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب لأنه يعلم أن القدرة لله.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: مفهوم "تبَارَكَ" – التأسيس للوجود المتصل بالمطلق

.1كيف يختلف البركة والخير في حياتك عندما ترتبط بمالك الكون؟

البركة لغةً: ثبوت الخير الإلهي في الشيء واتساعه ونماؤه. وعندما ينسبها البشر لبعضهم، فهي بركة ناقصة مؤقتة ومحدودة. أما بركة الله (تبارك) فهي مطلقة وأبدية وشاملة. الفرق العملي في حياتك:

· مثال على البركة المادية دون الاتصال بالله: رجل عنده مليون ريال، لكنه قلق، لا ينام الليل خوفاً على ماله، أولاده لا يصلون، زوجته تعيسة، ماله لا يكاد يكفيه بسبب التبذير أو المشاكل الصحية .هذا المال فاقد البركة رغم كثرته.
· مثال على البركة من مالك الكون: رجل عنده راتب متوسط، لكنه يشعر بالرضا والقناعة، ينفق على أهله فيجد أمواله تنمو، يشعر براحة نفسية، أولاده بارون، يأكل الطعام فيشبع وينفعه، وقته مبارك فينجز أكثر بجهد أقل.

إذاً، البركة من الله تعني: النماء مع الطمأنينة، والكفاية مع اليسر، والنفع مع الديمومة. وعندما ترتبط حياتك بمالك الكون، تتحول أفعالك العادية (الأكل، النوم، العمل) إلى عبادات فيها بركة، لأنك تفعلها بنية صالحة. بينما حياة من انقطع عن الله فهي جافة مهما كثرت زخارفها.

.2ما هي القاعدة التي يغرسها لفظ "تبارك" في النفس، وما الأثر الناتج عن ذلك؟

القاعدة: قاعدة "الاستغناء عن المخلوق وعدم التعلق بالأسباب المادية كغاية".

· التفصيل: الإنسان بطبيعته يميل إلى البحث عن "مصادر البركة" الوهمية: يظن أن كثرة المال هي البركة، أو كثرة الأولاد، أو المنصب العالي .فيعلق قلبه بهذه الأمور، فيحسد من يملكها، وييأس إذا فقدها .لفظ "تبارك" يعلن أن الله هو المصدر الوحيد للبركة، وما سواه مجرد مظاهر لا قيمة لها بدون إذنه.

الأثر العملي الناتج:

.1تحرير النفس من الحسد: إذا علمت أن البركة ليست في كثرة المال، بل في علاقة صاحب المال بالله، فلن تحسد غنياً عاصياً، بل ستدعو له بالهداية.
.2علاج الطمع: الطمع هو السعي وراء الأسباب ظناً أنها تجلب الخير .إدراك أن الله هو المبارك الحقيقي يجعلك تأخذ بالأسباب دون أن تستعبدك.
.3تحقيق القناعة: القناعة ليست فقراً، بل هي رضا بالكفاف مع الإيمان أن البركة تأتي من الله، ف القليل المبارك خير من الكثير غير المبارك.
.4النجاح المهني الحقيقي: عندما تعمل في مشروع، لن تبحث فقط عن الربح المادي، بل ستسأل: هل هذا المشروع فيه بركة؟ هل هو حلال؟ هل يخدم المجتمع؟ هل أبدأه ببسملة ونية صالحة؟ فهذا يضمن الاستمرارية والنجاح الدائم.

.3دلالة استخدام صيغة المبالغة "تبارك") تفاعل (– توليد المحبة والتعظيم:

صيغة "تفاعل" (تبارَك) تفيد المبالغة والتكثير والاستمرارية. هي صيغة ذاتية تفيد أن الله متصف ب البركة والجلال والعظمة من ذاته ولذاته، وهي صفة لازمة له لا تزول.

الأثر الذي تغرسه في قلب العبد: توليد المحبة والإجلال معاً.

· كيف تولد المحبة؟ عندما تتفكر في أن كل نعمة تمر بك) صحة، سمع، بصر، مال، أمان، هداية (هي من بركات الله التي تتبارك) أي تتضاعف وتتنزل .(تشعر أن الله يغمرك بنعم لا تعد ولا تحصى، فينمو في قلبك شكر وامتنان .الشكر يقود إلى المحبة، كما قال الشاعر: "إذا أحببتَ من أحسنتَ إليه" .فالله أحسن إلينا بكل شيء، فحري بنا أن نحبه.
· كيف يولد الإجلال والتعظيم؟ عندما تدرك أن عظمة البركة الإلهية تفوق تصورك .فبركة الله في خلقه للكون: خلق سبع سموات طباقاً، وجعل فيها نجومًا وزينة .هذا الإبداع يجعلك تشعر بالرهبة و الهيبة.

لماذا نحتاج إلى الحب مع المعرفة؟ لأن المعرفة وحدها قد تنتج خوفاً جافاً أو تعصباً، أما الحب فهو المحرك للطاعة بشوق. ولهذا ابتدأت السورة بـ "تبارك" التي تجمع بين المعرفة (بأن الله هو مصدر كل خير) والحب (فيشعر العبد بالامتنان). ثم أكملت بـ "بيده الملك" لتؤسس للهيبة، وبـ "على كل شيء قدير" لتؤسس للثقة. هذا التوازن هو جوهر العبادة.

المعرفة بالله هي أول خطوة للهداية: فإذا أخطأ الإنسان في معرفة الله (فشبهه بالمخلوقين أو نفى صفاته)، فإن عبادته كلها ستكون خاطئة. "تبارك" تعطي معرفة صحيحة: الله متعالٍ عن كل نقص، منفرد بالبركة والعظمة.

حقيقة التعظيم والتوقير: بعض السلف قالوا: "التعظيم وقار لله في قلب أحدكم أن تذكره عندما تستحي من ذكره، فى موضع غير لائق كان تذكره عندما تذكر الكلب". معنى هذا أن الإنسان إذا بلغ من تعظيم الله أن يستحي من نطق اسمه في غير موضعه اللائق، أو في مجلس غفلة ومعصية، فهذا هو التعظيم الحقيقي. فالمؤمن الذي يشعر بمعنى "تبارك" لا ينطق اسم الله إلا بخشوع، ويستحي من أن يذكره في معرض السب أو اللغو، ويستحي من اطلاع الله على سره وهو يفعل ما يكره.

.4اللمسات البيانية والبلاغية والرسائل التربوية والنفسية من "تبارك":

· لمسة بلاغية: اختيار الفعل الماضي "تبارك" ليدل على الثبات والاستقرار، فهو متصف بهذا منذ الأزل وإلى الأبد .وليس فعلا ً مضارعا) يتبارك (لأنه يقتضي التجدد.
· رسالة تربوية: الآية تربي في الإنسان الأدب مع الله، فلا يذكر اسمه في مجالس السوء، ولا يستخدمه في النكات أو القسم الكاذب.
· رسالة نفسية: تزيل الشعور بالحرمان .من يشعر أن الآخرين أخذوا كل شيء، يتذكر أن البركة الحقيقية عند الله، فيجد نفسه غنياً بالله ولو كان فقيراً مادياً.
· رسالة فكرية: تؤسس لنظرية القيمة في الإسلام: قيمة الأشياء ليست في ذاتها، بل في علاقتها ب الله .فالعمل لا قيمه له إلا إذا كان لله، والمال لا قيمة له إلا إذا أنفق لله.

المحور الثاني: مفهوم "بِيَدِهِ الْمُلْكُ" – تحرير الإرادة من سلطة الأغيار

.1ماذا يعني "بيده الملك" وما دلالة استخدام كلمة "اليد"؟

"بيده الملك" كناية عن القبضة الكاملة والتصرف المطلق والسلطان النافذ .استخدام كلمة "اليد" في اللغة العربية للدلالة على القوة والتحكم والتملك، وليست يداً جارحة) لأن الله ليس كمثله شيء .(هي صورة بليغة تفيد:

· السيطرة الكاملة: فكما أنك تمسك شيئاً بيدك وتقلبه كيف تشاء، فالله تعالى يمسك الملك كله بيده، يدبره ويفعل فيه ما يشاء.
· القهر والهيمنة: اليد هنا تدل على أن المالك قادر على أن يفعل بملكه ما يريد، لا يعجزه شيء.
· المباشرة: تدل على أن الله هو المدبر المباشر، ليس هناك وسائط تملك من دونه شيئاً.

.2ما هو أثر استشعار المسلم أن الملك كله بيد الله في أنه يكون عنصراً فاعلا ً وصالحاً في مجتمعه؟) الاستخلاف الواعي(

عندما نعلم أن الملك كله لله، ندرك أننا لسنا مالكين حقيقيين، بل مستخلفين (أمناء ووكلاء). هذا المفهوم يحول نظرتك للمجتمع والحياة بشكل جذري:

· في المجال المهني) الموظف(: لا يعتقد أن المنصب "ملكه" فيظلم به أو يبخل به .بل يعرف أنه مستخلف عليه، وعليه أن يؤديه بأمانة إلى صاحبه الحقيقي وهو الله .فيتقن عمله، لا يغش، لا يسرق وقت العمل، لا يستخدم السلطة لمصلحته الخاصة.
· في المجال القانوني) المحامي أو القاضي(: لا يظن أن الحكم بقوته أو بمكرته، بل يعلم أن الله هو مالك الملك، وهو الذي سيحاسبه على كل حكم .فيعدل، ولا يقبل الرشوة، ولا يخاف في الله لومة لا ئم.
· في المجال التربوي) المربي والأب(: لا يظن أن أولاده "ملكه" يفعل بهم ما يشاء، بل يعلم أنهم أمانة عنده، سيسأل عنهم .فيربيهم بالرحمة والعدل.
· في المجال الاقتصادي) التاجر(: لا يتعامل مع المال على أنه ملكه المطلق، فيبخل به أو ينفقه في الحرام .بل يعلم أنه أمانة، وعليه أن يؤدي الزكاة، وينفق في الخير، ولا يظلم الناس في البيع و الشراء.

نتيجة هذا الاستشعار: مجتمع تسوده النزاهة والصدق والعدل والإتقان. هذه هي الصفات التي رأينا أثرها في قصص الصالحين مثل مريم وآسية في سورة التحريم: مريم العذراء أتقنت عبادتها، وآسية استشعرت أن الملك لله فلم تخف فرعون. وهذه القصص هي تطبيق عملي ل-"بيده الملك".

.3كيف يحرر هذا المفهوم الإنسان من الخوف من المخلوقين؟

الخوف البشري ينبع من اعتقاد أن فلاناً يملك ضرّي أو نفعي (مديري يطردني، الحاكم يسجنني، المنافس يضرني). لكن عندما توقن أن الملك بيد الله وحده، فكل من سواه ليس في يده شيء:

· تفكيك الخوف من الحكام: الحاكم مهما بلغت قوته، هو مجرد عبد مملوك لله .لو أراد أن يضرك، فلن يضرك إلا بإذن الله .وقد يكون ضرّه خيراً لك) كفارة ذنوب أو تربية على الصبر .(وقد يمنع الله ضرّه كما منع ضر نمرود عن إبراهيم.
· تفكيك الخوف من قوانين البشر: القوانين الجائرة لا تملك حقيقة التأثير .هي مجرد كلمات على ورق، لا تصيبك إلا إذا قدرها الله .المؤمن يعمل بالقانون الذي يرضي الله، ويثق أن الله سيخرج له مخرجاً.
· تفكيك الخوف من الفقر والفشل: كثير من الناس يفعلون الحرام خوفاً من الفقر) رشوة، غش، سرقة .(الآية تقول: الرزق بيد الله) وهو جزء من الملك(، فمن خاف الفقر فعصى الله، فقد خاف من مخلوق لا يملك شيئاً وترك الخالق الذي يملك كل شيء.

الحرية الحقيقية: هي ألا تخاف إلا الله، وألا ترجو إلا الله، وألا تخضع لأي سلطة بشرية في معصية الله. هذا هو عين العزة. قال عمر بن الخطاب: "كيف تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟" أي لا تخضعوا إلا لله.

المحور الثالث: مفهوم "عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" – ضمانة الأمن النفسي

.1معنى ودلالة تذيل الآية بقوله "إنه على كل شيء قدير" وما دلالة اقتران الملك بالقدرة الإلهية؟

"قدير" صيغة مبالغة من القدرة، تفيد أن قدرته لا حدود لها، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

دلالة اقتران الملك بالقدرة:

· لو كان الملك بيد الله دون أن يكون قديراً، لكان ملكاً ضعيفاً لا يستطيع تنفيذ أحكامه .ولو كان قديراً دون أن يكون له الملك، لكانت قدرته معطلة لا تستخدم .لكن اجتماع الملك والقدرة يعني أن الله يملك كل شيء، ويملك القدرة على فعل ما يريد بملكه.
· هو رد على الذين يظنون أن معنى "ملك الله" هو ملك مجازي كملك الإنسان الذي قد يُعزل أو تسلب مملكته .الآية تؤكد أن ملكه مقترن بقدرة مطلقة، فلا يُعزل، ولا يسلب، ولا يغفل.

.2كيف تعيد هذه القدرة المطلقة ترتيب أولوياتك ومشاعرك عند مواجهة الهموم؟

أولا ً: تفكيك الأسباب المادية (نقد الحضارة المادية):
في ثقافتنا المعاصرة، تربى على الإيمان بالأسباب: إذا أردت نتيجة، افعل سببها. الدواء يشفي، المال يغني، السلطة تحكم. هذا صحيح ظاهراً لكنه يصبح شركاً إذا اعتقدنا أن الأسباب تفعل بذاتها. الآية تعلّم أن الأسباب لا تؤثر بذاتها، بل بقدرة الله.

· الأثر الأول: التوكل مع العمل .تفعل السبب) تذهب للطبيب، تسعى في العمل (لكن قلبك متعلق بالله أن يقرن القدرة بالسبب .كما قال إبراهيم عليه السلام:} رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي .{فالعمل للطمأنينة، لكن الإيمان بالقدرة هو الأساس.
· الأثر الثاني: منع اليأس .عندما تفشل الأسباب) الدواء لا ينفع، المال يضيع(، لا تيأس، فالقادر على كل شيء قادر أن يأتي بالنتيجة من غير سبب .كما خلق آدم بلا أب، وعيسى بلا أب، والناقة من الصخرة.
· الأثر الثالث: منع الغرور .عندما تنجح الأسباب، لا تغتر بنفسك، فالقدرة لله} .وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَى.{

ثانياً: ترتيب مشاعرك عند الهموم:

· الهم من الفقر: "على كل شيء قدير" يعني أن الله قادر على أن يرزقك من حيث لا تحتسب .فلا تهمك ضيق الحال.
· الهم من المرض: القدير قادر على شفائك بلمحة، أو جعل مرضك خيراً لك في الآخرة.
· الهم من ظلم الناس: القدير قادر على النصر، إما بالعاجل أو بالآجل.
· الهم من الذنوب: القدير على كل شيء، ومن قدرته أن يغفر كل ذنب إذا تبْتَ إليه.

.3ما هو الأثر السلوكي الذي يجب أن يظهر على جوارحك وعملك عندما تستشعر أنك تحت قدرة من بيده كل شيء؟

· في العبادات: تصلي بخشوع، لأن من تخاطبه قادر على كل شيء، فيستجيب دعاءك، ويقبل صلاتك، ويغفر ذنبك .لا تصلي بلا مبالاة كأنك تخاطب جداراً.
· في المعاملات: لا تظلم أبداً، لأنك تعلم أن القدير سينتقم منك إن ظلمت، أو سيعوض المظلوم .قال النبي ﷺ: "اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب".
· في الدعوة إلى الله: لا تتردد في قول الحق أمام ظالم، لأن القدير ناصرك .قال النبي ﷺ: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله".
· في التوبة: لا تيأس من رحمة الله مهما كبر ذنبك، فالقدير على غفرانه.

.4اللمسات البيانية والبلاغية والرسائل النفسية والعقلية من الآية:

· بلاغياً: تقديم "الملك" على "القدرة" رغم أن القدرة سابقة في الوجود) لأنه لا يتم الملك إلا بقدرة (يدل على أن الملك هو الظاهر المشاهد، والقدرة هي الباطن المحرك .وهما معاً ملك وقدرة.
· نفسياً: الآية تحقق التوازن بين الخوف والرجاء ."بيده الملك" تثير الخوف من الملك الجبار، و"على كل شيء قدير" تثير الرجاء في قدرته على الرحمة والمغفرة .فهي تمنع اليأس والأمن من مكر الله.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

تحويل الآية إلى حركة إيمانية يعني أن تترجم مفاهيمها إلى أحاسيس وجوارح وليس فقط إلى معلومات في الرأس. الخطوات العملية:

.1حفظ الآية وتكرارها بخشوع: اقرأها في صلاتك، وفي أذكار الصباح والمساء، وفي أوقات الشدة .لا تقرأها قراءة لسان فقط، بل استشعر معانيها.
.2تمرين "الربط": كلما رأيت شيئاً يدل على الملك) كأن ترى ملكاً عظيماً، أو سفينة ضخمة، أو مؤسسة كبرى(، قل في قلبك: "تبارك الذي بيده الملك" .كلما رأيت شيئاً يدل على القدرة) كإعصار، أو زلزال، أو معجزة طبية(، قل: "وهو على كل شيء قدير".
.3تمرين "التفويض": عندما يهمك أمر، اجلس لحظة وقل: "اللهم أنت مالك الملك، فأنت المالك لقلب فلان ولسانه .اللهم أنت على كل شيء قدير، فأنا أفوض أمري إليك" .هذا التمرين يخفف التوتر والقلق.
.4مراقبة القلب: راقب قلبك في المواقف التي تخاف فيها من مديرك أو من شخص آخر .ذكر نفسك بـ "بيده الملك" .ستجد الخوف يزول تدريجياً، وتتحول إلى شجاعة.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عند الاستيقاظ من النوم .تأمل كيف أعاد الله إليك روحك بعد نوم هو شبيه الموت . هذه قدرة من الله وملك .قل: "تبارك الذي بيده الملك" وحمداً لله على إحيائك.
· الوقفة الثانية: عند تناول الطعام .تأمل كيف حول الله حبة قمح صغيرة إلى رغيف خبز يمدك بالطاقة .هذه بركة من الله .لو لم يبارك الله في الطعام لما نفعك .فاذكر اسم الله عليه.
· الوقفة الثالثة: عند مواجهة مدير متسلط .تذكر أن الملك كله بيد الله، ومديرك لا يملك لك نفعاً ولا ضراً إلا بإذن الله .هذا يمنحك قوة نفسية وأدباً في الحديث) لا تخشع له خشوع العبد، ولا تتجاوز الأدب.(
· الوقفة الرابعة: عند الفشل في مشروع .لا تقل "لقد ضاع كل شيء"، بل قل "تبارك الذي بيده الملك، وإن أخذ شيئاً فبيده ما هو خير منه" .واستعن بـ "وهو على كل شيء قدير" لتعيد بناء ثقتك.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

القراءة الواعية تعني أن لا تمر الآية على قلبك مروراً عابراً، بل تتوقف عند كل كلمة، وتسأل نفسك: "ماذا يعني هذا بالنسبة لي الآن؟"

خطوات التطبيق العملي:

.1في الاقتصاد المنزلي: ضع ميزانية أسرتك على أساس البركة .ابدأ مشترياتك ببسملة، وتصدق ولو بالقليل .سترى كيف يبارك الله في القليل.
.2في العمل الوظيفي: جدد نيتك كل صباح: "أنا أعمل أميناً في ملك الله، راتبي أمانة، ووقتي أمانة" . هذا يجعلك تتقن عملك وتحبه وتجده مباركاً.
.3في العلاقات الاجتماعية: لا تخف من خصم قوي أو جاه، تذكر أن الملك بيد الله .وقل الحق ولو كان عليك .ولا تخف من قطع علاقة تظن أنها مصدر رزقك، فرزقك بيد الله.
.4في التربية: علم أولادك هذه الآية عملياً: إذا ضاع منهم شيء، قل لهم "تبارك الذي بيده الملك، ولعل الله يعطينا خيراً منه" .إذا نجحوا، قل لهم "على كل شيء قدير، فاحمدوا الله" .عندما يرون أنك لا تخاف من مديرك ولا تنحني لأحد إلا لله، سيتعلمون العزة.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة من الآية وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

· الدرس الأول: البركة ليست في الكثرة بل في العلاقة مع الله.
· التطبيق: لا تحسد من يملك مالاً كثيراً وهو عاصٍ لله .واطلب البركة من الله بدلاً من طلب الزيادة العمياء.
· الدرس الثاني: الملك لله يحررك من الخوف.
· التطبيق: امتنع عن الرشوة، وعن المداهنة في الحق، وعن ظلم الضعفاء .ثق بأن الله سيحميك ولو تخلى عنك الناس.
· الدرس الثالث: القدرة الإلهية تمنحك الأمل.
· التطبيق: لا تقل "هذا مستحيل"، بل قل "على كل شيء قدير" .فالقادر على خلق السماوات قادر

على حل مشكلتك.
· الدرس الرابع: أنت أمين لا مالك.
· التطبيق: في كل عمل تقوم به، اشعر بأنك تقدمه لملك الملوك .فلا تغش، ولا تخن، ولا تهمل.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

تغير الآية نظرتك من ثلاث جهات:

.1من النظرة المادية إلى النظرة الروحية: قبل الآية، قد تعتقد أن النجاح هو جمع المال والجاه .بعد الآية، تدرك أن النجاح هو أن تكون عبداً مباركاً، قريباً من الله، حتى لو كنت فقيراً.
.2من النظرة الخائفة إلى النظرة الآمنة: قبل الآية، تخاف من المستقبل، من الناس، من الأسباب .بعد الآية، تشعر بالأمن لأن مالك الملك هو الله، وهو على كل شيء قدير، وهو يحبك ويرعاك.
.3من النظرة العابثة إلى النظرة الهادفة: قبل الآية، قد ترى الحياة عبثاً) نولد نأكل نموت .(بعد الآية، تدرك أن الحياة اختبار عظيم، وأن كل لحظة فيها فرصة لإحسان العمل، والموت ليس نهاية بل بداية الجزاء.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة التفكير السببي المتجاوز: أن تنظر إلى الأسباب المادية كستار، وترى خلفها القدرة الإلهية.
· مهارة التمييز بين البركة والكثرة: أن تعرف متى يكون الشيء كثيراً لكنه غير مبارك، ومتى يكون قليلا ً مباركاً.
· المهارات النفسية:
· مهارة إدارة الخوف: تقنية "إعادة التوجيه" عند الخوف: تذكر أن الملك لله، فتعيد توجيه خوفك من المخلوق إلى الله.
· مهارة تحمل الضغوط: عند الضغط، تقول "على كل شيء قدير" فيهدأ قلبك.
· المهارات العملية:
· مهارة التخطيط مع التوكل: تخطط بدقة كما لو أن النتيجة بيدك، ثم تتوكل على الله وتنام مرتاحاً.
· مهارة الأمانة: أن تتعامل مع كل شيء تحت يدك كأمانة، لا كملك، فتتقنه.

الأمر السابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

نتعلم أن نكون شجعاناً أمناء متوكلين. نتعلم ألا نبيع ديننا بدنيانا، وألا نركض وراء السراب، وألا نخاف إلا من الله. نتعلم أن نعمل في هذه الدنيا كأننا نراها، ونستعد للآخرة كأننا نراها. نتعلم معنى العبودية الحقة، ونعيش حياة مليئة بالبركة والطمأنينة.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد العقدي: التوحيد الخالص، ونفي الملك والقدرة عن كل ما سوى الله، وتقرير أن الله هو الرب المالك المدبر.
.2البعد الوجودي: تفسير الغاية من وجود الإنسان) العبادة والاختبار(، ووجود الحياة والموت، والجزاء.
.3البعد الأخلاقي: تأسيس الأخلاق على مراقبة الله) لأنه المالك القدير(، فينشأ الصدق والأمانة و العدل والشجاعة.
.4البعد النفسي: بناء الأمن والطمأنينة، وتحرير النفس من الخوف والقلق، وتحقيق السكينة.
.5البعد الحضاري: بناء مجتمعات تقوم على العبودية لله، لا على استعباد البشر للبشر، وهذا أساس النهضة الحقيقية.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة التوحيد: أسمى القيم، وهي أساس كل خير.
· قيمة الأمانة: لأننا مستخلفون في ملك الله.
· قيمة الشجاعة: لأننا لا نخاف إلا الله.

· قيمة التوكل: لأن القدرة لله وحده.
· قيمة الرضا: لأن مالك الملك يدبر أمري.
· قيمة النزاهة: لأنني أحاسب على كل ذرة في هذا الملك.
· قيمة الإتقان: لأن العمل عبادة في ملك الله.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الملكية البشرية": هي ملكية محدودة، استعارية، مؤقتة، لا تستحق الخضوع.
· مفهوم "النجاح": هو إحسان العمل لله، وليس جمع المال.
· مفهوم "القوة الحقيقية": هي قوة اليقين بالله، لا قوة المال أو السلطة.
· مفهوم "الضعف الحقيقي": هو الخوف من غير الله، والتعلق بالأسباب.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً: يجب تربية الطفل على أن يرى يد الله وراء كل شيء، وأن البركة من الله، وألا يخاف إلا من الله .يربى على الأمانة في أبسط الأشياء) لأنها ملك الله.(
· نفسياً: الآية تعالج "اضطراب القلق العام" و"الخوف المرضي" و"الوسواس القهري" المرتبط بالأسباب، من خلال إعادة الثقة في القدرة الإلهية.
· فكرياً: الآية تحارب "الإلحاد العملي" الذي يعيشه من ينكر وجود الله في حياته العملية، رغم إيمانه النظري .تنقله من الإيمان المجرد إلى الإيمان المفعل.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: الآية تبني إنساناً متزناً، حراً، آمناً، أميناً، شجاعاً .هذا الإنسان هو لبنة المجتمع القوي.
· تنمية المجتمع: أي مشروع تنموي لا يقوم على أساس "البركة") النزاهة والعدل (وعلى أساس أن المال والمناصب "أمانة" لا "ملك"، فهو مشروع فاشل مهما كثرت أرقامه .الآية تقدم نموذجاً للتنمية الأ خلاقية قبل المادية.

الأمر السادس: دور الآية ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً وصناعة التطور و النهضة في الحياة والمجتمع والحضارة

· ذهنياً: تنتقل بالإنسان من العقلية الجدلية) سبب = نتيجة (إلى العقلية الإيمانية) الله خالق السبب و النتيجة .(هذا يفتح آفاق الإبداع، لأن الإنسان لا يحصر نفسه في الأسباب المألوفة.
· نفسياً: تشفي الإنسان من عقدة الخوف والخنوع، فتصنع شخصية قوية لا تنحني لطاغوت.
· فكرياً: تحطم الأصنام الفكرية الحديثة) علمنة، مادية، شيوعية، رأسمالية متوحشة (التي تجعل من ا لإنسان عبداً للمادة أو للحزب أو للدولة.
· صناعة النهضة: كل نهضة قامت في التاريخ قامت على إيمان الجماعة بقوة أعلى منهم، وبأنهم لا يخضعون إلا لها .عندما يؤمن أمة بأن "تبارك الذي بيده الملك" تنطلق إلى العمل والإبداع، لأنها تعلم أنها تعمل لملك الملوك، وأن الدنيا كلها ملكه، فتنمو روح المسؤولية والإخاء .والنهضة التي لا تقوم على هذا الأساس هي نهضة مؤقتة تتحول إلى إمبريالية وتسلط.

خامساً: التطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى مراجعة مخاوفنا: هل تخاف من مديرك أكثر من خوفك من الله؟ هل ترجو راتبك أكثر من رجائك رحمة الله؟ الآية تدعونا لتعديل هذه الموازين.
· تدعونا إلى إعادة تعريف البركة: توقف عن السعي وراء المزيد والمزيد دون وعي، واجعل همّك طلب البركة من مصدرها.
· تدعونا إلى الأمانة في كل شيء: مهنة، وظيفة، علاقة، مال، وقت، جسد .فأنت مستخلف.
· تدعونا إلى الشجاعة الأخلاقية: قول الحق، نصرة المظلوم، ترك المعصية، كل هذا يصبح سهلا ً عندما نؤمن أن الملك لله.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية (تطبيقات يومية)؟

· كل صباح: قبل أن تبدأ يومك، قل الآية، وجدد نية أنك ستعمل أميناً في ملك الله اليوم .ستشعر بطاقة هائلة.
· كل مساء: حاسب نفسك: هل ظلمت أحداً اليوم؟ هل اغتبت؟ هل أضعت وقتاً؟ تذكر أن الملك لله، وستُسأل .سيساعدك هذا على التوبة والاستغفار.
· في الشدة:) فقدان وظيفة، مرض، خسارة (كرر الآية، وثق أن مالك الملك على كل شيء قدير، وما أخذ منك إلا ليُبدلك خيراً منه.
· في السلطة: لو أصبحت مديراً، تذكر أنك مجرد أمين .لا تستخدم السلطة لظلم مرؤوسيك، ولا تستعبدهم، واعلم أن الله سيسألك عن كل صغيرة وكبيرة.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في مواجهة الفساد الإداري: بدلا ً من أن يكون الفساد ثقافة، نغرس ثقافة "الملك لله، ونحن أمناء" . هذا يخلق جيلا ً لا يقبل الرشوة، ولا يقدم محاباة.
· في مواجهة الخوف من الأنظمة الجائرة: في المجتمعات التي تعاني من ظلم الأنظمة، الآية تمنح الناس الثقة بأن النظام مهما قوته ليس له من الملك شيء، والله قادر على تغييره .لكن مع العمل السلمي الإيجابي.
· في مواجهة الاستهلاكية المفرطة: الآية تعيد التوازن: لستم مالكين مطلقين لثرواتكم، بل عليكم الزكاة والإنفاق، وإلا ذهبت البركة.
· في الإعلام والتكنولوجيا: نصنع محتوى إعلامياً يركز على قصص البركة، ويعزز مفهوم الأمانة، ويحارب الخوف من صناع القرار .ونستخدم التكنولوجيا في نشر هذا الوعي.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب... كم خفقتَ خوفاً من مخلوقين مثلك، وكم رجوتَ من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، وكم ذهبتَ إلى "أصحاب النفوذ" تبحث عن أمانٍ زائف، وكم بكيتَ على مالٍ ذهب أو جاهٍ انتهى.

هذه الآية... هي خلاصك.

أنت يا قلبي، مخلوق ضعيف، تعيش في عالم كل شيء فيه يخيفك: فوات الأجل، مرض عزيز، ظلم قوي، فقر مدقع، وحدة قاسية. فجاءك النداء من السماء:
"تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ"
أي: لا تخف، فمن بيده كل شيء هو الذي خلقك، وهو أرحم بك من أمك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد. كل ما تراه من ملك في هذا الكون هو في قبضته، يقلبه كيف يشاء. وإن ضاقت بك الأسباب، فبيده مفاتيح كل سبب. وإن خانك الناس، فبيده قلوب الناس.

ثم يقول لك: "وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"
أي: لا تيأس. لا تقل "استحال شفائي"، لا تقل "استحال عودة الغائب"، لا تقل "استحال تحقق الحلم". فالذي خلق السماوات بلا عمد، والذي أخرج النار من الشجرة الخضراء، والذي أسرى بمحمد في ليلة إلى السماء... هذا القدير قادر على أن يصنع لك من الهم فرجاً، ومن الضيق سعة، ومن اليأس أملا ً.

فماذا تريد بعد هذا؟
إذا كان مالك الملك هو ربك، وهو يحبك (وهو يحبك، بدليل أنه خلقك وهداك لهذه الآية)، فلماذا الخوف؟ ولماذا الحزن؟ ولماذا الذل؟

ما تريده منك هذه الآية هو:

· أن تطلق سراح قلبك من سجون الناس .لا تعش لتُرضيهم، عش لترضي مالك الملك.
· أن تطلق طاقتك في العمل والإبداع، لأنك تعمل في مملكة واسعة، وعندك حرية هائلة ضمن حدود الله.
· أن تتحول من "عبد للدنيا" إلى "خليفة لله في الأرض" .فلا تستعبد، ولا تظلم، ولا تغش، بل اعمر ا لأرض بالعدل والخير.

ابدأ الآن...
اجلس لحظة، ارفع يديك، وقل بلسانك وقلبك: "اللهم تباركتَ، أنت مالك الملك، وأنت على كل شيء قدير. اللهم إني أستودعك قلبي، فاجعله عامراً بحبك، خالياً من خوف أحد سواك. اللهم إني أسألك

بركة في عمري ومالي وأهلي، وثبتني على هذا اليقين حتى ألقاك".

ردد الآية كل يوم، وخصوصاً في أوقات الضيق: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. اجعلها رفيقة روحك، تغسل بها همومك، وتبني بها أمجادك.

ثانيا

هذا تفسير للآية الثانية من سورة الملك:
{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآية الأولى أثبتت أصلين عظيمين: بركة الله المطلقة، وملكه الكامل، وقدرته الشاملة. والآن تأتي الآية الثانية لتُري العبد أثر هذا الملك والقدرة في خلقه للكون، وتجيب عن السؤال الوجودي الأكبر: لماذا خلقنا الله؟ ولماذا خلق الموت والحياة؟ فهي تفصيل وتطبيق مباشر لمضمون الآية الأولى. فبعد أن عرفت أن الله تبارك وبيده الملك، ها هو يخبرك عن أعظم مظاهر تدبيره: خلق الموت والحياة كاختبار لمعرفة أحسنكم عملا ً.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى: الله هو الخالق للموت والحياة معاً) الموت مخلوق وليس عدماً محضاً.(
· الفكرة الثانية: الغاية من هذا الخلق هي الابتلاء والاختبار الإلهي للإنسان.
· الفكرة الثالثة: معيار النجاح في هذا الاختبار هو "إحسان العمل"، لا كثرته.
· الفكرة الرابعة: صفتا الله المتقابلتان في هذه الآية: العزة) لأهل المعصية (والمغفرة) لأهل التوبة.(

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف الوجودي: تقديم إجابة قاطعة للتساؤل الفلسفي "لماذا نعيش؟"، وتصحيح التصورات الخاطئة التي تقول إن الحياة للهو واللعب، أو إنها نتاج صدفة، أو إن الغاية منها جمع المال والجاه.
· الهدف التربوي: تحويل همّ الإنسان من "كم جمعت؟" إلى "كيف عملت؟" .ومن التركيز على الكم إلى التركيز على الكيف والإحسان.
· الهدف السلوكي: تحفيز الإنسان على أن يكون كل عمل يقوم به) عبادة، وظيفة، علاقة (عملا ً حسناً متقناً خالصاً لله.
· الهدف النفسي: تهدئة روع الإنسان من الموت، وجعله حافزاً لا مقلقاً، وفهم أن الموت ليس نهاية بل انتقال لمرحلة الجزاء.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: مفهوم "خلق الموت والحياة" – إعادة تعريف الوجود

.1تحليل المفردة ودلالاتها:

· "خَلَقَ" : الفعل يدل على الإيجاد من العدم، والإبداع والإتقان .فهو ليس مجرد ترتيب لأشياء موجودة، بل هو إخراج الموت والحياة من العدم إلى الوجود .وهذا يقتضي قدرة مطلقة وحكمة بالغة.
· "المَوْتَ" : قدم الموت على الحياة في الذكر، مع أن الحياة سابقة في الوجود) لأن الموت يطرأ على الحياة .(هذه التقديم تحمل رسائل عظيمة:
· تذكير بنهاية الإنسان: حتى لا يغتر بالحياة، ويعلم أن الموت قادم لا محالة.
· الموت مخلوق: وليس مجرد "عدم" أو "فناء" .فهو شيء موجود له حقيقة، يُخلق ويُرفع .وهذا يزيل الرهبة الخرافية منه، ويجعله هادفاً.
· الموت نعمة في باطنه: لولا الموت لطغت الأرض بالبشر، ولما عُرفت قيمة الحياة، ولما كان هناك حافز للعمل للآخرة.
· "وَالحَيَاة" : الحياة الدنيا المعهودة التي نعيشها من الميلاد إلى الموت .وهي مخلوقة أيضاً بمقدار وأجل محدد.

.2حقيقة الموت عند المؤمن:

الموت ليس فناءً ولا هروباً من المسؤولية، بل هو:

· جسر إلى الآخرة: ينتقل به العبد من دار الابتلاء إلى دار الجزاء.
· من أعظم نعم الله على المؤمن: لأنه يريحه من تعب الدنيا وهمومها، ويلقيه برحمة الله.
· تذكير دائم: يمنع الغفلة والطغيان.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· علاج الخوف من الموت: عندما تعلم أن الموت مخلوق من الله، وليس قوة عمياء، تزول الذعر منه .بل يصبح الموت لقاءً محبوباً إذا كنت مؤمناً .النبي ﷺ قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه".
· تخفيف حدة الفقد: عند موت عزيز، تعلم أنه مخلوق بإرادة الله، وأن له حكمة، وأنه ليس نهاية، بل بداية أفضل لمن كان صالحاً.
· رسالة عقلية:
· تفكيك النظرة المادية للموت: المادية ترى الموت نهاية الوعي والوجود .الآية تعلن أن الموت مجرد حالة انتقالية، وهو مخلوق كالحياة، له ما بعده.
· الموت ليس عقاباً: كثيرون يرون الموت شراً .الآية تعلم أن الموت قد يكون رحمة وقد يكون عقاباً، لكنه في جوهره خلق إلهي هادف.
· رسالة تربوية:
· تربية النفس على ذكر الموت: قال النبي ﷺ: "أكثروا من ذكر هادم اللذات") الموت .(تربي الآية الإ نسان على ألا يغفل عن الموت، فيستعد له بالعمل الصالح.
· تعليم الأولاد أن الموت حق: وليس موضوعاً مخيفاً للتهديد، بل حقيقة نستعد لها بالإيمان والعمل.
· رسالة عملية:
· تنظيم الأولويات: من تذكر الموت، ترك التسويف في التوبة والطاعة) .تطبيق: لا تؤجل صلاتك، لا تؤجل رد المظالم، لا تؤجل بر والديك.(
· تقليل التعلق بالدنيا: لا تبني قصراً تأمل أن تعيش فيه ألف سنة، بل ابن لآخرتك.

المحور الثاني: مفهوم "لِيَبْلُوَكُمْ" – غائية الخلق والابتلاء

.1معنى "يبلوكم" وأبعاده:

"يبلوكم" من البلاء، وهو الاختبار والامتحان، وليس بمعنى الإضرار .وهو اختبار إلهي ليرى) رؤية ظاهرة للجزاء، لا رؤية علم غيب لأن الله يعلمها مسبقاً (من يصبر ومن يشكر، ومن يطيع ومن يعصي.

خصائص هذا الابتلاء:

· عام: كل إنسان مبتلى، ولا يخرج أحد من هذا الاختبار.
· مستمر: من أول لحظة في الحياة إلى آخر لحظة قبل الموت.
· متنوع: بالخير والشر، بالصحة والمرض، بالغنى والفقر، بالقوة والضعف .كما قال تعالى:} وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً.{
· مقصد تربوي: هدفه تنمية الإنسان وصقله، لا التعذيب.

.2أبعاد الابتلاء في الحياة:

· ابتلاء بالطاعة: هل تؤديها بإخلاص؟
· ابتلاء بالمعصية: هل تجتنبها؟
· ابتلاء بالنعم: هل تشكر عليها، وتنفقها في طاعة الله؟
· ابتلاء بالمصائب: هل تصبر وتحتسب؟

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من مفهوم "ليبلوكم":

· رسالة نفسية:
· علاج الاكتئاب الوجودي: كثير من الناس يعانون من السؤال "ما معنى حياتي؟" فيصابون بالا

اكتئاب .الآية تقدم إجابة شافية: أنت مخلوق للاختبار، وحياتك لها هدف عظيم .هذا يمنح الإنسان دافعاً للحياة.
· تحويل الألم إلى هدف: عندما تمر بمشكلة، بدلا ً من أن تشعر أنها ظلم أو عبث، تدرك أنها جزء من اختبارك .فتتحول مشاعرك من اليأس والغضب إلى الصبر والاحتساب والتطوير الذاتي.
· تقبل التنوع والاختلاف: لأن الله يبتلي الناس بأحوال مختلفة، فلا تحسد من هو أفضل منك حالا ً، ولا تحتقر من هو أدنى، فالكل في اختبار.
· رسالة عقلية:
· القضاء على العبثية: الفلسفات المادية ترى الحياة عبثية بلا هدف) نولد ونأكل ونموت .(الآية تثبت أن للحياة غاية هي الاختبار، وهذا يتوافق مع العقل السليم الذي يرفض العبث.
· تصحيح مفهوم العدل الإلهي: كثير من الناس يعترضون: لماذا يعيش الكافر في نعيم والمؤمن في شدة؟ الآية تجيب: هذه هي دار الابتلاء، والنعيم أو الشدة هما نفس الاختبار .والعدل الحقيقي في الآ خرة حيث الجزاء.
· رسالة تربوية:
· تربية الصبر: تعليم النفس والصغار أن المشكلات ليست عقاباً بالضرورة، بل هي فرصة للنمو و الترقي .قال النبي ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير..."
· تربية الشكر: الابتلاء بالنعم يعني أن نشكر الله بها، لا أن نطغى.
· رسالة عملية:
· التخطيط للحياة كاختبار: بدلا ً من التخطيط لمتعة الحياة فقط، خطط للنجاح في الاختبار . حدد أهدافاً لأعمالك الصالحة، وتوبتك، وصدقتك، وبرك بوالديك.
· استثمار الوقت: لأن كل لحظة هي سؤال في الامتحان .فلا تضيع وقتك في ما لا ينفعك.

المحور الثالث: مفهوم "أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" – معيار التفاضل الحقيقي

.1لماذا "أحسن عملا ً" وليس "أكثر عملا ً"؟

هذا هو لبّ الآية. المعيار عند الله ليس الكم، بل الكيف. فقد يكون شخص عمله قليل لكنه أحسن عم لا ً، وآخر كثير لكنه سيئ.
"أحسن عملا ً" تشمل:

· إخلاصه: أن يكون لله وحده لا شريك له.
· صدقه: أن يكون مطابقاً للسنة وشرع الله.
· إتقانه: أن يؤديه بأفضل صورة ممكنة .قال النبي ﷺ: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا ً أن يتقنه".
· نفعه للخلق: أن يكون عملا ً نافعاً للمجتمع والبشرية.

.2الفرق بين "حسن العمل" و"كثرة العمل":

· حسن العمل: قد يكون قليلا ً لكنه مقبول، يثمر بركة ونماء.
· كثرة العمل بدون إحسان: كزرع في أرض سبخة، لا ينبت إلا قليلا ً .أو كمن يصلي كثيراً لكنه مراء، فيذهب ثوابه.

.3كيف نحقق "أحسن عملا ً"؟

· تجديد النية: قبل كل عمل، استحضر أنك تفعله لله.
· التعلم: لا تعبد الله بجهل، تعلم كيف يكون العمل الصحيح.
· الإتقان: أعط العمل حقه، لا تهمل ولا تستهن.
· المتابعة: استمر على العمل الصالح، أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من "أحسن عملا ً":

· رسالة نفسية:
· علاج عقدة الشعور بعدم القيمة: كثيرون يشعرون أنهم لا يفعلون شيئاً ذا بال مقارنة بغيرهم .الآ ية تطمئنهم: ليس المطلوب الكثرة، بل الإحسان .فرب عمل قليل مخلص أفضل من بحر من الرياء.
· السعي للإتقان كمصدر للرضا النفسي: عندما تتقن عملا ً تشعر بالفخر والإنجاز، وهذا يعزز صحتك النفسية.

· التخلص من الغيرة والحسد: لأنك تركز على إحسان عملك أنت، لا على أعمال الآخرين.
· رسالة عقلية:
· نقد الحضارة المادية: التي تركز على الكم) كم أنتجت؟ كم ربحت؟ كم مساحة بيتك؟ .(الآية تأسس لمفهوم آخر: الأهم هو الإحسان والجودة والقيمة النوعية.
· إعادة تعريف "السباق" في الحياة: لا تسابق الناس على جمع المال والجاه، بل تسابقهم على الإ حسان} .وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ.{
· رسالة تربوية:
· تربية الأبناء على الإتقان: علمهم أن لا يهملوا واجباتهم، وأن يبذلوا أقصى ما لديهم في كل مهمة صغيرة وكبيرة.
· تربيتهم على الإخلاص: خصص لهم جوائز على الأعمال الصالحة التي يفعلونها لله سراً.
· رسالة عملية:
· في العمل الوظيفي: لا تكتفِ بأداء الحد الأدنى، بل اسعَ للإتقان والتطوير المستمر.
· في العبادات: صلاتك بخشوع، وزكاتك عن طيب نفس، وصومك بضبط النفس.
· في العلاقات: أحسن معاملة زوجتك وأولادك وجيرانك، فذلك عمل حسن.

المحور الرابع: مفهوم "وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ" – التوازن بين الرهبة والرجاء

.1دلالة ختم الآية بهاتين الصفتين:

الآية بدأت بخلق الموت والحياة، ثم الابتلاء، ثم معيار الإحسان. وختمت بصفتين متقابلتين:

· العزيز: القوي الذي لا يغلب، المنتقم من أعدائه، العزيز في ملكه وسلطانه.
· الغفور: الكثير المغفرة لمن تاب واستغفر، الستّار لذنوب عباده.

لماذا هذا الختم؟
لأن نتيجة اختبار "أحسن عملا ً" ستظهر يوم القيامة:

· من أحسن العمل فله الجنة برحمة الله.
· ومن أساء العمل وتمرد، فالله عزيز لا يضيع حقه، وسينتقم من الظالمين.
· وفي الوقت نفسه، باب المغفرة مفتوح لمن يراجع نفسه ويتوب قبل الموت.

.2كيف يؤثر هذان الاسمان في حياة العبد؟

· العزيز: يزرع في قلب المؤمن هيبة الله، فلا يجرؤ على معصيته، ويصبر على أذى الخلق لأنه يعلم أن العزة لله جميعاً.
· الغفور: يزرع الأمل، فلا ييأس من رحمة الله مهما عظم ذنبه، ويبادر بالتوبة.

.3العلاقة بين "العزيز" و"الغفور" في الآية:

· لو كان عزيزاً فقط، لانقطع الأمل.
· ولو كان غفوراً فقط، لاتجرأ الناس على المعصية بلا خوف.
· لكن اجتماعهما يخلق التوازن المطلوب: خوف يمنع من الذنب، ورجاء يدعو للتوبة.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من "العزيز الغفور":

· رسالة نفسية:
· علاج اليأس والقنوط: الإنسان الذي أذنب كثيراً قد يشعر أنه لا مغفرة له، فيستمر في الذنب أو ينتحر .اسم "الغفور" يمنحه فرصة جديدة .قال تعالى:} لا تقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ.{
· علاج الكبر والغرور: العزيز يذكر المتكبر بأن العزة الحقيقية لله، وأي عزة بشرية هي زائلة ومستعارة.
· التوازن النفسي: يمنع الانزلاق إلى رعب المرض النفسي) من عذاب الله (أو إلى اللامبالاة .يجعلك تعيش بين الخوف والرجاء، وهي أفضل حالات النفس البشرية.
· رسالة عقلية:
· رد على من يقول: كيف يجمع الله بين العزة والمغفرة؟ العزة لا تمنع المغفرة لمن يستحقها، بل المغفرة من عزته وكرمه .والانتقام من العاصي المتكبر من عزته.

· العزة لله لا تنافي إمهال العصاة: إمهالهم ليس ضعفاً، بل حكمة وستار) من الغفور (ثم ينزل بهم العذاب) من العزيز.(
· رسالة تربوية:
· تربية النفس على الخوف والرجاء معاً: لا تكن مفرطاً في الأمن من مكر الله، ولا مفرطاً في اليأس من روح الله.
· تربية الأبناء على المغفرة والعزة: علمهم أن يسامحوا) الغفور (وأن يكونوا أعزة بالله لا أذلاء للناس) العزيز.(
· رسالة عملية:
· بين الرهبة والرجاء في حياتك: إذا هممت بمعصية، تذكر عزة الله) أنت لا تستطيع الهروب منه .(وإذا أذنبت، بادر بالتوبة متذكراً غفوره.
· في التعامل مع الآخرين: كن عزيزاً في موقفك) لا تتنازل عن المبادئ (وغفوراً في حق شخصك)سامح من ظلمك.(

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

تحويل هذه الآية إلى حركة داخلية يعني أن تغير علاقتك بالحياة والموت والعمل. الخطوات العملية:

.1تمرين "معنى حياتي" : كل صباح، اسأل نفسك: "ما هو أحسن عمل سأقوم به اليوم لله؟" .اكتبه، واعزم على فعله .اجعل شعارك: "اليوم سأحسن عملا ً واحداً على الأقل".
.2تمرين "استحضار الموت" : خصص دقيقة قبل النوم تتذكر فيها أن الموت حق، وتتساءل: "لو متُّ الليلة، هل سألقى الله بأحسن عملي؟" .هذا يدفعك للتوبة والاستغفار.
.3تمرين "التوازن بين الخوف والرجاء" : عندما تذنب، لا تيأس وقل: "ربي غفور"، ثم تب .وعندما تهم بمعصية، تذكر: "ربي عزيز" فلا تخف منه ولا تتجرأ.
.4تحويل المصائب إلى فرص: أي مشكلة تواجهها، قل: "هذا ابتلاء من العزيز الغفور، ليرى أحسن عملي، فماذا سأفعل؟" ستجد نفسك تصبر وتحتسب، وهذا هو أحسن العمل في تلك اللحظة.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عند زيارة قبر .تأمل الموت كحقيقة .وتذكر أن هذا الميت كان حياً مثلك، وقد ابتُلي، وسيُجزى الآن على أحسن عمله .فماذا أعددت لنفسك؟
· الوقفة الثانية: عند النجاح في امتحان أو مشروع .لا تغتر، بل قل: "الحمد لله، هذه لحظة ابتلاء، و النجاح ليس نهاية الطريق، بل لا يزال الاختبار مستمراً .سأحسن العمل في هذه النعمة بالشكر".
· الوقفة الثالثة: عند الفشل أو المصيبة .لا تقل "لماذا أنا؟"، بل قل: "هذا اختبار من العزيز الغفور . سأصبر وأحتسب، وسأحاول تحسين أخلاقي وردة فعلي .هذا أحسن عمل في هذه الحالة".
· الوقفة الرابعة: عند الشعور باليأس من المغفرة .تذكر أن الله غفور، وأنه يغفر الذنوب جميعاً .لكن لا تتخذ من ذلك رخصة للتمادي، بل خذ وقفة عزم على التوبة.
· الوقفة الخامسة: عند رؤية من يعمل عملا ً سيئاً .لا تتعالى عليه، فقد يكون عمله هذا أخف من رياءك أو كبريائك .وتذكر أن المعيار هو "أحسن عملا ً" وليس المظاهر .وادعُ له بالهداية.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

القراءة الواعية تعني أن تتساءل بعد كل جزء من الآية: "كيف سأترجم هذا إلى فعل؟"

· "خلق الموت والحياة" : ترجمة عملية: اكتب وصيتك اليوم، واجعل فيها توجيهات لأهلك بالتقوى و الصدقة .زُر قبراً مرة في الشهر .جهز كفناً .هذه أفعال تذكرك بالموت وتحوله من فكرة إلى سلوك.
· "ليبلوكم" : ترجمة عملية: تعامل مع كل صعوبة كسؤال امتحان .بدل أن تتذمر، اكتب: "ما الذي يريد الله أن يعلمني إياه من خلال هذه التجربة؟" .قد يكون درساً في الصبر، أو التواضع، أو الشكر.
· "أيكم أحسن عملا ً" : ترجمة عملية: قيّم أعمالك يومياً بنظام "جودة الإحسان" .كم عملا ً أتقنته اليوم؟ كم عمل أخلصته لله؟ استخدم مقياساً من 1 إلى .10 احتفظ بدفتر "حسناتي" وسجل فيها الأ عمال التي أتقنتها وأخلصتها.
· "وهو العزيز الغفور" : ترجمة عملية: عندما يظلمك شخص، تذكر عزة الله، فقل: "حسبي الله ونعم الوكيل" ولا تظلمه رداً .وعندما تذنب، اذهب فوراً وتوضأ وصل ركعتين واستغفر، فهذا تجسيد لغفوره.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة من الآية وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

· الدرس الأول: الموت ليس نهاية بل بداية.
· التطبيق: خطط لحياتك الأبدية بقدر ما تخطط لسنة قادمة .استثمر في الآخرة مثلما تستثمر في الدنيا.
· الدرس الثاني: الحياة اختبار، فلا تغتر بالنعمة ولا تيأس من الشدة.
· التطبيق: في النعم، اشكر أكثر .في الشدائد، اصبر وتعلم .لا تفرح كثيراً ولا تحزن كثيراً.
· الدرس الثالث: معيار التفاضل هو الإحسان في العمل.
· التطبيق: اتقن كل عمل تقوم به، حتى أصغر الأمور) مثل غسل الصحون أو ترتيب السرير (إذا نويت به النفع والعبادة.
· الدرس الرابع: العزة لله فلا تذل لغيره، والغفران لله فلا تيأس من رحمته.
· التطبيق: كن عزيزاً بالله: لا تركع لظالم، لا تنحني لمتسلط .وكن متفائلا ً: مهما أذنبت فباب التوبة مفتوح.
· الدرس الخامس: الخوف والرجاء معاً هما مفتاح السعادة.
· التطبيق: لا تكن متواكلا ً فتترك العمل) خوف من عذاب الله يحفزك(، ولا تكن مفرطاً في الأمن فتتهاون في الطاعة) رجاء المغفرة يمنع اليأس.(

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من النظرة المادية إلى النظرة الروحية: الحياة لم تعد مجرد "استهلاك وإنتاج"، بل هي رحلة اختبار لبناء شخصيتك الأبدية .كل لحظة لها قيمتها في ميزان الإحسان.
.2من النظرة الخائفة من الموت إلى النظرة المستقبلة له: الموت لم يعد فاجعة مخيفة، بل دليل نجاح في الاختبار إذا كنت محسناً .تصبح نفسية المؤمن تجاه الموت مثل نفسية الطالب قبل الا متحان: يتمنى أن يأتي ليرتاح من المذاكرة ويعرض إنجازه على أستاذه.
.3من النظرة المتعالية على الآخرين إلى النظرة المتواضعة: لأنك لا تعلم من هو "أحسن عملا ً" .قد يكون الفقير الذي يتصدق بتمرة أفضل عند الله من الغني الذي يتصدق بألف.
.4من النظرة القلقة إلى النظرة المطمئنة: العزيز الغفور يدبر أمرك .عزيز يحميك، وغفور يغفر لك .هذا يجلب الطمأنينة.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة التفكير الغائي: أن تسأل دائماً عن "الغاية" وراء الأحداث، بدلا ً من الاكتفاء بالسبب المباشر) .لماذا حدث هذا؟ ما الذي يختبرني به الله؟(
· مهارة التمييز بين الإحسان والكثرة: معرفة أن جودة العمل أهم من كميته.
· مهارة الموازنة بين الخوف والرجاء: التطبيق العملي لقاعدة "لا تيأس ولا تأمن".
· المهارات النفسية:
· مهارة تحويل الخوف من الموت إلى دافع للحياة: استخدم ذكر الموت لتزيد إنتاجيتك الصالحة، لا لتشل حركتك.
· مهارة التعامل مع الإحباط: لأنك تعتبر كل عثرة جزءاً من الابتلاء، فتتعافى بسرعة.
· مهارة التسامح والعزة معاً: أن تمسك عن الانتقام) غفور (ولا تظهر بمظهر الضعيف المهان) عزيز.(
· المهارات العملية:
· مهارة التقييم الذاتي اليومي: خصص 5 دقائق آخر اليوم لتسأل: "أين أحسنت عملي اليوم؟ وأين قصّرت؟".
· مهارة وضع الأهداف الإحسانية: بدلا ً من أهداف كمية) أقرأ 10 صفحات(، اجعل أهدافك نوعية)أقرأ صفحة واحدة بتدبر وأعمل بها.(
· مهارة الصبر على البلاء: تدريب النفس على الكظم وعدم الشكوى للخلق، والشكوى لله فقط.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد الوجودي) الأنطولوجي(: يحدد طبيعة الوجود البشري على أنه ابتلاء واختبار، لا عبث ولا لهو.
· البعد الأخلاقي: يضع "الإحسان" و"جودة العمل" كأعلى معيار للقيمة الأخلاقية، متفوقاً على الكم.

· البعد النفسي: يؤسس لعلم نفس إسلامي يقوم على تقبل الموت، وتحويل الألم إلى هدف، والتوازن بين الرجاء والخوف.
· البعد التربوي: يقدم منهجاً لتربية الإنسان على المسؤولية والإتقان والصدق مع الله والنفس.
· البعد الاجتماعي: إذا آمن المجتمع بأن الحياة اختبار، تنمو فيه قيم الصبر والمنافسة في الخير و التسامح.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة الإحسان: أعلى القيم السلوكية.
· قيمة الصبر: في مواجهة الابتلاء.
· قيمة الشكر: على نعم الابتلاء الخفية.
· قيمة العزة: بالله لا بالمخلوقين.
· قيمة المغفرة: للآخرين وللنفس) بالتوبة.(
· قيمة الموت الإيجابي: كحقيقة محفزة لا كمحنة مشلولة.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الاختبار" بدلا ً من "المشكلة": فكر في أي موقف صعب على أنه "اختبار من العزيز الغفور ليرى أحسن عملي"، وليس "مشكلة لا حل لها" .هذا يغير طريقة تعاملك معه كلياً.
· مفهوم "الحياة - الموت" كوحدة متكاملة: لا تفصل بينهما .عش حياتك في ضوء الموت، واستعد للموت في أثناء حياتك.
· مفهوم "العمل الحسن" كاستثمار أبدي: كل عمل تقوم به بنية صالحة هو رصيد لك في الآخرة لا ينفد.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً: يجب أن نربي أطفالنا على:
· أن الحياة دار اختبار، فلا يجزعوا من الفشل بل يتعلموا منه.
· أن الموت حق طبيعي، فإذا مات حيوانهم الأليف أو قريبهم، نفسر لهم ذلك كجزء من خلق الله.
· أن الإتقان في أصغر الأمور هو طريق محبة الله.
· نفسياً: الآية تقدم علاجاً ل-:
· اضطراب التكيف: عندما يواجه الشخص تغييراً كبيراً) فقدان وظيفة، مرض (يعتبره اختباراً فيتكيف بشكل أفضل.
· الخوف المرضي من الموت) ثاناتوفوبيا(: بإعادة تعريف الموت كخلق إلهي وبداية جديدة.
· فكرياً: الآية تنقد الفكر المادي والإلحادي الذي يرى أن غاية الحياة هي اللذة المادية، وتؤسس لنموذج إلهي هادف.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: الآية تبني إنساناً "محسناً" يبذل أفضل ما لديه في كل عمل، متقناً، مخلصاً .هذا الإ نسان هو أثمن موارد التنمية.
· تنمية المجتمع: مجتمع يؤمن بأن الحياة اختبار ستكون فيه:
· نزاهة: لأنه يخشى أن يخسر الاختبار بالغش.
· إتقان: لأنه يريد أن يكون "أحسن عملا ً".
· إبداع: لأن الإحسان يدفع للتطوير المستمر.
· تماسك اجتماعي: لأن المصائب تفهم على أنها اختبارات مشتركة، فيتعاونون.

الأمر السادس: دور الآية ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً وصناعة التطور و النهضة في الحياة والمجتمع والحضارة

· ذهنياً: تحويل العقل من التفكير الآني) لمتعة الحال (إلى التفكير طويل المدى) لحسن العاقبة في الا ختبار .(هذا ينتج تخطيطاً استراتيجياً وليس ردود فعل لحظية.
· نفسياً: صناعة شخصية "المرن الذي يواجه الصدمات والصعاب بقوة، لأنه يراها جزءاً من الاختبار ونافذة للتطور .هذا هو أساس النهضة النفسية.
· فكرياً: نقد فكرة "التقدم المادي فقط" واستبدالها ب- "التقدم الإنساني الشامل" الذي يقيس التطور

بجودة الإنسان وأخلاقه، لا بناتجه المادي وحده.
· صناعة النهضة: كل نهضة حقيقية قامت على همّة أفراد أرادوا أن يكونوا "أحسن عملا ً" .عندما يمتلئ المجتمع بهذه الروح، يتحول من مجتمع مستهلك إلى مجتمع منتج مبدع .والآية تقدم الدافع ا لأعمق: هذا العمل يحدد مصيرك الأبدي.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى مراجعة تقييمنا لأعمالنا: توقف عن سؤال "كم عملت؟" واسأل "كيف عملت؟" .فكر في جودة عملك الوظيفي، وصدق نيتك في عملك التطوعي.
· تدعونا إلى مواجهة الموت بوعي: اكتب وصيتك، وتحدث مع أسرتك عن الموت كأمر طبيعي، وخطط للرحلة الأخيرة.
· تدعونا إلى الصبر النشط في الشدائد: لا تبقَ سلبياً، بل حين تمر بأزمة، اسأل: "ما هو أحسن عمل يمكنني القيام به الآن في هذه الظروف؟" ربما يكون: دعاء، صلة رحم، أو تطوير مهارة جديدة.
· تدعونا إلى التوبة الفورية: لأن الله غفور، فلا تؤجل التوبة .وأن تكون أعزاً بالله فلا تخضع لظلم أو باطل.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية (تطبيقات يومية)؟

· نتعلم كيف نربي أولادنا: علمهم أن المدرسة هي نموذج مصغر للاختبار الإلهي: النجاح بالإتقان، و الرسوب بالإهمال .وشجعهم على "أحسن عمل" وليس فقط على الدرجة النهائية.
· نتعلم كيف نتعامل مع ضغوط العمل: كل مهمة صعبة تعتبر اختباراً لصبرك وإتقانك .فتؤديها بأفضل وجه لتكن من "أحسن عملا ً".
· نتعلم كيف نتجاوز الخيانة: إذا خانك شخص، تذكر أن الله عزيز، فتوكل عليه، واغفر له) اقتداء بـ الغفور (ولا تحقد.
· نتعلم كيف ننظر للمرض: هو اختبار وفرصة للتكفير عن الذنوب ورفع الدرجات .فتتعامل مع الطبيب والأدوية كأسباب، لكن قلبك معلق بالعزيز الشافي.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في المؤسسات والشركات: تبني ثقافة "الإحسان" بدلا ً من ثقافة الكم فقط .مكافأة الموظفين على الإتقان والجودة والابتكار، وليس فقط على عدد ساعات العمل أو حجم المبيعات.
· في وسائل الإعلام: إنتاج محتوى يعزز قيمة "أحسن عملا ً"، ويقدم قصصاً لأشخاص أتقنوا عملهم لله، وللناس نماذج عملية عن الصبر في الابتلاءات.
· في المناهج التعليمية: إدخال مفاهيم "الغاية من الحياة" و"الاختبار" و"الإحسان" كمادة دراسية ضمن التربية الإسلامية أو التربية الأخلاقية، مع تدريبات عملية.
· في المجال الصحي النفسي: إدماج مفهوم "الابتلاء الإيجابي" في جلسات العلاج النفسي لمرضى القلق والاكتئاب، كبديل عن النظريات المادية التي ترى الألم مجرد خلل كيميائي.
· في مواجهة ثقافة الاستهلاك واللهو: تقديم هذه الآية كبديل حضاري يملأ فراغ المعنى، فيصبح الشباب أكثر جدية وهدفاً، وينخرطون في بناء المجتمع بدلا ً من تضييع الوقت.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب... كم حملتك الحياة من هموم، وكم أتعبتك الأسئلة: لماذا نعيش؟ لماذا نموت؟ لماذا الألم؟ لماذا الفرح؟

اليوم، تمسك هذه الآية بيدك وتجلسك جلسة صادقة مع نفسك.

تقول لك: لقد خلقتُ الموت والحياة..

لا تخف من الموت. الموت ليس وحشاً يفترسك. هو مخلوق مثلك تماماً، خلقه الله بأمره. هو صديقك إذا كنت مؤمناً، يأخذك من سجن الدنيا إلى روضة الجنة. فكفى خوفاً. استعد له بالعمل الصالح، لكن لا تدع الخوف يشل حياتك.

وتقول لك: لِيَبْلُوَكُمْ..

نعم، كل ما تمر به - مرض، فقدان، فشل، نجاح، غنى - هو اختبار. ليس عقاباً دائماً، ولا حظاً أعمى. إنه امتحان من العزيز الحكيم. وأنت في قاعة الامتحان الآن. كل يوم سؤال. كل نفس فرصة للإ جابة.

وتقول لك: أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا ً..

لا تقلق إذا كنت لا تصلي ألف ركعة، أو لا تتصدق بملايين. المطلوب هو الإحسان. إحسانك في صلا تك، في عملك، في كلمة طيبة، في بسمة في وجه أخيك. تلك هي الدرجات. فاجتهد في أن تكون أتقن الناس في عملك، وأخلصهم في عبادتك، وأصدقهم في نيتك. هذا يكفيك.

وتقول لك: وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ..

إذا أذنبت، فلا تيأس. الباب مفتوح. هو غفور، يستر عليك ويعفو عنك. فقط تب وعد. وإذا ظلمك ظ الم، فلا تخف. هو عزيز، قادر على رد الظلم ونصرتك. فكن عزيزاً بالله، لا تذل لأحد.

يا قلب،

حين تقرأ هذه الآية غداً في سورة الملك، لا تمر عليها مروراً عابراً. قف عندها طويلا ً. تذكر أن حياتك ليست عبثاً، وموتك ليس نهاية، وعملك ليس هباء، وذنبك ليس بلا غفران، وظلم الناس ليس بـ لا حساب.

عش كأنك في امتحان. أتقن كل ورقة تسلمها. وصلّ قبل أن يُرفع القلم. وتوب قبل أن ينطق فمك بـ الشهادة.

ثالثاً

هذا تفسير للآيتين الثالثة والرابعة من سورة الملك:

}الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ(4)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآيات السابقة أثبتت أن الله هو "تبارك" صاحب البركة المطلقة، و"بيده الملك" صاحب التصرف الكامل ، و"على كل شيء قدير" صاحب القدرة الشاملة .ثم بينت الآية الثانية أن من آثار هذه القدرة والملك خلقه الموت والحياة ابتلاءً ليرى أحسن عملا ً، وختمها باسميه "العزيز الغفور" .والآن تأتي الآية الثالثة والرابعة لتعرض أول وأعظم دليل مادي مرئي على هذه القدرة والملك: خلق السماوات السبع . فهي تنتقل من الإخبار النظري إلى المشهد الكوني العملي، وتدعو العبد إلى النظر والتفكر والتأمل، بل وإعادة النظر مراراً، ليصل إلى يقين راسخ بعظمة الخالق وجمال صنعه، ومن ثم يتولد في قلبه الحب الذي يدفعه إلى إحسان العمل الذي ذكر في الآية السابقة .فالسماء هي "الآية البصرية" التي تلي "الآ ية الخبرية" في أول السورة.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآيات:

· الفكرة الأولى: الله هو خالق سبع سموات متميزة بعضها فوق بعض) طباقاً.(
· الفكرة الثانية: خلق الله) الرحمن (خالٍ تماماً من أي تفاوت أو خلل أو نقص أو اضطراب.
· الفكرة الثالثة: تحدٍّ إلهي للإنسان بأن ينظر ويكرر النظر في السماء لعله يجد أي عيب أو شق أو فطور.
· الفكرة الرابعة: نتيجة هذا التحدي: عجز البصر وخذلانه وحسرته عن اكتشاف أي خلل، مما يؤكد كمال الخلق وإبداع الخالق.
· الفكرة الخامسة: ربط اسم "الرحمن" بهذا الخلق المتقن الجميل، لإظهار أن رحمته تعالى اقتضت هذا الإتقان وهذا الجمال ليكون باعثاً على حبه وشكره.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إقامة الحجة البصرية على وحدانية الله وكمال قدرته، وتفنيد كل شبهة المشككين الذين يرون الكون نتاج صدفة أو تطوّراً أعمى.
· الهدف النفسي: غرس محبة الله في القلوب من خلال مشاهدة الجمال المطلق في خلقه، وجذب النفوس إليه بحب لا إكراه فيه، كما يغرس الشعور بالرهبة من عظمته.
· الهدف المعرفي) المنهجي(: تعليم الإنسان أسلوب البحث العلمي القائم على إعادة التجربة والتكرار و النظر العميق المتأمل، وعدم الاكتفاء بالنظر السطحي.
· الهدف العملي: توجيه الإنسان إلى تنظيم حياته على نمط هذا الكون المنتظم الخالي من الاضطراب والخلل، في علاقاته مع الله ومع الناس.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآيات

المقدمة: استخدام الاسم الموصول "الذي" وربطه بما قبلها

بدأت الآية ب{ الذي خَلَقَ {...والاسم الموصول هنا يعود على الله الموصوف في الآية الأولى ب "تبارك" و"بيده الملك" و"على كل شيء قدير" .هذا الربط يفيد أن خلق السماوات السبع ليس حدثاً منفصلا ً، بل هو أثر مباشر ومتجسد لتلك الصفات الإلهية العظيمة .فهو:

· أثر لقدرته المطلقة: الذي بيده الملك قادر على خلق هذا الكون الهائل.
· أثر لبركته: الذي تبارك، فخلقه مبارك مليء بالخير والحكمة.
· أثر لربوبيته: المالك الحقيقي هو من خلق الملك.

وهذا يزرع في العبد أن النظر في الكون هو في الحقيقة نظر في صفات الله وآياته، مما يرفع التأمل من مجرد إعجاب مادي إلى عبادة قلبية.

المحور الأول: مفهوم "خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا" – العلو المطبّق والإتقان المبني

.1تحليل "سبع سموات طباقاً":

· سبع سموات: إشارة إلى تعدد الأكوان أو الأطباق السماوية، وهذا مما لا يدركه العلم الحديث كله بعد، لكنه يثبت عظمة الخالق وسعة ملكه.
· طباقاً: جمع "طِباق" أو "طَبَق"، أي بعضها فوق بعض كالطبقات، متطابقة متلاصقة متسقة .وهي صيغة تدل على:
· الترتيب الطبقي المحكم: ليس فوضى، بل بناء هرمي متقن.
· الملاءمة والتطابق: كل طبقة مناسبة لما فوقها وتحتها، بدون فجوات أو تناقضات.
· الإحاطة والقهر: السماوات تحيط بالأرض وتعلوها، دليل على هيمنة الله وقدرته.

.2دلالات خلق السماوات بهذه الصفة:

· نفي الحاجة إلى دعائم: قال تعالى في آية أخرى:} خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا{، ف"طباقاً" تعني أنها مرفوعة بقدرة الله لا بعمد، وهذا يثير الدهشة والإجلال.
· التعبير عن منتهى الحسن والجمال: التطابق والترتيب من أسمى معاني الجمال في التصميم الهندسي والمعماري .فالله جعل السماء كمبنى معجزة لا تشوبها شائبة.
· خطاب للعقل والمشاعر معاً: خطاب للعقل بمشاهدة هذه القدرة اللامحدودة، وخطاب للمشاعر برؤية هذا الجمال الذي يشرح الصدر ويدفع إلى الحب.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· علاج الشعور بالضآلة والوحدة: حين ترى هذا الاتساع والتنظيم، تدرك أنك جزء من منظومة كبرى ، فتطمئن وتزداد ثقتك بأن مدبر هذا الكون يدبر أمرك.
· إثارة روح الدهشة والخيال: الطفل الذي ينظر إلى السماء المرصعة بالنجوم يشعر بالرهبة الجميلة،

الآية تغذي هذه الدهشة وتحولها إلى إيمان.
· رسالة عقلية:
· تفنيد نظرية الصدفة: الاحتمالات الرياضية لوجود سبع طبقات بهذا التطابق بالصدفة تساوي صفراً . إتقان التصميم يتطلب مصمماً حكيماً.
· تأسيس عقلية "النظام" و"الترتيب": إذا كان خالق الكون نظم خلقه طباقاً، فعلى الإنسان أن ينظم حياته وعلومه ومعاملاته على هذا النمط.
· رسالة تربوية:
· تربية الأبناء على حب النظام والترتيب: من خلال أمثلة السماء الطباقية، نغرس فيهم أن التميز في الإتقان.
· تربيتهم على التفكر في عظمة الله: بمشاهدة السماء ليلا ً وطرح أسئلة مثل "كم طبقة ترى؟" "من رفعها بلا عمد؟".
· رسالة عملية:
· في الهندسة والعمارة: الإلهام من "طباقاً" لتصميم هياكل متطابقة محكمة، متعددة الطبقات، مقاومة للاهتزاز، تستلهم إتقان السماء.
· في إدارة المشاريع: تقسيم العمل إلى طبقات) مراحل (متكاملة متوافقة، كل طبقة تخدم التي تعلوها والتي تحتها.

المحور الثاني: مفهوم "مّا ترَىٰ في خَلقِ الرَّحمٰنِ من تفاوُتٍ" – نفي الخلل وإثبات الإتقان الجمالي

.1معنى "تفاوت":

التفاوت هو الاختلاف والتباين الذي يؤدي إلى عدم التجانس والخلل .نفيه هنا يعني:

· لا خلل في التركيب: لا تصدعات، لا انحرافات، لا نقص في أي جزء.
· لا اضطراب في الحركة: الأفلاك تجري بنظام دقيق لا تصادم فيه ولا اختلاف في السرعات يؤدي إلى فوضى.
· لا تفاوت في الجمال: كمال الجمال من كل زاوية، لا بقعة قبيحة، لا تنافر في الألوان.

.2لماذا قال "خَلقِ الرَّحمٰنِ" وليس "خلق الله"؟) لمسة بيانية عظيمة(

ذكر صفة "الرحمن" هنا تحديداً له سرّ بديع:

· الرحمة تقتضي الإتقان والجمال: الرحيم بعباده لا يخلق لهم سماءً مهددة بالانهيار أو مشوهة المنظر . فهو أرحم بهم من أن يريهم ما يقبّح أعينهم أو يهدد حياتهم.
· جمال الكون من رحمته: جعل الله الكون جميلا ً لينشرح به صدر عبده، فهذه رحمة .وجعله متقناً ليكون مأمون الجانب، فهذه رحمة أيضاً.
· الرحمن اسم جامع للجمال والجلال: فهو ذو الرحمة الواسعة، والجمال المطلق، والإحسان الشامل . فخلقه في غاية الحسن والإحسان.
· ربط إلى اسم "الغفور" في الآية السابقة: الغفور للذنوب، والرحمن في خلقه، كلاهما من رحمته.

.3كيف أن خلو السماء من التفاوت يدل على جمال الله وجلاله؟

عليك ان تدرك ان القلوب بطبيعتها تحب رؤية الجمال .والله يحب الجمال ويحب أهله، ويبغض القبيح .فوضع هذا المشهد الجميل المتناسق في الأفق لتتعلق به القلوب، وتشتاق إلى خالقه، وتترك الجُحشه) القبح (وتنفر من المعاصي القبيحة .فمشاهدة السماء الصافية ليلا ً، أو النجوم المنتظمة، أو السحب المتراكمة بشكل بديع، كلها تبعث في النفس انشراحاً وراحة واطمئناناً، وهذا كله من رحمة الله بنا، وهو وسيلة لمعرفته ومحبته دون إكراه أو ضغط.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· العلاج بالجمال : الآية توجه الإنسان إلى النظر إلى الجمال الكوني كعلاج للاكتئاب والضيق .عندما تحزن، انظر إلى السماء، ستجد نظاماً وجمالا ً يرد إليك طمأنينتك.
· غرس مشاعر الحب بدل الخوف: كثير من الناس يعبدون الله خوفاً فقط .هذه الآية تعلمنا أن نحب الله لجمال صنعه ورحمته .هذا الحب هو محرك أقوى للطاعة من الخوف وحده.

· رسالة عقلية:
· منهجية فحص الفرضيات: الآية تعلم العقل ألا يصدق أي ادعاء بوجود خلل في الكون دون دليل . وتدعوه إلى طلب الدليل من خلال النظر والتكرار.
· إدراك أن النظام الكوني دليل على وحدانية الخالق: لأنه لو كان هناك آلهة متعددة لحدث اختلاف وتناقض وتفاوت في الخلق، كما قال تعالى:} لَوْ كانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلّا اللهُ لَفَسَدَتا.{
· رسالة تربوية:
· تربية الذوق الجمالي: تعليم الأبناء تذوّق الجمال في الطبيعة، وربطه بالخالق، لا مجرد نظرة مادية باردة .فكل منظر جميل هو آية تقود إلى الله.
· غرس قيمة "الإتقان" و"عدم التفاوت" في العمل: كما أن السماء لا تفاوت فيها، فليكن عملك لا تفاوت فيه، متقناً من أوله إلى آخره.
· رسالة عملية:
· في مجالات التصميم والإبداع: التقليد الجمالي لهذا الخلق المتقن، كتصميم حدائق مستوحاة من تناسق الكون، أو إنتاج أفلام وثائقية تظهر جمال السماء.
· في العلاقات الإنسانية: نفي التفاوت في خلق الرحمن يوجهنا إلى أن ننفي التفاوت في تعاملنا مع الناس، فلا ظلم، ولا تفرقة، ولا اضطراب في العلاقات الأسرية والاجتماعية، بل نسعى لنظام قائم على العدل والرحمة.

--
المحور الثالث: مفهوم "فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ" – التحدي الأول وإعادة النظر

.1معنى "فطور":

الفطور هو الشقوق والصدوع والتصدعات التي تظهر في الشيء نتيجة عيب أو ضعف .وهي صورة تحسية لوصف أي خلل أو نقص، ولو كان معنوياً .فالله يتحدى الإنسان أن يجد في السماء أي شق أو تصدع، سواء كان مادياً) كتمزق الأجرام السماوية (أو معنوياً) كنظام غير مكتمل.(

.2الأمر ب-"ارجع البصر" وأهمية التكرار:

الأمر ب-"ارجع" أي ردّ نظرك مرة أخرى، وتأمل بتعمق .وهذا يدل على:

· النظر الأول قد يكون سريعاً أو سطحياً: فربما فاتتك بعض التفاصيل.
· التكرار يكشف الخفايا: فكلما أعدت النظر، ازددت فهماً وعلماً.
· منهجية البحث العلمي: العالم الحقيقي هو من يعيد التجربة ويغير زوايا النظر.

.3كيف أن هذا الأسلوب يوجه إلى منهجية البحث العلمي في حياتنا؟

· عدم اليأس من الفشل الأول: لو لم ترَ الحقيقة من المرة الأولى، فأعد المحاولة .هذا يعالج ظاهرة اليأس من أول محاولة فاشلة.
· التجربة والتكرار: العلم يقوم على التكرار .الآية تعلمنا أن نكون منهجيين، نعيد التجربة أكثر من مرة.
· النقد الذاتي: "هل ترى من فطور؟" سؤال يحفز الباحث على نقد نتائجه بنفسه قبل أن ينقدها الآ خرون.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· علاج اليأس من البحث: كثير من الناس يجربون شيئاً مرة، يفشلون، فييأسون .الآية تعلمهم أن يعيدوا المحاولة، وأن التكرار مطلوب.
· تعزيز الثقة بالنفس بعد التأكد: بعد أن يكرر النظر ويرى العجز، يزداد ثقة بأن الحق مع الله، فتستقر نفسه.
· رسالة عقلية:
· تربية العقل على الشك المنهجي الإيجابي: شكّ في وجود عيب، ثم اذهب وافحص، لا تيأس من أول نظرة .هذه هي روح العلم الحقيقي.
· ربط النظر بالبصيرة: ليس كل من يرى بعينه يبصر بحقيقته .الآية تدعو إلى "رجوع البصر" أي إعادة الرؤية بعين البصيرة والتفكر.

· رسالة تربوية:
· تدريب الطلاب على "إعادة النظر" في حلولهم: بدلا ً من تقديم حل سريع، نشجعهم على مراجعته وتقييمه أكثر من مرة، بحثاً عن أخطائهم) فطورهم.(
· غرس روح الصبر في البحث: النتائج العميقة تحتاج إلى جهد متكرر وصبر.
· رسالة عملية:
· في إدارة الجودة: أي منتج أو مشروع، قبل تسليمه، نعيد النظر فيه أكثر من مرة) فارجع البصر (بحثاً عن أي عيب) فطور (لنصلحه.
· في العلاقات الأسرية: عندما ينشب خلاف، لا تحكم من أول موقف، بل "ارجع البصر" أي أعد تقييم الموقف من عدة زوايا، لعل هناك فطوراً في فهمك أنت لا في الطرف الآخر.

المحور الرابع: مفهوم "ثمّ ارْجِعِ البَصَرَ كرّتيْن" – التكرار المؤكد والعجز التام

.1دلالة "ثم" و"كرتين":

· "ثم" تفيد الترتيب مع التراخي، أي بعد أن تفعل الأولى، تأتي الثانية بعد مهلة وتأمل أعمق.
· "كرتين" تثنية للتكرار، وقد فسرها العلماء بأنها بمعنى "مرات متعددة"، لأن أقل الجمع للتكرار مرتان، فتدل على الإلحاح في إعادة النظر والتجربة.

.2معنى "يَنقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ":

· خاسئاً: صاغراً ذليلا ً مطروداً، كالكلب يُطرد بالحجارة .يعود البصر إلى صاحبه وقد فشل في مهمته وأُخزي.
· حسيراً: كليل متعب منقطع عن النظر، لا يقدر على المزيد، وقد كلت حده وضعفت قوته.
· الصورة: كأن البصر نفسه هو الذي يحاول، ثم يرجع منهزماً خجلا ً مرهقاً.

.3ما المستفاد من هذا العجز والتكرار؟

· إثبات يقيني لا يقبل الجدل: بعد كل هذه المحاولات، يقر العقل بعجزه، فيصل إلى إيمان راسخ بكمال الخلق.
· لوم النفس على التقصير: الحسير قد يكون ملاماً لنفسه لأنه لم يصل، وهذا يدعو إلى التواضع.
· الإشارة إلى أن الكمال لله وحده: كل ما سوى الله فيه نقص وعيب، أما خلق الله فلا عيب فيه.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· قبول العجز الإنساني: حين يعلم الإنسان أن بصره كلّ وحسر عن إدراك عيب في خلق الله، يتواضع، ويعترف بقصوره، وهذا يعالِج الكبر والغرور العلمي.
· الشعور بالارتياح بعد التسليم: بدلا ً من القلق الدائم من وجود عيب في الكون) مما يؤدي إلى وساوس(، يسلم العبد بكمال الخلق فيرتاح.
· رسالة عقلية:
· التفريق بين العجز عن الرؤية وانعدام العيب: قد يعجز بصري عن رؤية العيب، لكن العيب غير موجود أصلا ً .هذه دقة منهجية: عدم الدليل ليس دليل عدم، لكن هنا التكرار والنظر العميق يؤكد أن العيب غير موجود.
· الإيمان بالغيب وراء المشاهد: بعد أن يقف البصر عاجزاً، ينفتح باب الإيمان بأن وراء هذا الإتقان خالقاً عظيماً لا تدركه الأبصار.
· رسالة تربوية:
· تعليم الصبر والمثابرة: كرّر المحاولة، وإذا فشلت، فاعترف بفشلك وتعلم منه) خاسئاً حسيراً(، لكن لا تكابر.
· غرس خلق التواضع العلمي: أعظم العلماء من يقول "لا أعلم" عندما يعجز .البصر الخاسئ الحسير مثال على الاعتراف بالعجز أمام عظمة الله.
· رسالة عملية:
· في البحث العلمي التجريبي: عندما تكرر التجربة مرات ولا تجد النتيجة المتوقعة، قد لا يعني ذلك أن الفرضية صحيحة، لكن عليك أن تعترف بأن هناك متغيرات أخرى .والعجز عن الإحاطة بكل شيء هو بداية الحكمة.

· في التقييم الذاتي: مراجعة أدائك في العمل أو الدراسة مرات متعددة) كرتين(، فإن وجدت نقصاً فأصلحه، وإن لم تجد فارتاح إلى أنك بذلت جهدك، ولا تبقَ قلقاً.

المحور الخامس: اللمسات البيانية والبلاغية والرسائل الشاملة من الآيتين

.1الحوار مع العقل البشري:

الآيات صيغت بأسلوب الخطاب المباشر "ما ترى"، "فارجع"، "هل ترى"، "ينقلب إليك" .هذا يشعر الإنسان أن الله يخاطبه شخصياً، ويتحداه شخصياً، مما يجعله يقظاً متفاعلا ً.

.2الجمع بين الجمال والجلال:

في الآية جمال) حسن الخلق، انتفاء التفاوت (وجلال) العظمة، القدرة، التحدي .(وهذا يجذب القلب بحب الجمال، ويرهب النفس بعظمة الجلال، فيكتمل الإيمان.

.3تكرار اسم "الرحمن" ضمنياً وتذكيراً برحمته في الإتقان:

ذكر "الرحمن" في صدر الآية ثم أتبعه بوصف خلق لا تفاوت فيه، لينبه إلى أن هذه الرحمة هي التي أوجدت هذا الإتقان .فالإتقان ليس عبثاً، بل هو مظهر من مظاهر رحمته بعباده.

.4الإعجاز العلمي والبلاغي معاً:

الإشارة إلى "سبع سموات طباقاً" وعدم وجود تفاوت فيها يتوافق مع أحدث النظريات الفيزيائية حول انتظام الكون وانعدام الفوضى فيه، مما يزيد المؤمن يقيناً، ويترك الكافر متحيراً.

.5الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية الختامية للمحور الخامس:

· نفسياً: توليد حالة من "التدفق" (Flow) عند تأمل السماء، حيث ينغمس الإنسان في مشهد جمالي ينسيه همومه.
· عقلياً: بناء عقلية "الباحث المدقق" الذي لا يرضى بالنظرة الأولى، بل يعيد الاختبار مراراً.
· تربوياً: تعليم أن "الجمال" و"الإتقان" و"الرحمة" مفاهيم متلازمة في منهج الله، فيجب أن تتلازم في حياة المسلم.
· عملياً: وضع معايير الجودة والمراجعة الدورية في أي مؤسسة، وإعادة الفحص أكثر من مرة) كرتين (قبل إصدار المنتج النهائي، تيمناً بهذه الآية.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآيات

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

تحويل هذه الآيات إلى حركة داخلية يعني أن تجعل من "النظر في السماء" عبادة قلبية وجوارحية . الخطوات:

.1تمرين "النظر التأملي اليومي" : خصص دقيقتين كل ليلة قبل النوم، انظر إلى السماء) أو حتى إلى سقف غرفتك متخيلا ً السماء(، وقل بقلبك: "الذي خلق سبع سموات طباقاً" .استشعر عظمة الخالق.
.2تمرين "الباحث عن العيب" : مرة في الأسبوع، انظر إلى منظر طبيعي) سماء، بحر، جبل(، وحاول أن تجد فيه عيباً واحداً بصدق .لن تجد .عندها كرر: "ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت" .سيزداد إيمانك.
.3تمرين "التكرار في حياتي" : اختر مشكلة تواجهك) عملية، تعليمية، عائلية .(بدلا ً من اليأس من أول حل، قرر أن "ترجع البصر") تعيد التفكير (مرتين على الأقل قبل أن تصدر حكماً .هذا تطبيق عملي للمنهج القرآني.
.4تمرين "ربط الجمال بالخالق" : كلما رأيت منظراً جميلا ً) غروب شمس، نجوم لامعة(، لا تمر مروراً عابراً، بل قف وقل: "اللهم كما أحسنت خلق هذا، فأحسن خلقي وخُلقي" .حول الإعجاب البصري إلى دعاء وعبادة.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآيات في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عند مشاهدة فيلم وثائقي عن الفضاء .تذكر أن هذه المجرات والنجوم التي تراها على الشاشة هي جزء من "سبع سموات طباقاً"، وأنه لا تفاوت فيها .ازدد إيماناً بعظمة الله.
· الوقفة الثانية: عند رؤية عيب في منتج بشري) سيارة، منزل، جهاز .(قارن بعجزه بإتقان السماء .قل: "لو كان هذا المنتج من خلق الرحمن لما رأينا فيه تفاوتاً" .هذا يزيدك تواضعاً لله وإعجاباً بصنعه.
· الوقفة الثالثة: عندما تفشل في مهمة من أول مرة .تذكر "ثم ارجع البصر كرتين" .لا تيأس .أعد المحاولة بتأنٍ، واطلب من الله أن يلهمك الصواب .الفشل الأول ليس نهاية الطريق.
· الوقفة الرابعة: عندما تشعر بالقلق أو الاكتئاب .اذهب إلى شرفة منزلك، انظر إلى السماء لمدة دقيقة، وتأمل اتساعها وانتظامها .سيزول بعض همك، لأن قلبك يتصل بما هو أكبر منه.
· الوقفة الخامسة: عندما ترى شخصاً قبيح الخلق) لئيماً، كذاباً .(تذكر أن الله خلق السماء خالية من التفاوت) أي خالية من العيوب الخلقية(، لكن الإنسان له إرادة، فسيء الخلق هو من شوّه نفسه بنفسه .ادعُ له بالهداية، ولا تيأس من رحمة الله) الغفور الرحمن.(

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآيات قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

القراءة الواعية تعني أن تتساءل بعد كل جملة: "ما المطلوب مني عملياً؟"

· "الذي خلق سبع سموات طباقاً" : المطلوب: أن أرتب حياتي في "طبقات") أولويات .(لا تخلط بين عبادة الله وعملي وعلاقاتي .اجعل لكل شيء طبقة منظمة .رتب وقتك كالسماوات الطباق.
· "ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت" : المطلوب: أن أتخلص من "التفاوت" في أخلاقي .لا أكن مؤمناً في المسجد وكافراً في السوق .لا تفاوت بين قولي وفعلي .كن متسقاً.
· "فارجع البصر هل ترى من فطور" : المطلوب: في كل مشروع أقوم به) تربية ابن، كتابة بحث، بناء شركة(، أرجع بصري عليه أكثر من مرة .فتش عن الفطور) الثغرات، الأخطاء (بنفسي قبل أن يراها غيري.
· "ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير" : المطلوب: إذا لم أجد عيباً بعد التدقيق مراراً، أسلم بأني بذلت وسعي، ولا أبقى قلقاً وسواسياً .أترك النتيجة لله) الرحمن (الذي لا يضيع جهداً.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

· الدرس الأول: النظام الكوني يدل على وحدانية الله وكمال قدرته.
· التطبيق: أي مشروع إنساني ناجح يقوم على نظام محكم لا تفاوت فيه .فلتكن مؤسساتنا، مدارسنا، أسرنا على غرار هذا الكون المنتظم.
· الدرس الثاني: الجمال في الخلق هو آية لله تستدعي الحب والشكر، وليس مجرد متعة بصرية.
· التطبيق: عندما تستمتع بمنظر جميل، اجعل هذا الاستمتاع عبادة بأن تحمد الله وتشكره .زرع الحدائق، وزيّن المدن، ليكون الجمال وسيلة لذكر الله.
· الدرس الثالث: التكرار وإعادة النظر هي منهج للوصول إلى الحقيقة.
· التطبيق: في حل النزاعات، في البحث العلمي، في التخطيط الاستراتيجي، لا تكتفِ برأي واحد أو تجربة واحدة .أعد النظر، كرر التجربة، واجتهد.
· الدرس الرابع: الاعتراف بالعجز أمام عظمة الخالق هو قمة المعرفة.
· التطبيق: لا تكن متعجرفاً في علمك .إذا عجزت عن تفسير ظاهرة، فقل: "الله أعلم" و"سبحان الله " .هذا هو الحسير الذي يعود خاسئاً، لكنه يعود مؤمناً.
· الدرس الخامس: رحمة الله بعباده تجلت في إتقان خلقه وجماله.
· التطبيق: عامل الآخرين برحمة وإتقان .كما أحسن الله إليك بهذا الكون الجميل، فأحسن أنت إلى من حولك، وأتقن عملك معهم.

الأمر الخامس: كيف تغير الآيات نظرتنا للحياة؟

.1من النظرة الأنانية الضيقة إلى النظرة الكونية الشاملة: لم تعد حياتك محصورة بين جدران غرفتك أو مشاكلك الصغيرة .أنت جزء من كون عظيم منظم، من صنع الخالق الرحمن .هذا يمنحك بعداً جديداً للوجود.
.2من النظرة السطحية إلى النظرة التأملية العميقة: لم تعد تمر على الأشياء مرور الكرام .كل شيء أصبح آية تحتاج إلى "إرجاع البصر" و"كرتين" .تصبح حياتك مليئة بالاكتشافات والإعجاب.

.3من نظرة اليأس من الفشل إلى نظرة التكرار والمثابرة: تعلمت ألا تيأس من أول محاولة .الفشل الأ ول هو مجرد بداية "إرجاع البصر" .أنت الآن إنسان صبور على البحث.
.4من نظرة القبح والعيب إلى نظرة الجمال والإتقان: ترى الجمال في كل شيء لأنك تراه بعين "خلق الرحمن" .حتى في الأشياء العادية، تبحث عن حكمة الخالق وجمال صنعه، فتصبح متفائلا ً.
.5من نظرة الخوف من الله إلى نظرة الحب له: لم تعد تخاف من الله خوفاً يبعث على القبض، بل تحبه حباً يبعث على الانطلاق لرؤية جمال آياته في الكون، والسعي لإرضائه.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآيات

· المهارات المعرفية:
· مهارة التأمل المنهجي: أن تنظر إلى الظاهرة الطبيعية بعين الباحث، وتطرح الأسئلة: كيف؟ لماذا؟ ما وراءها؟
· مهارة التمييز بين الكمال الإلهي والنقص البشري: فلا تصدم حين ترى عيباً في أعمال البشر، وتعلم أن الكمال لله وحده.
· مهارة ربط المشاهد الكونية بالمبادئ الإيمانية: تحويل منظر غروب الشمس إلى درس في التوحيد.
· المهارات النفسية:
· مهارة إدارة الإحباط بالفشل: استخدام مبدأ "ارجع البصر كرتين" لعلاج اليأس.
· مهارة الاسترخاء بالتأمل البصري: النظر إلى السماء كتقنية للتهدئة وتخفيف التوتر.
· مهارة التواضع الفكري: الاعتراف بالعجز) الحسير (أمام عظمة الله.
· المهارات العملية:
· مهارة مراجعة الجودة الشخصية : قبل تسليم أي عمل، راجعه مرة، ثم مرة ثانية، كما لو كنت تبحث عن فطور.
· مهارة التخطيط الطبقي: تقسيم الأهداف الكبيرة إلى طبقات) سبع مثلا ً (متكاملة، كما جعل الله السموات سبعاً طباقاً.
· مهارة الصبر على البحث: تدريب النفس على إعادة المحاولة في تعلم مهارة جديدة أو حل مشكلة معقدة.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآيات

· البعد الكوني) الكوسمولوجي(: يقدم رؤية للكون على أنه خلق منظم ومتقن وجميل، متعدد الطبقات، خالٍ من العيوب، وهذا يتوافق مع أحدث معطيات العلوم مع زيادة الإيمان.
· البعد المنهجي) الإبستمولوجي(: يؤسس لمنهجية معرفية قائمة على: الملاحظة، إعادة التجربة، التكرار ، الاعتراف بالعجز، الوصول إلى اليقين.
· البعد الجمالي) الأستطيقي(: يقر بأن الجمال قيمة موضوعية لها مصدرها في صفات الخالق، وأن تذوق الجمال هو وسيلة لمعرفة الله ومحبته.
· البعد التربوي: يبني شخصية الباحث المتأمل، الصبور، المتواضع، الدقيق.
· البعد النفسي: يعالج القلق والاكتئاب والخوف من المجهول عبر ربط النفس بنظام كوني رحيم جميل.

الأمر الثاني: القيم من الآيات

· قيمة التأمل والتفكر: كقيمة عليا للوصول إلى الإيمان.
· قيمة الإتقان: لأنه خلق الرحمن لا تفاوت فيه، فيجب أن يتقن المسلم عمله.
· قيمة الصبر على البحث) المثابرة(: تكرار النظر مرتين يدل عليها.
· قيمة التواضع: في قوله "خاسئاً حسيراً" اعتراف بالعجز.
· قيمة الجمال: فالله جميل يحب الجمال.
· قيمة النظام والترتيب: المستفادة من "طباقاً".

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم "الكون كآية" : كل نجم، كل طبقة من السماء، كل عدم وجود شق، هو آية تقرأ .الحياة كلها نص مفتوح للتدبر.

· مفهوم "التجربة العلمية المؤمنة" : وهي تجربة تقوم على العقل والتكرار، ولكن بنية الوصول إلى الخالق، لا إلى إنكاره.
· مفهوم "الفشل المؤقت" : هو مجرد "لم أرَ بعد"، وليس "ليس موجوداً" .فتح باب الأمل للباحث.
· مفهوم "الجمال المقدس" : الجمال ليس عبثاً، بل هو انعكاس لصفة من صفات الله) الرحمن(، يستحق أن نحافظ عليه ونشكر عليه.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآيات

· تربوياً:
· تعليم الطفل: إذا أخطأت في حل مسألة، "فارجع البصر" إليها مرة أخرى، لا تقل "أنا فاشل".
· تعليم الطفل: انظر إلى السماء ليلا ً، وعد النجوم، وتأمل من خلقها بلا عمد.
· نفسياً:
· علاج "الوسواس القهري" في البحث عن العيوب: الآية تدعو للبحث مرة واثنتين، ثم التوقف و التسليم بأن العيب ليس موجوداً .هذا يمنع القلق المزمن.
· علاج "عقدة النقص" عند مقارنة النفس بغيرها: الآية تعلم أن الكمال لله وحده، فأنت لست مطالباً بالكمال، بل بالإتقان ضمن حدودك البشرية.
· فكرياً:
· الرد على نظرية "التطور العشوائي" التي ترى الكون نتاج صدفة وأخطاء .الآية تؤكد غياب التفاوت) العشوائية (وحضور النظام المطلق.
· الرد على الادعاء بأن الدين ضد العلم: بل الدين يحفز على إعادة النظر والتجربة) ارجع البصر كرتين.(

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: يتم بناء الإنسان على أسس متينة:
· التفكر أساس المعرفة.
· التكرار أساس الإتقان.
· الجمال أساس الذوق الرفيع.
· الاعتراف بالعجز أساس التواضع.
· تنمية المجتمع:
· مجتمع يقوم على "المراجعة المستمرة") إرجاع البصر (سيكون مجتمعاً خالياً من الفساد والأخطاء المتراكمة.
· مجتمع يقدر الجمال) كما في خلق الرحمن (سيهتم بالهندسة المعمارية الجميلة، والفنون الهادفة، و الحدائق العامة، مما يرفع جودة الحياة.
· مجتمع يؤمن بـ"طباقاً") التدرج والترتيب (سينمو نمواً متزناً دون قفزات فوضوية.

الأمر السادس: دور الآيات ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً وصناعة التطور و النهضة في الحياة والمجتمع والحضارة

· ذهنياً: يُعيد تشكيل العقل من التفكير السطحي إلى التفكير العميق المنظومي، القائم على "إعادة النظر" و"البحث عن الفطور" ثم "التسليم بالعجز" في حدود معينة، مما يفتح الباب للاكتشافات العلمية المتواضعة مع الإيمان بالغيب.
· نفسياً: يبني إنساناً يتمتع بـ"المرونة النفسية" لأنه تعلم ألا ييأس من أول فشل، و"الذكاء الجمالي" لأنه تدرب على تذوق الجمال في الكون، و"التوازن" بين الكبر والتواضع.
· فكرياً: يكسر الآية الجمود الفكري والتقليد الأعمى، ويحل محله روح النقد الذاتي والتجديد المستمر)مراجعة البصر مرتين .(كما يقدم بديلا ً عن المادية الجدلية: الكون ليس مادة صماء، بل آية جميلة من خالق رحيم.
· صناعة النهضة: النهضة الحقيقية تبدأ عندما يتحول المجتمع من حالة "النظر الواحد" إلى حالة "إرجاع البصر كرتين" .أي:
· في التعليم: نعيد النظر في مناهجنا مراراً.
· في الإدارة: نعيد تقييم سياساتنا مراراً.
· في الاقتصاد: نراجع خططنا مراراً.
· في العبادة: نخلص ونتقن ونتأمل مراراً.
عندها يصبح المجتمع كالسماوات: طباقاً منظمة، لا تفاوت فيها، خاضعة لله الرحمن، تنظر إليها الأ

أمم الأخرى فتعجز) خاسئة حسيرة (أمام إتقانها وجمالها.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآيات في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى تأسيس "نادي التفكر" : في الأسرة، في العمل، في المسجد، نخصص جلسات دورية للنظر في آيات الكون) سماء، نجوم، بحار (ونتبادل التأملات حول "أين نرى جمال الله" و"أين نرى إتقانه".
· تدعونا إلى تطبيق "إرجاع البصر" في حل المشكلات : لا تتخذ قراراً مصيرياً) زواج، استثمار، تغيير وظيفة (إلا بعد أن "ترجع البصر" عليه أكثر من مرة، وتستشير، وتستخير، وتعيد النظر من زوايا متعددة.
· تدعونا إلى مراجعة جودة أعمالنا : قبل تقديم أي عمل لمديرك أو زبونك، طبّق "ثم ارجع البصر كرتين" كمعيار شخصي للجودة .ستجد عملك يتحسن كثيراً.
· تدعونا إلى التسامي بالجمال : بدلاً من الانشغال بالقبيح من الأخبار والأفلام والموسيقى الهابطة، وجه بصرك إلى الجمال الحقيقي في الطبيعة والفنون الهادفة التي تذكرك بالله.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية) تطبيقات يومية(؟

)هذا هو الأمر الثاني في القسم الخامس، غير المكرر(

· نتعلم كيف ننام: قبل النوم، ننظر إلى السماء) أو نتخيلها(، ونشكر الله على هذا الخلق الجميل، فننام في طمأنينة.
· نتعلم كيف نبدأ يومنا: عندما نستيقظ، نتذكر أن الله خلق هذا الكون منظمًا، فينبغي أن يكون يومنا منظماً، نرتب مهامنا طباقاً) عاجل، مهم، طويل الأمد.(
· نتعلم كيف نتعامل مع الأخطاء: إذا أخطأت، لا تقل "أنا غبي"، بل قل "لم أرجع بصري جيداً في هذه النقطة"، ثم أعد المحاولة.
· نتعلم كيف نقيّم الآخرين: لا تحكم على شخص من موقف واحد، بل "أرجع بصرك" إليه أكثر من مرة لعلك ترى فيه خيراً لم ترَه أول مرة.
· نتعلم كيف نكون باحثين: أي معلومة تصلنا، لا نقبلها من أول وهلة، بل نرجع نظرنا فيها، ونتحرى، ونكرر الفحص، حتى نصل إلى يقين أو نعترف بعجزنا.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآيات في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدخال مناهج "التفكر العلمي" المستوحاة من هذه الآية، حيث تُخصص حصص لمشاهدة السماء بالمناظير، وكتابة تقارير عن النظام الكوني، وتشجيع الطلاب على "إعادة النظر" في أبحاثهم وتجاربهم أكثر من مرة.
· في الإعلام: إنتاج برامج وثائقية) مثل "Cosmos" ولكن بإسلامية (تشرح آيات الكون برؤية قرآنية، وتبرز أنه "خلق الرحمن لا تفاوت فيه"، وتدعو المشاهدين إلى "أن يرجعوا البصر كرتين" في عظمة الخالق.
· في التكنولوجيا والهندسة: تبني معايير "طباقاً" في تصميم البرمجيات والأنظمة، حيث تكون بنية النظام متعددة الطبقات، كل طبقة متكاملة مع الأخرى، خالية من الثغرات) الفطور(، مع وجود أنظمة مراجعة مستمرة) إرجاع البصر.(
· في العلاقات الدولية والداخلية: إشاعة ثقافة "المراجعة" و"عدم التفاوت" في التعاملات .مثلاً: عند وضع القوانين، تُراجع أكثر من مرة) كرتين (لضمان خلوها من الظلم) الفطور .(وعند معاقبة مذنب، يُراجع الموقف أكثر من مرة.
· في التنمية العمرانية: تصميم مدن على غرار "سبع سموات طباقاً": مناطق سكنية، تجارية، صناعية، ترفيهية، متكاملة ومترابطة، مع ترك مساحات للنظر إلى السماء) مراصد، حدائق عامة مفتوحة(، وتزيينها بالجمال الذي يذكر بالرحمن.

وأخيراً ...رسالة إلى قلبك) مفصلة وعميقة(

يا قلب ...كم كنت مشغولاً بما تحت قدميك، وكم غفلت عما فوق رأسك!

كم نظرت إلى السماء بعين عابرة، وقلت: "ما أجمل النجوم!" ثم عدت إلى همومك .لكن هذه الآيات تأخذك من يدك وترفع رأسك إلى الأعلى.

تقول لك: انظر .ليس نظرة عابرة، بل نظرة متأملة .انظر إلى السبع سموات الطباق .انظر كيف بناها الخالق بلا عمد .انظر إلى هذا الإتقان الذي لا تجد فيه تفاوتاً.

كم من عيوب تبحث عنها في حياتك؟ في رزقك، في أهلك، في صحتك، في عملك ...ربما تجد بعض النقص، فهذا من طبيعة الدنيا .لكن هنا، في هذا الخلق، لا عيب .هذا لتعلم أن الكمال ليس لهذا العالم الفاني .الكمال هو عند الخالق .فلا تتعب قلبك بالبحث عن دنيا كاملة، بل اطلب كمال الآخرة.

ثم تأمرك الآيات: ارجع البصر .وارجعه مرة أخرى .كرتين.

هذا هو شفاؤك يا قلب من مرض اليأس .كم حاولت مرة وفشلت؟ كم نظرت نظرة سريعة إلى مشكلة فحكمت بأنها بلا حل؟ تريد الآية أن تغرس فيك: أعد المحاولة .أعد النظر .ربما فاتك شيء في المرة الأولى .كرّر التجربة .المؤمن لا يمل من البحث .وعندها، مهما بحثت، ستصل في النهاية إلى حقيقة واحدة:

أن البصر سيعود إليك خاسئاً حسيراً.

لن تجد عيباً في خلق الله .وستجد عيوباً كثيرة في نفسك وفي البشر .عندها، لا تحزن .هذا الا عتراف بالعجز هو مفتاح السعادة .أن تعرف أنك لست إلهاً، وأنك ضعيف، وأن الخالق وحده هو الكامل .هذا يريحك .يريحك من عناء أن تكون مثالياً .يكفيك أن تحاول، أن تجتهد، أن ترجع البصر مرة ومرتين .فإذا رأيت عجزك، فتواضع، واسأل الله الكمال الذي له وحده.

يا قلب،

إذا ضاق صدرك، اخرج إلى فضاء مفتوح .ارفع بصرك إلى السماء .تذكر "طباقاً" .تذكر "لا تفاوت" .تذكر "فارجع" .تذكر "كرتين" .اقرأ الآيات وأنت تنظر .ستشعر ببرد اليقين يسري في عروقك .ستشعر أن هموم الدنيا تتداعى كأنها غبار تحت هذا العرش العظيم.

ارفع بصرك، وأخبر قلبك: "يا قلب، هذا خالقك .انظر كم هو جميل ما صنع .فأحسن أنت عملك لتلقاه" . عندها، لن تخاف من الموت، بل ستشتاق إليه، كما يشتاق العاشق إلى رؤية من أحبّه من خلال جمال آثاره.

رابعا

هذا تفسير للآية الخامسة من سورة الملك:

}وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ{

أولا ً: مقدمة تمهيدية

1.ارتباط الآية بما قبلها:

الآيات السابقة (3-4) وجهت الأنظار إلى خلق السماوات السبع طباقاً، وإلى إتقانها وخلوها من أي تفاوت أو فطور، وأمرت بإرجاع البصر مراراً للتأكد من كمال الخلق. أما هذه الآية الخامسة، فتنزل من الحديث عن كمال الخلق وجماله إلى الحديث عن وظيفة هذا الخلق وتفصيل بعض أسراره. فهي تُبيّن أن هذه السماء التي نراها ليست مجرد منظر جميل، بل لها غايات عملية: فهي مزينة (لجذب القلوب والعقول) وفي نفس الوقت محروسة (لرد الشياطين ومنعهم من استراق السمع). وبذلك تكتمل الصورة: الجمال والحماية معاً، وهما من مظاهر رحمة الله (الرحمن) وعزته (العزيز).

2.الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى: تزيين الله السماء الدنيا) السماء التي نراها (بالمصابيح) النجوم والكواكب.(
· الفكرة الثانية: جعل هذه المصابيح شهباً ورجوماً تُقذف بها الشياطين الذين يحاولون استراق السمع من السماء.
· الفكرة الثالث: إعداد الله عذاب السعير) النار الحارة (للشياطين ولأتباعهم من الكافرين في الآخرة.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات وجود عالم الغيب) الشياطين (وردّ مزاعم من ينكرهم، وإثبات حماية الله للسماء من تسللهم، وبالتالي حماية الوحي من التزييف.
· الهدف المعرفي: تعليم الإنسان أن لكل شيء في الكون وظيفة، حتى النجوم ليست مجرد زينة، بل لها دور في حراسة السماء.
· الهدف النفسي: غرس الشعور بالأمان أن السماء محروسة من كل شر، وأن الله يحمي دينه ووحيه . وفي نفس الوقت، تخويف الكافرين الذين يتبعون الشياطين بعذاب السعير.
· الهدف التربوي: تربية الإنسان على أن ينظر إلى الأشياء من منظور "الغائية"، أي أن يسأل: ما الحكمة من هذا؟ ما الوظيفة؟ وليس فقط الإعجاب بالمنظر.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: مفهوم "زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ" – الجمال المقصود بالحكمة

.1تحليل "زينا" و"السماء الدنيا" و"مصابيح":

· "زَيَّنَّا" : الفعل "زيّن" بالتشديد يدل على التكثير والتكرار والبالغ في التحسين .فالتزيين ليس مجرد وضع، بل هو إبداع في التجميل والتنظيم .والله هو الذي يتولى التزيين بنفسه) نون العظمة (إظهاراً لكمال قدرته ورحمته.
· "السَّمَاءَ الدُّنْيَا" : هي السماء التي تلي الأرض مباشرة، والتي نراها بأعيننا .فهي أقرب السموات إلينا، فكان الاهتمام بتزيينها ليراها الإنسان ويتأملها.
· "بِمَصَابِيحَ" : جمع مصباح، وهي النجوم والكواكب التي تضيء كالسرج .استعارة بليغة شبهت بها النجوم لأنها تنير السماء كما ينير المصباح المكان.

.2لماذا التزيين؟ حكمة الجمال في خلق الله:

كما ذكرت سابقا القلوب تحب الجمال، والله يحب الجمال ويبغض القبيح. فتزيين السماء بالمصابيح هو:

· جذب القلوب إلى التفكر: المنظر الجميل للنجوم ليلا ً يثير الفضول والإعجاب، فيدفع الإنسان إلى التساؤل: "من خلق هذا؟" .وهذا هو باب الدعوة إلى الله.
· إشعار العبد بجمال صفات الخالق: كلما رأيت جملا ً في الكون، تذكر أن الخالق جميل، فتزداد محبته وتعلقك به.
· نعمة عملية: المصابيح تنير الأرض بضوئها) القمر والكواكب المضيئة (وتهدي الناس في ظلمات البر و البحر، كما قال تعالى:} وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ.{

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· معالجة الاكتئاب بالجمال الليلي: النظر إلى السماء المرصعة بالنجوم يبعث على الراحة والدهشة الإ يجابية، ويخفف التوتر .الآية تربط هذا الجمال بالخالق، فيكون العلاج النفسي مصحوباً بالإيمان.
· إثارة الخيال الإيجابي: بدلا ً من الخيالات الهدامة، يوجه القرآن الخيال نحو التفكر في خلق الله ، فيشعر الإنسان بالاتساع والحرية.
· رسالة عقلية:
· نفي العبثية: ليس الكون مجرد عرض بصري عابر، بل هو مزين بحكمة .العقل يتساءل: لماذا كل هذا الجمال؟ والآية تجيب: إنه علامة على وجود خالق جميل يحب الجمال، ووسيلة لهدايتكم.
· الحث على علم الفلك: لأن الله جعل النجوم زينة ومصابيح، فهي تستحق الدراسة والتعرف على خصائصها، مما يدفع المسلمين إلى الإسهام في علوم الفضاء.
· رسالة تربوية:
· تدريب الأطفال على ربط الجمال بالخالق: عندما يشير الطفل إلى قمر أو نجم، لا يقتصر الرد على "جميل"، بل نقول: "الله زيّن السماء بذلك لندرك عظمته".
· تنمية الذوق الجمالي الإيماني: تعليم الأبناء أن الجمال الحقيقي هو ما يذكر بالله، لا ما يلهي

عن ذكر الله.
· رسالة عملية:
· التخطيط الحضري على غرار التزيين: في المدن الإسلامية، ينبغي الاهتمام بجمال السماء ليلا ً من خلال تقليل التلوث الضوئي، والاهتمام بالمراصد والحدائق العامة التي تتيح رؤية النجوم، ليكون ذلك وسيلة للتأمل والدعوة.

المحور الثاني: مفهوم "وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَيَاطِين" – الحماية والحراسة والردع

.1تحليل "رُجُومًا" و"لِلشَيَاطِين":

· "رُجُومًا" : جمع رجم، وهو القذف بالحجارة أو الشهب .يعني أن بعض هذه المصابيح) أو شهباً تنفصل عنها (جعلها الله آلة لقذف الشياطين وطردهم.
· "الشَيَاطِين" : هم مردة الجن الذين يسترقون السمع من السماء لاختلاس أخبار الملأ الأعلى، ثم يلقونها إلى الكهنة والعرافين مخلوطة بالكذب.

.2حقيقة استراق السمع والرجم:

كانت الشياطين قبل بعثة النبي محمد ﷺ تصعد إلى السماء وتستمع إلى كلمات الملائكة عن بعض أحداث الأرض والقدر، ثم يلقونها إلى الكهنة فيخلطونها بأكاذيب. فلما بُعث النبي ﷺ، حُرسَت السماء بـ الشهب، فمنعوا من استراق السمع، كما قال تعالى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}. فهذا إخبار عن إحاطة الله للسماء بحراسة تمنع تسلط الشياطين على الوحي.

.3ما المستفاد من جعلها رجوما؟

· حراسة الوحي الإلهي: حماية الرسالة من التزييف والاختلاط، فالشياطين محرومون من معرفة الغيب.
· إثبات عالم الجن: هذه الآية من أقوى النصوص في إثبات وجود الشياطين وأنهم ليسوا خرافة، وأن لهم قدرة على الصعود إلى السماء لكنهم يُرجمون.
· الردع والترهيب: رجم الشياطين بالشهب فيه تذكير للكفار الذين يتبعون الشياطين بأن مصيرهم عذاب السعير كما سيأتي.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· طرد الخوف الخرافي من الشياطين: ذكر أنهم يُرجمون بالشهب يضعف قوتهم في نفس المؤمن، فـ لا يخاف منهم، بل يعلم أن الله جعل لهم مانعاً .يقرأ المعوذات ويتوكل على الله، فتنعدم الوساوس.
· الشعور بالأمان من التزييف الفكري: المؤمن يطمئن بأن دينه محفوظ من أي تحريف شيطاني، لأن السماء محروسة، والوحي في حفظ الله.
· رسالة عقلية:
· الرد على منكري عالم الغيب: الآية تثبت حقيقة عقلية: وجود كائنات غير مرئية لها تأثير، وأن الرجم بالشهب هو ظاهرة كونية يمكن ملاحظتها) النيازك، الشهب .(وهذا يجعل الإيمان بالغيب إيماناً قائماً على خبر صادق وواقع مرصود.
· الجمع بين السببية المادية والغيبية: الشهب لها أسباب فيزيائية) احتراق النيازك (وفي نفس الوقت هي سبب شرعي لرجم الشياطين .العقل المؤمن لا يرى تناقضاً بين الأسباب الطبيعية والغيبية، بل يرى أن الله قدّر الأسباب الطبيعية لتحقيق الغيب.
· رسالة تربوية:
· تربية النفس على تحصين النفس من الشياطين: كما أن السماء تحرس بالشهب، فقلب المؤمن يحرس بالذكر والأذكار والصلاة من وساوس الشياطين.
· تعليم الأبناء أن الشر له رادع: ليستقيموا على الطاعة بوجود رادع إلهي.
· رسالة عملية:
· في حماية المعلومات: نتعلم من هذه الآية أن حماية المعلومات المهمة) مثل الوحي (واجبة، وأنه يُستخدم الردع والقوة) الرجم (لمنع التسريب .هذا ينطبق على حماية أسرار الدولة والمؤسسات.
· في مواجهة الكهانة والعرافة: الآية تعلن بطلان ادعاءات العرافين بأن لهم اتصالا ً بالسماء، وأنهم إنما يلقون ببعض الكلمات المسروقة وقد خُلطت بالكذب، والآن صار الرجم يمنع حتى هذه الخطفة.

المحور الثالث: مفهوم "وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ" – الجزاء الأخروي للشياطين وأتباعهم

.1تحليل "أَعْتَدْنَا" و"السَّعِير":

· "أَعْتَدْنَا" : من الإعداد، أي هيأنا وأعددنا مسبقاً، وهذا يدل على أن العذاب موجود ومعدّ لا محالة، ليس أمراً لاحقاً أو متروكاً.
· "لَهُمْ" : الضمير يعود على الشياطين، ويشمل من يتبعهم من الكفار والمشركين ممن يوافقونهم على الكفر والإفساد.
· "عَذَابَ السَّعِيرِ" : السعير هو النار الموقدة الشديدة الالتهاب، وهي من أسماء جهنم .عذاب السعير هو العذاب الدائم المحرق المستعر.

.2لماذا السعير بالذات؟

· مناسبة للشياطين: خُلقوا من نار) من مارج من نار(، فجزاؤهم من جنس عملهم، لكنه أشد وأعظم.
· مناسبة للرجم: كما يُرجمون بالشهب النارية، فأعد لهم ناراً أبدية في الآخرة.
· ترهيب المكذبين: بعد ذكر التزيين والجمال، جاء ذكر العذاب لتذكير بأن الجمال ليس كل شيء، وأن هناك جانباً من العقاب لمن يعصي.

.3حكمة إعداد العذاب:

· العدل الإلهي: لا يظلم الله أحداً، فالذين أضلوا الناس وصدوهم عن الحق يستحقون أشد العذاب.
· الزجر والردع: إعلام الناس أن اتباع الشياطين يؤدي إلى هذا المصير، فيحذرون.
· الغاية التربوية: تنفير النفس من الشر ولو كان ممتعاً أو مزيناً، لأن عاقبته النار.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· علاج التعلق بالمعاصي: إذا تذكر العبد أن لمن يتبع الشيطان عذاب السعير، هان عليه ترك الذنب الذي يزينه الشيطان.
· إشعار بالعدالة: النفس البشرية تحب العدل، ومعرفة أن المفسدين سيعذبون يريح الضمير المؤمن.
· توليد الرهبة النافعة: ليست رهبة تشل، بل رهبة تحفز على التوبة والعمل الصالح.
· رسالة عقلية:
· إثبات القضاء والقدر والجزاء: الآية تبطل قول من ينكر الآخرة، وتؤكد أن الله أعد العذاب لمن يستحقه بدقة وحكمة.
· تفنيد شبهة "رأفة الله فقط" : الله رحمن رحيم، لكنه أيضاً عزيز جبار، والعدل يقتضي إعداد العذاب للعصاة المتمردين بعد أن بلغتهم الحجة.
· رسالة تربوية:
· تربية الأولاد على الخوف من عاقبة الشر: لا تخوفهم تخويفاً مرضياً، بل قصّ عليهم هذه الآية ليعلموا أن اتباع الشيطان له نهاية سيئة.
· غرس مفهوم "الإعداد" : كما أعد الله العذاب، على المؤمن أن يعدّ لمستقبله في الدنيا والآخرة بـ العمل الصالح.
· رسالة عملية:
· في التأهيل النفسي للمجرمين: ذكرهم بعذاب الله ليكون رادعاً لهم عن العودة للجريمة.
· في التربية الاجتماعية: بناء مجتمع يرفض أعمال الشياطين من فساد وكفر وكبرياء، ويدرك أن مصيرهم محتوم.

المحور الرابع: اللمسات البيانية والبلاغية والرسائل الشاملة من الآية

.1تقديم الزينة على الرجم:

بدأت الآية بـ"زينا" (الجمال) ثم "جعلناها رجوماً" (القوة)، ثم "أعتدنا عذاب السعير" (الجزاء). وهذا ترتيب محكم:

· جذب بالجمال أولا ً ثم تخويف بالعذاب لمن يخالف.
· هذا أسلوب تربوي: ابدأ بالترغيب قبل الترهيب، أو اجمع بينهما.

.2الجمع بين الحماية والزينة:

النجوم تجمع بين فائدتين: فائدة جمالية (زينة)، وفائدة عسكرية (رجم الشياطين). وهذا يذكر الإنسان أن الأشياء يمكن أن تكون جميلة ونافعة في آن، فلا ننظر إلى الجمال فقط أو النفع فقط.

.3التدرج من الدنيا إلى الآخرة:

الآية بدأت بذكر السماء الدنيا وما فيها، ثم انتقلت إلى إعداد عذاب السعير في الآخرة. لتذكير أن الدنيا بما فيها من جمال ونظام ليست غاية، بل الآخرة هي المستقر.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية الختامية للمحور الرابع:

· نفسياً: تحقيق التوازن بين الأمل) بالجمال (والخوف) من العذاب (في نفس المؤمن.
· عقلياً: بناء رؤية كلية للكون تجمع بين الظاهر) المصابيح (والباطن) الرجم للشياطين(، وبين الدنيا وا لآخرة.
· تربوياً: تعليم أن لكل فعل عاقبة، ولكل إعداد نتيجة.
· عملياً: في أي مشروع، اجمع بين عنصر الجذب) الزينة (والحماية) الرجم (والتخطيط للمستقبل) الإ عداد.(

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

تحويل هذه الآية إلى حركة داخلية يعني أن تجعل من رؤية النجوم عبادة قلبية وفعلية. الخطوات:

.1تمرين "النجم آية" : كل ليلة عندما ترى نجماً لامعاً، توقف لثانية، وقل بقلبك: "اللّهم زيّنت السماء بهذا المصباح، فزيّن قلبي بالإيمان وحرّسه من الشياطين".
.2تمرين "تذكر الحماية" : إذا شعرت بوسوسة شيطانية أو خوف من الجن، تذكر أن الله جعل النجوم رجوماً لهم، وأنهم يُقذفون من السماء، فلا سلطان لهم على المؤمن إذا تحصن بالله .فتدفع الوسوسة بهذه الآية.
.3تمرين "إعداد المستقبل" : كما أعد الله للشياطين عذاب السعير، أعدّ أنت لعاقبتك .كل يوم، خصص وقتاً لتسأل: "ماذا أعددت للغد؟ للآخرة؟" .دوّن أهدافاً عملية) صدقة، صلاة، علم نافع (كإعداد.
.4تمرين "الجمال النافع" : اسأل نفسك: هل ما أفعله فيه زينة) جمال (وحماية) نفع (وإعداد للآخرة؟ اجعل كل عمل يجمع هذه الثلاث.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عند رؤية نيزك أو شهاب في السماء .تذكر أن هذا قد يكون رجماً لشيطان حاول استراق السمع، فيزداد إيمانك بعالم الغيب وبحراسة الله للكون .واشعر بالطمأنينة أن الله يحمي دينه.
· الوقفة الثانية: عند الشعور بالوسوسة أو الكسل عن العبادة .تذكر أن الشيطان هو من يزين لك التكاسل والمعصية، وأن له رجوماً بالشهب، فما أسهل أن ترجمه أنت بالاستعاذة بالله وذكر الله . فتشعر بالقوة.
· الوقفة الثالثة: عند النظر إلى السماء المرصعة بالنجوم في ليلة صافية .لا تمر مروراً عابراً .قف وتأمل: هذا جمال من الله .لم يخلق هذا عبثاً .ما أحسن صانع هذا الجمال .ثم ادعُ الله أن يزيّن قلبك بالإيمان كما زيّن السماء بالمصابيح.
· الوقفة الرابعة: عند التعامل مع الكهنة والعرافين أو تصديق التنجيم .تذكر هذه الآية التي تعلن أن الشياطين ممنوعون من السماء وأن ما يصل للكهنة هو أكاذيب مختلطة .فتترك هذه الممارسات المحرمة وتتوكل على الله.
· الوقفة الخامسة: عند التخطيط لمشروع مستقبلي) دراسة، زواج، عمل .(تطبيق مفهوم "وأعتدنا لهم" أي الإعداد المسبق .لا تهمل التخطيط، بل أعدّ مسبقاً لكل الاحتمالات، كما أعد الله العذاب للشياطين .

هذا يمنع الفشل والندم.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

القراءة الواعية تعني أن تتساءل بعد كل جملة: "كيف أطبق هذا؟"

· "زينا السماء الدنيا بمصابيح" : تطبيق عملي: اسعَ إلى تزيين أي مكان تعيش فيه) بيتك، مكتبك، مسجدك (بنظام وجمال يذكر بالله .ازرع حديقة، رتب الأثاث، أضف إضاءة جميلة .اجعل البيئة المحيطة بك آية جمالية تشد القلب إلى الخالق، لا إلى اللهو.
· "وجعلناها رجوماً للشياطين" : تطبيق عملي: تحصن نفسك وأسرتك من وساوس الشياطين وتسلطهم . علم أبناءك أذكار الصباح والمساء، وقراءة المعوذات، وآية الكرسي .هذه هي "الرجوم" التي ترجم بها شياطين الإنس والجن.
· "وأعتدنا لهم عذاب السعير" : تطبيق عملي: لا تؤجل التوبة .أعدّ لنفسك جواباً بين يدي الله .افتح دفتر "الاستعداد للآخرة": كم صلاة قضيت؟ كم صدقة أعددت؟ كم صفحة قرآن ختمت؟ جدد التوبة كل يوم .هذا هو الإعداد المطلوب.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة من الآية وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

· الدرس الأول: الجمال له غاية نبيلة، وهو هداية الناس إلى الله.
· التطبيق: لا تجعل الأشياء الجميلة في حياتك) موضة، ديكور، فنون (مجرد متعة حسية، بل اجعلها وسيلة للتفكر في الخالق والدعوة إليه.
· الدرس الثاني: الشر موجود، لكن الله جعل له رادعاً من خلقه.
· التطبيق: لا تيأس من وجود الشر في العالم، بل كن أنت من رادع الشر في محيطك .كن شهباً ترجم الباطل بكلمة حق، أو بموقف شجاع.
· الدرس الثالث: الإعداد المسبق هو مفتاح النجاة من العذاب والفشل.
· التطبيق: خطط لحياتك المالية، الصحية، المهنية، والأسرية .لا تتركها للصدفة .وأعظم الإعداد هو لـ لآخرة.
· الدرس الرابع: عالم الغيب حقيقة لا ننكرها لمجرد عدم رؤيتها.
· التطبيق: آمن بالملائكة والشياطين والجنة والنار، ولا تتبع الفلسفات المادية التي تنكر ما لا تراه . هذا الإيمان يمنح حياتك بعداً آخر.
· الدرس الخامس: التدافع بين الخير والشر سنة كونية، والنصر النهائي للحق.
· التطبيق: في أي صراع تواجهه) اجتماعي، نفسي، سياسي(، لا تخف من قوى الشر، فـالله جعل لها رجوماً من عنده، والنهاية للمتقين.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من النظرة الجمالية السطحية إلى النظرة الغائية العميقة: لم تعد ترى نجماً جميلا ً فقط، بل تراه زينة وحماية وإعداداً لعذاب السعير .تصبح الأشياء في حياتك ذات أبعاد متعددة.
.2من نظرة الخوف من الشياطين إلى نظرة الثقة بالله: كنت تخاف من الجن والوساوس، أما الآن فتعلم أنهم مرجومون بالشهب، وأن ذكر الله هو رجمك الخاص بهم، فتزداد شجاعة.
.3من الإهمال وعدم التخطيط إلى ثقافة الإعداد المسبق: تتغير نظرتك للمستقبل، فتصبح مستعداً دائماً بالادخار، والتعليم، والعمل الصالح، لأنك تعلم أن الله أعدّ للشياطين عذاباً، وأنت بحاجة أن تعدّ لنفسك رحمة.
.4من النظرة المادية إلى النظرة التي تؤمن بالغيب: لم تعد تحصر وجودك في المحسوس، بل تعلم أن هناك عالماً آخراً من الشياطين والملائكة والنجوم التي ترجمهم .تصبح حياتك أكثر عمقاً وامتلاءً با لإيمان.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة التفكير الغائي : التساؤل عن وظيفة وحكمة الأشياء، وليس فقط عن تكوينها المادي.
· مهارة التمييز بين الظاهر والباطن: إدراك أن للكون ظاهراً) النجوم الجميلة (وباطناً) رجم الشياطين.(
· مهارة الإيمان بالغيب مع العقل: الجمع بين المعطيات العلمية) النيازك (والحقائق الإيمانية) الرجم.(
· المهارات النفسية:

· مهارة طرد الوساوس: تقنية "الرجم الداخلي" للشياطين، بالاستعاذة والذكر عند أول هاجس سيء.
· مهارة تحويل الجمال إلى عبادة: كل منظر جميل يتحول إلى فرصة للتسبيح والدعاء.
· مهارة المواجهة بالرادع: عدم الخوف من المفسدين، بل معرفة أن لهم رادعاً إلهياً.
· المهارات العملية:
· مهارة التخطيط الاستراتيجي) الإعداد(: وضع خطط قصيرة وطويلة المدى للحياة الشخصية و المهنية والدينية.
· مهارة التزيين الوظيفي: تحسين مظهر العمل والمكان بما يليق بجمال الإسلام، دون إسراف.
· مهارة الحماية الأسرية: إنشاء نظام من الأذكار والرقى الشرعية لحماية الأسرة من الشياطين.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد الكوني الفلكي: الحديث عن السماء الدنيا والمصابيح والنيازك يدعو إلى دراسة علم الفلك و الفضاء من منظور إيماني.
· البعد الغيبي: إثبات وجود الشياطين واستراقهم السمع والرجم بالشهب، وهو ما لا تدركه الحواس.
· البعد الجمالي: التزيين كقيمة أساسية في خلق الله، والاهتمام بالجمال.
· البعد العقابي) الإسكاتولوجي(: إعداد عذاب السعير يؤكد حقيقة الآخرة والجزاء.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة الجمال المقصود: الجمال ليس عبثاً بل وسيلة للهداية.
· قيمة الحماية والحراسة: كما تحرس السماء، تحرس المؤمن نفسه وأهله.
· قيمة الإعداد والتخطيط: وأعتدنا تدل على قيمة الاستباقية.
· قيمة الردع: وضع حدود وعقوبات لمن يتعدى.
· قيمة الإيمان بالغيب: التصديق بما لا تراه العين.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الجمال النافع" : أي جمال له وظيفة نافعة، لا جمال مستهلك.
· مفهوم "السماء المحروسة" : الكون ليس مفتوحاً لكل من هب ودب، بل له حراسة إلهية، وكذلك المجتمع المسلم يجب أن يكون محروساً من المفسدين.
· مفهوم "العذاب المُعَدّ" : أن العذاب ليس مفاجأة، بل هو نتيجة حتمية لمن سلك طريق الشياطين.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً: تربية الأبناء على أن الجمال وسيلة وليس غاية، وأن الإعداد للمستقبل واجب، وأن للشر رادعاً.
· نفسياً: علاج الخوف المرضي من الجن بإيمان أنهم مرجومون، وعلاج الفوضى والإهمال بثقافة الإ عداد.
· فكرياً: الرد على المادية الجدلية بإثبات الغيب، والرد على الإلحاد العلمي بأن للكون غاية وظيفية لا مجرد قوانين فيزيائية.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: يبني إنساناً مهتماً بالجمال) ذوقاً(، حريصاً على الحماية) وعياً(، مستعداً للمستقبل)تخطيطاً(، مؤمناً بالغيب) روحانية.(
· تنمية المجتمع: مجتمع يزين مدنه وطرقاته) جمالاً (، ويحمي حدوده وأمنه) حراسة(، ويخطط لمستقبله اقتصادياً واجتماعياً) إعداداً(، سيكون مجتمعاً قوياً مؤمناً.

الأمر السادس: دور الآية ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً وصناعة التطور و النهضة في الحياة والمجتمع والحضارة

· ذهنياً: ينتقل من التفكير السطحي إلى التفكير الهادف الغائي .كل ظاهرة يسأل: ما وظيفتها؟ ما

حكمتها؟ مما ينتج عقلية محللة ناقدة بانية.
· نفسياً: يبني إنساناً لا يرهبه الشر لأنه يعلم أن له رادعاً، ولا يغتر بالجمال لأنه يعلم أنه أداة، ولا يهمل المستقبل لأنه يعلم أن الإعداد واجب .هذه صفات القادة والمبدعين.
· فكرياً: يقدم نموذجاً معرفياً يجمع بين العلم) فلك (والدين) رجم شياطين(، ويجمع بين الجمال و القوة، ويجمع بين الدنيا والآخرة .هذا النموذج ينهض بالأمة لأنه متوازن.
· صناعة النهضة: الأمة التي تتزين) تحسن مظهرها وصورتها الحضارية(، وتحمي حدودها وفكرها من ا لاختراق، وتعدّ جيوشها واقتصادها للمستقبل، هي أمة تنتصر .الآية تقدم هذه المعادلة الذهبية: زينة + رجوم + إعداد = نهضة.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى الإعجاب بالسماء ليلا ً مع الوعي: لا تنظر للنجوم نظرة فيزيائية باردة، بل كزينة ورجوم، مما يزيد إيمانك وعملك.
· تدعونا إلى حماية عقيدتنا من الشياطين: بالتمسك بالقرآن والسنة، وبمقاومة الخرافات والبدع التي يلقيها الشياطين وأتباعهم.
· تدعونا إلى التخطيط العائلي والمجتمعي: "وأعتدنا" تذكرنا بأهمية وضع خطط استراتيجية للمستقبل، سواء في التربية أو الاقتصاد أو الأمن.
· تدعونا إلى الجمال المنظم: تزيين البيوت والمساجد والشوارع بأسلوب إسلامي يليق بجمال السماء، مع الحفاظ على الوظائف العملية.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية (تطبيقات يومية)؟

· نتعلم كيف ننام: اقرأ أذكار المساء، وتذكر أن الشياطين مرجومة، فنمت آمناً.
· نتعلم كيف نبدأ مشروعاً: ضع خطة إعداد) أعتدنا (قبل البدء، ثم ازين عملك) زينة(، ثم احمِه من المخاطر) رجوم.(
· نتعلم كيف نربي أولادنا: علمهم رؤية النجوم ليلا ً وردد معهم الآية، وقل: "الله زين السماء لنا، وهو يحرسها من الشياطين، فازينوا حياتكم بالطاعة واحرسوها من المعاصي".
· نتعلم كيف نتصدى لوساوس الشيطان: إذا أتاك وسواس في الصلاة أو الطهارة، فقل: "الشيطان مرجوم بالشهب، وأنا أرجمك بالاستعاذة بالله"، فتنصرف الوسوسة بإذن الله.
· نتعلم كيف نخطط لمستقبلنا: خذ دفتراً واكتب "إعدادي للآخرة" و"إعدادي للدنيا"، وضعه أمامك، وحقق أهدافك أسبوعياً.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في مجال الإعلام والفن: إنتاج محتوى بصري جميل) أفلام، مسلسلات، لوحات (يعظم خلق الله ويظهر جمال السماء، ويخلو من الإباحية والخرافات، ويكون وسيلة للدعوة إلى الله) تزيين.(
· في مجال الأمن السيبراني والمعلومات: استلهام مفهوم "رجوماً للشياطين" في حماية المعلومات و البيانات من الاختراق، عبر أنظمة رادعة قوية تمنع المتسللين) شياطين الإنس (من الوصول إلى الأ سرار.
· في مجال التخطيط الحضري: تصميم مدن صديقة للرصد الفلكي، بتقليل التلوث الضوئي، وإنشاء مراصد عامة، وتعليق لوحات تعريفية بالنجوم وآيات الكون، لتكون المدارس والجامعات قريبة منها لتدريب الطلاب على التفكر.
· في مجال التربية والتعليم: إدخال مناهج "التفكر في خلق السماوات" ضمن العلوم الشرعية والعلمية، مع رحلات ليلية لرصد النجوم وربطها بهذه الآيات، وتدريب على إعداد الخطط المستقبلية) مشاريع التخرج، خطط الحياة (كمحاكاة ل-"وأعتدنا".
· في مجال مواجهة العرافة والدجل: استخدام هذه الآية في المناهج الإعلامية والدينية لتوعية الناس بأن ادعاءات العرافين كاذبة، وأن الشياطين محرومون من السماء بالرجم، فلا حقيقة لمعرفتهم بالغيب.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب... كم تعبت من وساوس تهمس فيك: "ما فائدة حياتك؟"، "الكون صدفة"، "لا تخف من أحد، استمتع فقط". هذه الوساوس هي طلقات شياطين الإنس والجن تصوب نحو إيمانك.

ولكن، انظر الآن إلى السماء.

هل ترى تلك النجوم؟ هي ليست نقاطاً صماء، ولا غازات محترقة فقط. هي زينة. الله زينها لك ليحببك في النظر إليه وفي التفكر فيه. هي رسالة جمال من خالق جميل يقول لك: "انظر، كم أنا جميل الصنع، فأحسن أنت العمل".

وهي أيضاً رجوم. كل شهاب ينقض في الليل هو تذكير بأن الله يحمي ملكه من المتسللين. وبالتالي، فقلبك المحصن بذكره، لا يمكن للشياطين أن تتسلل إليه إذا رجمتهم بالاستعاذة والقرآن.

وهي أيضاً إنذار. "وأعتدنا لهم عذاب السعير". كل نجم يضيء يذكرك بأن هناك ناراً أعدت للعصاة. فلا تكن ممن يتبع خطوات الشيطان.

يا قلب،

إذا أظلمت عليك الدنيا، ارفع بصرك إلى السماء. تذكر:

· جمال السماء ينير بصيرتك.
· رجوم السماء تحرس إيمانك.
· إعداد السماء) السعير (يوقظك من غفلتك.

لا تترك نفسك فريسة للوساوس والخوف والإهمال. كن كالسماء: مزيناً بالطاعة، محروساً بالتقوى، مستعداً للقاء الله.

ردد كل ليلة وأنت تنظر إلى السماء: "تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً" (الفرقان 61)، ثم قل: "اللهم زين قلبي بالإيمان، واحرسه من الشياطين، وأعدد لي رحمة لا عذاباً".

عندها، ستجد قلبك يمتلئ نوراً وأماناً واستعداداً. وستنام قرير العين، وستستيقظ نشيطاً، وستعيش حراً أبياً.

خامسا

هذا تفسير للآيات السادسة والسابعة والثامنة من سورة الملك:

{وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (6) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8)}

أولاً: مقدمة تمهيدية

1.ارتباط الآية بما قبلها:

الآيات السابقة تحدثت عن قدرة الله وعظمته في خلق السماوات والأرض، وتزيين السماء الدنيا بالمصابيح، وجعلها رجوماً للشياطين، وإعداد عذاب السعير لهم. ثم كانت الآية الخامسة تمثل نقطة تحول: بعد أن رأى الإنسان الجمال الكوني والقدرة الإلهية، وبعد أن أنذرته الآيات، يأتي دور الحديث عن مصير من يكفر بهذه الآيات. فالآيات 6-8 تنتقل من الحديث عن خلق الكون وجماله إلى الحديث عن عاقبة الكافرين الذين كفروا بربهم، ليقيم الحجة على الناس، وليكون الإنذار مكتملاً: بعد البشارة بالجمال، تأتي النذارة بالعذاب. وهذه الآيات تفصيل لعذاب جهنم الذي أعد للكافرين، ووصف لحالتهم فيها، وتذكير بأنهم قد أنذرهم الرسل.

2.الأفكار التي تتحدث عنها الآيات:

· الفكرة الأولى: إثبات عذاب جهنم للذين كفروا بربهم، وأن هذا المصير بئس المصير.
· الفكرة الثانية: وصف حال الكفار عند إلقائهم في جهنم: يسمعون لها شهيقاً (صوتاً شديداً كصوت الحمار)، وهي تفور (تغلي وتنضج كالنار الشديدة).
· الفكرة الثالثة: شدة غضب النار: تكاد تتمزق من شدة الغيظ على الكافرين.
· الفكرة الرابعة: مشهد تتابع إلقاء الفوج تلو الآخر، وسؤال خزنة جهنم لكل فوج: ألم يأتكم نذير (رسول)؟ ليكون ذلك توبيخاً وإقامة للحجة.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات حقيقة الآخرة وعذاب النار، والرد على منكري البعث والجزاء.
· الهدف التربوي: تخويف الناس من عاقبة الكفر والمعصية، وتحذيرهم من اتباع خطوات الشياطين التي ذكرت سابقاً.
· الهدف النفسي: غرس الخوف النافع من النار، ودفع الإنسان إلى التوبة والاستعداد للآخرة.
· الهدف المنهجي: إقامة الحجة على الكافرين بتذكيرهم أن الرسل أتتهم النذر، فلا عذر لهم.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآيات

المحور الأول: مفهوم "عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" – حقية الجزاء وقبح العاقبة

.1تحليل "عذاب جهنم" و"بئس المصير":

· "عذاب جهنم": العذاب هو الألم الشديد والعقوبة، وجهنم هي النار العظيمة المعدة للكافرين. إضافة العذاب إلى جهنم تدل على أن عذابها ملازم لها، لا ينقطع.
· "بئس المصير": جملة إنشائية تفيد الذم والقبح. المصير هو المرجع والمآل. الآية تقرر أن هذا المصير هو أسوأ المصائر، قبحاً وألماً.

.2دلالة التخصيص "للذين كفروا بربهم":

لم يقل "وللكافرين" فقط، بل قال "للذين كفروا بربهم" إضافة الكفر إلى "ربهم" للتشديد عليهم. فهم كفروا بالذي رباهم وأنعم عليهم، وهذا أشد قبحاً. وفي ذلك تذكير بأن كفرهم ليس كفراً بمجهول، بل كفر بمن لهم عليه أجل النعم وأعظمها.

.3علاقة هذه الآية بما قبلها:

بعد أن ذكر الله تزيين السماء بالمصابيح ورجم الشياطين وإعداد عذاب السعير لهم، جاءت هذه الآية لتبين أن للكافرين من الإنس أيضاً نصيباً من هذا العذاب، بل هو عذاب جهنم الأعظم. فكما أعد للشياطين عذاب السعير، أعد للكافرين عذاب جهنم، وبئس المصير.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· علاج الكبر والغفلة: تذكير الإنسان بأن مصير الكفر هو العذاب الأليم يهز الغافلين ويوقظهم من نومهم.
· توليد الخوف النافع: الخوف من النار ليس خوفاً مرضياً، بل هو دافع للتغيير والتوبة. النبي ﷺ قال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ً ولبكيتم كثيرا". هذا خوف صحي.
· رسالة عقلية:
· إثبات العدل الإلهي: بعد أن رأى العقل إحسان الله في خلقه ورحمته، يدرك أنه لا بد من عدل يجزى المحسن والمسيء. عذاب جهنم هو مقتضى العدل لمن كفر بالحق بعد أن بلغته الحجة.
· تفنيد شبهة "إن الله رحيم فقط": الرحمة لا تمنع العدل، والله رحمن رحيم لكنه أيضاً عزيز جبار. العقاب حق لمن يستحقه.
· رسالة تربوية:
· تربية الأبناء على عاقبة الكفر: ليس التخويف بالكذب، بل الإخبار الصادق عن عذاب الله ليكون رادعاً لهم عن الكفر والمعصية.
· غرس مفهوم "المصير": أن لكل إنسان مصيراً، وأن هذا المصير مرتبط بإيمانه وعمله.
· رسالة عملية:
· في الوعظ والإرشاد: استعمال هذه الآية في تذكير الناس بحقيقة الآخرة، لا لتخويفهم فقط، بل لتحفيزهم على العمل الصالح.
· في التخطيط للحياة: جعل "حسن المصير" هدفاً أسمى، والتخطيط للآخرة كما نخطط للدنيا.

المحور الثاني: مفهوم "إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ" – مشاهد دخول النار الأولى

.1تحليل "ألقوا فيها" و"شهيقاً" و"تفور":

· "أُلقوا فِيهَا" : فعل القذف والعنف، يدل على أنهم لا يدخلونها كراماً، بل يُطرحون فيها طرداً وإهانة.
· "شَهِيقًا" : هو صوت شديد كصوت الحمار عند البكاء أو الزفير، أو صوت النار العظيمة. وهو صوت مفزع مرعب.
· "تَفُورُ" : تفعل من الفوران، أي تغلي كغلي الماء أو القدر الشديد. وهي استعارة لشدة حرارتها واضطرابها.

.2مشهد الجمع بين السمع والإلقاء:

عندما يُلقى الكافر في النار، أول ما يدركه حاسة السمع: يسمع شهيق النار قبل أن يمسها. هذا يزيد الرعب: يسمع صوتاً مفزعاً وهو يُقذف، ثم يرى النار تفور. الترتيب يهدف إلى تضاعيف الألم النفسي و الجسدي.

.3دلالة "وهي تفور":

الفوران يدل على أن النار في حالة غليان مستمر، لا تهدأ، وهذا يصور شدة العذاب. وهي أيضاً تفور غيظاً على الكافرين كما سيأتي.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· تصوير الرعب السمعي والبصري: الآيات تحاكي أعمق مشاعر الخوف لدى الإنسان (الصوت المخيف ، المنظر المرعب). هذا التصوير يترك أثراً بالغاً في نفس المؤمن، فيزداد تمسكه بالطاعة خوفاً من هذا المشهد.
· علاج اللامبالاة: من كان قلبه قاسياً لا يتأثر بالوعظ، هذه الصور الحسية تخرق غفلته.
· رسالة عقلية:
· إثبات عذاب القبر والآخرة كحقيقة عقلية: العقل يقبل وجود عذاب شديد لمن يستحقه، والقرآن يصفه بأبلغ الصور.
· الرد على من ينكر عذاب النار بحجة أنه غير ملموس: الآية تصفه تصويراً حسياً يفهمه العقل البشري.
· رسالة تربوية:
· تدريب النفس على استحضار هذه المشاهد: في الصلاة والدعاء، استحضار حال النار وشهيقها يخشع القلب.
· تعليم الأبناء عظمة الله في الدنيا والآخرة: لا نقتصر على تعليم الجنة، بل نعلم النار كحقيقة ليكتمل التصور.
· رسالة عملية:
· في الدعوة إلى الله: استخدام هذه الصور المقروءة في خطب الجمعة والمحاضرات لتحقيق التأثير.
· في الإعلام الهادف: يمكن إنتاج مشاهد تمثيلية محترمة (مع عدم التجسيد الكامل) تقرب معنى هذه الآيات إلى الناس.

المحور الثالث: مفهوم "تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ" – شدة غضب النار على الكافرين

.1تحليل "تميز" و"الغيظ":

· "تَكَادُ تَمَيَّزُ" : أي تكاد تنقطع وتتفرق وتتقطع أجزاؤها من شدة الغيظ. وهذا من أعظم الصور البلا غية: جعل النار كالكائن الحي الذي يغتاظ ويتميز غضباً.
· "مِنَ الْغَيْظِ" : الغيظ هو شدة الغضب. والنار تغتاظ على الكافرين لعصيانهم وكفرهم، وكأنها تطلبهم وتتألم من وجودهم فيها بطاعتها لله.

.2معنى أن النار تغتاظ:

النار جماد لا شعور له، لكن الله يخلق فيها إرادة وإحساساً في الآخرة لتكون عقاباً ناطقاً. وهذا يدل على:

· شدة بغض الله للكافرين: حتى خلقه (النار) يبغضهم.
· تناسب العذاب مع الذنب: كما كفروا بالله وغضبوا على رسله، فالنار تغتاظ منهم.
· زيادة العذاب النفسي: الكافر لا يعذب جسدياً فقط، بل يعلم أن النار نفسها تمقته.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· تعظيم شأن المعصية في نفس العبد: عندما يعلم أن النار تغتاظ من أهل المعصية، يزداد بغضه للمعصية وحرصه على اجتنابها.
· إشعار الكافر بالخذلان: حتى النار التي هي عنصر العذاب ترفضه وتغيظ منه، فهو مكروه في الدنيا والآخرة.
· رسالة عقلية:
· إثبات قدرة الله على خلق المشاعر في الجماد: هذا يوسع مفهوم القدرة الإلهية، ويرد على من يستبعد عذاب القبر بحجة أن الجماد لا يشعر.
· مبدأ المشاكلة: كما غضبوا على الله وعلى رسله، أغضبوا النار عليهم.
· رسالة تربوية:
· تربية النفس على محبة الله لا بغضه: فمن يحب الله يحبه الله وكل خلقه، ومن يبغض الله تبغضه النار.
· تربية الأبناء على احترام شعائر الله: حتى لا يغضبوا الله، فتغضب منهم النار.
· رسالة عملية:
· في الإصلاح الاجتماعي: كلما ازداد المجتمع غضباً على الفساد والمفسدين، كان أقرب إلى طاعة الله وأبعد عن موجبات النار.
· في التأمل: تذكر أن النار تغتاظ من الظالمين والكافرين، فدع عنك الظلم.

المحور الرابع: مفهوم "كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ" – التوبيخ المتكرر وإقامة الحجة

.1تحليل "فوج" و"خزنتها" و"نذير":

· "فَوْجٌ" : الجمع أفواج، أي جماعة كثيرة من الكفار، كل أمة مع زمرتها. تدل على أنهم يدخلون النار جماعات متتالية، كل جماعة بعد الأخرى.
· "خَزَنَتُهَا" : هم الملائكة المكلفون بعذاب أهل النار وسوقهم وإدارتهم. خزنة جهنم غلاظ شداد، لا يلينون للكافرين.
· "نَذِيرٌ" : الرسول أو المنذر الذي جاء بالحق ليخوف الناس من عذاب الله.

.2مشهد الحوار التوبيخي:

كلما ألقي فوج، يأتيهم سؤال استنكاري من الخزنة: "ألم يأتكم نذير؟"

· غرض السؤال: توبيخهم وإقامة الحجة عليهم، وليقولوا بأفواههم ما فعلوا في الدنيا.
· جواب الكافرين سيأتي في الآيات التالية: {قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا...} وهو اعترافهم بالذنب.
· التكرار "كلما" : يدل على أن هذا المشهد يتكرر مع كل فوج، ليكون التوبيخ عاماً شاملاً .

.3الفوائد التربوية من هذا السؤال:

· نفي عذرهم يوم القيامة: لن يقولوا ما أتينا من نذير.
· زيادة حسرة الكفار: يتذكرون أنهم كفروا بالرسل بعد أن جاءتهم.
· تناسب العقاب مع الجريمة: نذير أتاهم فكذبوا، فعذاب جهنم جزاؤهم.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم:

· رسالة نفسية:
· إشعار الكافر بالندم والحسرة: السؤال "ألم يأتكم نذير" يذكرهم بما فرطوا فيه، فيزداد ألمهم النفسي إلى الجسدي.

· تحذير المؤمن من التكذيب: من يسمع الآيات الآن ويعرض عنها، سيسأل يوم القيامة هذا السؤال، فيخاف المؤمن ويستيقظ.
· رسالة عقلية:
· إثبات عدل الله التام: لن يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه برسله. هذا السؤال هو تجسيد لتلك الحجة.
· الرد على شبهة "لولا أن الله أرسل رسلا ": الآية تؤكد أن الله أرسل الرسل، والكافرون لا عذر لهم.
· رسالة تربوية:
· تربية النفس على شكر النعمة: نعمة إرسال الرسل والكتب هي أعظم نعمة، فيجب شكرها بالإيمان والطاعة.
· تعليم الأبناء قيمة الإنذار: يجب أن ينذر الإنسان غيره من الشر، كما أنذر الرسل. فالدعوة إلى الله واجب.
· رسالة عملية:
· في الدعوة: استمرار تذكير الناس بأنه قد أتاهم نذير (القرآن والسنة)، فليحذروا.
· في التربية الذاتية: سؤال النفس يومياً: "هل أتاني نذير من الله؟ نعم، القرآن والسنة. فهل أنا مصدق ومتبع؟"

المحور الخامس: اللمسات البيانية والبلاغية والرسائل الشاملة من الآيات

.1الانتقال من المشاهد الكونية إلى مشاهد الآخرة:

بعد أن أخذت الآيات السابقة العبد في رحلة في السماء والمصابيح، هبطت به إلى مشاهد جهنم، ليكتمل التصور: هناك جنة وهناك نار، وهناك مبدع الجمال وهناك شديد العقاب.

.2الإخبار عن غضب النار) تكاد تميز من الغيظ(:

هذه استعارة بليغة جعلت النار كالإنسان الغضبان، مما يزيد في التخويف والتصوير. النار ليست جماداً جامداً، بل هي جند من جنود الله، لها إرادة مسخرة في إغاظة الكافرين.

.3الحوار التوبيخي) ألم يأتكم نذير(:

أسلوب استفهام إنكاري يوجهه الخزنة إلى الكفار، وهو أشد من الخبر، لأنه يجعلهم يعترفون بأنفسهم. وفيه إظهار لعدل الله ورحمته: أرسلنا إليكم الرسل فكفرتم.

.4التكرار ب-"كلما ألقي فيها فوج" وإفادة العموم والتجدد:

المشهد يتكرر بلا نهاية، كل زمرة تدخل تسمع السؤال نفسه. هذا يدل على استمرار العذاب وتجدد التوبيخ.

.5الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية الختامية للمحور الخامس:

· نفسياً: تحقيق التوازن بين الخوف والرجاء لدى المؤمن: يخاف من هذه المشاهد، ويرجو رحمة الله فلا ييأس.
· عقلياً: إقامة الحجة العقلية بأن عذاب الله عادل، لأن الكافر أنذر فكذب.
· تربوياً: ضرورة الاستمرار في الإنذار والدعوة، وأن التكرار في التذكير مطلوب كتكرر سؤال الخزنة.
· عملياً: في أي نظام تأديبي، ينبغي أن يسبق العقاب إنذار وتذكير، كما أنذر الله قبل أن يعذب.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآيات

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

تحويل هذه الآيات إلى حركة إيمانية يعني أن تجعل من مشاهد النار حافزاً يومياً لتغيير السلوك. الخطوات:

.1تمرين "استشعار النار" : خصص دقيقة يومياً) خاصة في الصلاة (تتخيل فيها مشهد "إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور" .اجعل هذا التخيل يملأ قلبك خشية، ثم تب واستغفر، ثم ازدد عزماً على الطاعة.
.2تمرين "تذكر النذير" : كلما هممت بذنب، اسأل نفسك: "ألم يأتني نذير؟ ألم أقرأ القرآن؟ ألم أسمع الحديث؟" عندها ستترك الذنب خوفاً من سؤال الخزنة.
.3تمرين "الغضب لله" : تذكر أن النار "تكاد تميز من الغيظ" على الكفار، فاغضب أنت لما يغضب الله)المنكرات، الظلم، الكفر(، واجعل هذا الغضب دافعاً للتغيير الإيجابي.
.4تمرين "توبة الفوج" : تخيل أنك مع فوج يلقى في النار، وتسأل: "ألم يأتك نذير؟" فتبتعد عن المعاصي، وتجعل توبتك نصوحاً قبل أن يحين ذلك اليوم.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآيات في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عند سماع صوت مزعج (صراخ، انفجار، رعد). تذكر "شهيق" النار، واستشعر رعب يوم القيامة، فتشكر الله على نعمة الأمن في الدنيا.
· الوقفة الثانية: عند رؤية غليان الماء أو الزيت في القدر. تذكر "وهي تفور"، وكم أن نار الدنيا هينة مقارنة بنار الآخرة. فتب إلى الله.
· الوقفة الثالثة: عند الشعور بالغضب الشديد من شخص. لا تفرط في الغضب، بل تذكر أن النار "تكاد تميز من الغيظ" على الكفار، فاجعل غضبك لله لا لنفسك، وتحكم في انفعالاتك.
· الوقفة الرابعة: عند حضور مجلس وعظ أو خطبة الجمعة. استحضر أن هذا هو "النذير" الذي سيسألك عنه الخزنة. فلا تغفل، بل تفاعل وتغير.
· الوقفة الخامسة: عند رؤية إنسان غارق في المعاصي. لا تشمت به، بل خف عليه وادعه إلى الله، وتذكر أنه قد يكون من فوج يلقى في النار، وأنذرْهُ قبل أن يندم.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآيات قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

القراءة الواعية تعني أن تسأل نفسك بعد كل جزء: كيف أطبقه اليوم؟

· "وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير" : تطبيق عملي: جدد إيمانك بربك كل صباح، واشكره على نعمة الهداية، حتى لا تكون من الكافرين. واجعل همك "حسن المصير" لا "حسن المال".
· "إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور" : تطبيق عملي: إذا شعرت بفتور في طاعتك، تخيل هذا المشهد، فسيعود إليك النشاط. استخدم "الخوف من النار" محركاً للطاعة.
· "تكاد تميز من الغيظ" : تطبيق عملي: لا تفعل شيئاً يغيظ الله، كالكذب والغيبة والظلم، حتى لا تغيظ منك النار. اجعل أخلاقك رضية لله.
· "كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير" : تطبيق عملي: كن أنت نذيراً في مجتمعك. انصح من حولك بلطف وحكمة، وذكرهم بالله واليوم الآخر. لا تكن ممن يسمعون النذير ثم يكذبون.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

· الدرس الأول: الكفر بالله أعظم جريمة، وعقوبته النار.
· التطبيق: احرص على سلامة عقيدتك أولا ً، بالعلم والإيمان. ثم احرص على دعوة غير المؤمنين إلى الله.
· الدرس الثاني: النار حقيقة وليست رمزاً، وهي مفزعة بصوتها وحركتها.
· التطبيق: لا تستهن بذكر النار في الوعظ، بل اجعلها حاضرة في قلبك. استخدم أسلوب الترغيب والترهيب مع نفسك.
· الدرس الثالث: غضب الله شديد حتى أن النار تغتاظ لأجله.
· التطبيق: تجنب ما يغضب الله من الكبائر والصغائر. وتعرف على أحباب الله ورضوانه لتكون منهم.
· الدرس الرابع: الحجة قائمة على الناس بالرسل والنذر.
· التطبيق: لا تعذر نفسك بالجهل، فأنت قد بلغك القرآن والسنة. اتبعهما. وعلم غيرك.
· الدرس الخامس: التكرار في الإنذار نافع، والناس بحاجة إلى تذكير متجدد.
· التطبيق: لا تمل من تذكير نفسك وأهلك بالآخرة، وكرر الآيات والأحاديث. كن صبوراً في الدعوة.

الأمر الخامس: كيف تغير الآيات نظرتنا للحياة؟

.1من النظرة الدنيوية المادية إلى النظرة الأخروية: لم تعد الحياة مجرد سعي وراء متع زائلة، بل أصبحت طريقاً إما إلى جنة أو إلى نار .هذا يغير أولوياتك: تقدم الآخرة على الدنيا.
.2من النظرة المتساهلة في الذنب إلى النظرة الخائفة من العذاب: أي ذنب مهما صغر قد يكون سبباً لدخول النار، فيزداد ورعك وتقواك.
.3من النظرة الأنانية الفردية إلى النظرة المسؤولة: أنت نذير لمن حولك .لا يكفي أن تنجو بنفسك، بل عليك أن تحذر غيرك.
.4من النظرة الجاحدة لنعمة الإنذار إلى النظرة الشاكرة: كل يوم تمر عليك آية أو موعظة، هي نذير من الله، فيصبح قلبك شكوراً.
.5من النظرة الهادئة الساكنة إلى النظرة القلقة النشطة: خوف من النار يحركك للعمل، لا يشلك . تصبح في حركة دائمة للإصلاح والتوبة.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآيات

· المهارات المعرفية:
· مهارة التصور الأخروي: القدرة على تخيل مشاهد الآخرة لتأثيرها على السلوك الحاضر.
· مهارة التمييز بين الخوف المرضي والخوف النافع: الخوف الذي يدفع للتوبة والعمل هو النافع.
· مهارة استحضار الحجة: أن تتذكر دائماً أن الله أقام الحجة عليك، فليس لك عذر.
· المهارات النفسية:
· مهارة إدارة الخوف: تحويل الخوف من النار إلى طاقة إيجابية للعمل والعبادة.
· مهارة التأثر بالموعظة: أن تبكي وتخاف وتتغير عند سماع آيات العذاب، لا أن تمر مرور الكرام.
· مهارة الصبر على الدعوة: كثرة الإنذار والتذكير دون ملل، كما يكرر الخزنة سؤالهم كلما ألقي فوج.
· المهارات العملية:
· مهارة التذكير الفعال: كيف تنذر غيرك دون أن تسبب له نفوراً؟ بالحكمة والموعظة الحسنة.
· مهارة التوبة النصوح: العزم على عدم العودة إلى الذنب، مستحضراً عذاب النار.
· مهارة ضبط الغضب: تذكر أن النار تغتاظ، فلا تغضب أنت إلا لله وفي حدود الشرع.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآيات

· البعد الأخروي (الإسكاتولوجي): التركيز على وصف جهنم وعذابها كحقيقة غيبية يجب الإيمان بها.
· البعد النفسي: دراسة تأثير الخوف من النار على سلوك الإنسان، وتحفيز الدافعية للتغيير.
· البعد التربوي: تقديم نموذج في الإنذار والتكرار والحوار التوبيخي كأسلوب تربوي.
· البعد القضائي (العدلي): إقامة الحجة على المجرم قبل إصدار العقاب، كما في سؤال الخزنة.

الأمر الثاني: القيم من الآيات

· قيمة الخوف من الله: خوفاً يدفع إلى الطاعة، لا إلى اليأس.
· قيمة الإنذار: تحذير الناس من عاقبة الشر.
· قيمة التذكير المستمر: فالناس بحاجة إلى من يذكرهم.
· قيمة العدل: لا يعذب أحد إلا بعد قيام الحجة.
· قيمة البعد عن موجبات الغضب: تجنب ما يغضب الله والنار.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم "الكفر بالرب" : هو جحود النعمة العظمى، وليس مجرد إنكار وجود الله.
· مفهوم "المصير" : هو نتيجة طبيعية للاختيارات في الدنيا، فاختر مصيرك.
· مفهوم "النذير" : الرسول، والكتاب، والعالم، والواعظ، وكل من يذكرك بالله.
· مفهوم "الغيظ الإلهي" : غضب مقدس على الكفر والفجور.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآيات

· تربوياً: أهمية استخدام الترهيب المقترن بالترغيب في التربية، وضرورة إقامة الحجة على المخطئ قبل العقاب.

· نفسياً: العلاج بالخوف (خوف من عذاب الله) هو أسلوب فعال لترك الإدمان والمعاصي، لكن يجب أن يكون متوازناً.
· فكرياً: الرد على منكري عذاب القبر والنار بأن الله أخبر به، وأن العقل لا يستحيله.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان خائف من الله، متذكر للآخرة، نذيراً لغيره، عادلا ً في حكمه. هذا الإنسان هو أساس المجتمع الصالح.
· تنمية المجتمع: مجتمع يخاف عذاب النار، يقل فيه الفساد والظلم. ومجتمع ينذر بعضه بعضاً، يسوده التعاون على البر والتقوى.

الأمر السادس: دور الآيات ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً وصناعة التطور و النهضة في الحياة والمجتمع والحضارة

· ذهنياً: ينتقل من التفكير الدنيوي القصير إلى التفكير الأخروي الطويل المدى. يصبح همه "المصير" وليس فقط "الحاضر".
· نفسياً: يبني شخصية متزنة بين الخوف والرجاء، لا ييأس ولا يأمن مكر الله. وهذا يجنبه التطرفين (الإرجاء واليأس).
· فكرياً: يكسر فكرة "الإنسان هو محور الوجود" (الإنسانية المطلقة)، ويؤسس لعقيدة "الله هو المحور" و"الجزاء هو الغاية".
· صناعة النهضة: الأمة التي تخاف النار لا تتهتك، والتي تنذر بعضها بعضاً لا تفسد، والتي تقيم الحجة قبل العقاب تكون عادلة. هذه الأمة تستحق النهضة. فالخوف من الآخرة دافع أقوى للإنجاز من الخوف من السلطة أو الجوع.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآيات في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى مراجعة إيماننا كل يوم: هل نحن من "الذين كفروا بربهم" أم من الذين آمنوا؟ جدد إيمانك ونيتك.
· تدعونا إلى التوبة الفورية قبل أن يأتي يوم "إذا ألقوا فيها" : لا تؤجل التوبة، فالنار تفور وتنتظر.
· تدعونا إلى أن نكون "نذيراً" لأهلنا وجيراننا: الدعوة إلى الله ليست حكراً على العلماء، بل كل من علم آية أو حديثاً فعليه أن يبلغه.
· تدعونا إلى ضبط غضبنا: وتذكير أنفسنا بأن النار تميز من الغيظ على الكافرين، فكيف بغضبنا على إخواننا المؤمنين؟ اغفر واصفح.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية (تطبيقات يومية)؟

(نكتب هذا البند مباشرة دون أي إشارة إدارية)

· نتعلم كيف نصلي بخشوع: عندما نقرأ في الفاتحة "مالك يوم الدين"، نتذكر عذاب جهنم، فتخشع قلوبنا.
· نتعلم كيف نتجنب المعاصي: قبل أن تقع في معصية (نظرة محرمة، كلمة خبيثة، أكل حرام)، تذكر "إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً"، فتهون عليك المعصية.
· نتعلم كيف نربي أولادنا: قص عليهم قصص النار بالأسلوب المناسب لعمرهم، ليخافوا الله ويطيعوه. علمهم أن الله أرسل إلينا نذيراً (القرآن)، فعلينا اتباعه.
· نتعلم كيف نتعامل مع الخطأ: عندما يخطئ شخص معك، لا تنتقم بغضب، بل تذكر أن النار تغتاظ من الكافرين وليس من المخطئين المؤمنين. فاصفح.
· نتعلم كيف نستقبل رمضان والأشهر الفضيلة: نستشعر أن هذه فرصة للنجاة من النار، فنجتهد في الطاعة.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآيات في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم الديني: إدخال نصوص هذه الآيات في مناهج التربية الإسلامية مع شرح مبسط، وأسئلة تحفز على التفكر في النار والنجاة منها.

· في الإعلام الديني: إنتاج برامج قصيرة (دقيقة) تصور مشاهد النار كما وردت في القرآن بأسلوب مؤثر (رسوم متحركة أو تمثيلية هادفة)، مع توجيه إلى التوبة والعمل الصالح.
· في الدعوة عبر وسائل التواصل: كتابة هذه الآيات مع تعليقات موجزة تحث على التوقف عن المعاصي، واستخدام تأثيرها البلاغي لجذب الانتباه.
· في برامج التأهيل النفسي للمدمنين أو المجرمين: استخدام مفهوم "النذير" و"عذاب جهنم" كجزء من برامج الردع الذاتي، بالتزامن مع التأهيل النفسي.
· في التربية المؤسسية (الشركات والمدارس): وضع لوحات تحتوي على هذه الآيات في مكان ظاهر لتذكير الموظفين والطلاب بالعاقبة، فيزداد إخلاصهم وأمانتهم.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب... كم غفلت عن المآل، وكم انشغلت بالدنيا وزينتها، وكم ركنت إلى الأماني الكاذبة.

هذه الآيات تهزك هزاً. تفتح أمامك أبواب جهنم، وتريك ما أعد الله لمن كفر به.

استمع...

تسمع ذلك الشهيق؟ إنه صوت النار. ليس صوتاً عادياً، بل شهيق كشهيق الحمار، لكنه أفظع وأرعب. النار تتنفس، تنتظر أن تلقى فيها الكافرون. وهل أنت منهم؟

انظر...

تراها تفور. تغلي كأشد الغليان. فورانها لا يهدأ، حرها لا يخمد. لو أن قطرة من مائها نزلت على الأ رض لأحرقتها. فكيف بمن ألقي فيها؟

تحسس...

النار تغتاظ، تكاد تتمزق غيظاً على الكافرين. هل تريد أن تكون ممن تغتاظ منهم النار؟ هل ترضى أن تكون مكروهاً حتى من الجماد؟

تذكر...

كلما ألقي فيها فوج، سألهم الخزنة: ألم يأتكم نذير؟ وأنت، ألم يأتك نذير؟ ألم تقرأ القرآن؟ ألم تسمع الحديث؟ ألم تبلغك المواعظ؟

إذاً، فما عذرك؟

يا قلب،

لا تنتظر حتى يقال لك هذا السؤال وأنت في النار. أجب عليه اليوم. قل: "بلى، قد جاءني نذير، والآن آمنت وعملت صالحاً".

اجعل من خوفك من هذه الآيات دافعاً لحبك لله. فالذي خلق النار هو نفسه الذي خلق الجنة، وهو أرحم بك من أمك. لا تيأس من رحمته، لكن لا تأمن مكره.

تب إليه اليوم. اترك الذنب الذي تسول به نفسك. وابدأ صفحة جديدة. اقرأ هذه الآيات كل يوم، ودعها تردد في قلبك: "وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير". وقل أنت: "ربي اجعلني من الذين آمنوا بربهم فله حسن المصير".

سادسا

تفسير قوله تعالى:

{قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (11)}

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآيات السابقة (6-8) وصفت عذاب جهنم للكافرين، وكيف أن خزنتها يسألونهم: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}. الآن تأتي الآية 9 لترد على هذا السؤال مباشرة بكلام الكفار أنفسهم، فهم لم ينكروا مجيء النذير بل اعترفوا به اعترافاً قهرياً، ثم أضافوا تفصيلا ً لموقفهم في الدنيا: كيف كذبوا واستهزؤوا. ثم تأتي الآ ية 10 لتكشف عن سبب ضلالهم الجذري: تعطيل وسائل الهداية (السمع والعقل). وتنتهي الآية 11 باعترافهم النهائي بذنبهم، وإصدار الحكم الإلهي عليهم ب-"السحق". فالآيات الثلاث تمثل مشاهد متكاملة: اعتراف – تحليل سبب – حكم.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآيات:

· الفكرة الأولى (الآية 9): إقرار الكفار في جهنم بأن الرسل جاءتهم (بلى قد جاءنا نذير)، ثم شرحهم لكيفية ردهم: تكذيب، وإنكار عام للوحي، واتهام للرسل بالضلال.
· الفكرة الثانية (الآية 10): اكتشافهم السبب الحقيقي لدخولهم النار: تعطيلهم نعمة السماع النافع وتعطيلهم نعمة العقل.
· الفكرة الثالثة (الآية 11): اعترافهم النهائي بذنبهم، ثم إعلان الله (على لسان الملائكة أو بالحكم الإ لهي) سحقهم وإبعادهم.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إظهار عدل الله التام بإقامة الحجة على الكفار وإلزامهم بالاعتراف قبل العقاب.
· الهدف التربوي: تحذير الناس من عاقبة التكذيب والاستهزاء بالرسل، ومن تعطيل نعمة السمع و العقل.
· الهدف النفسي: تصوير حالة الندم والحسرة العميقة لدى الكفار عندما يعترفون بأنهم هم الذين ظلموا أنفسهم، وإشعار المؤمن بأهمية استعمال السمع والعقل الآن قبل فوات الأوان.
· الهدف المعرفي (المنهجي): ترسيخ أن وسائل الهداية هي (السمع الصادق للنقل) و(العقل السليم للتفكر)، ومن أضاعهما فقد أضاع نفسه.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآيات

المحور الأول: الآية 9 – الاعتراف القهري وتفصيل موقف التكذيب والاستهزاء

.1تحليل الجملة الأولى:} قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ{

· "قَالُوا" : هذا القول صادر من الكفار وهم في جهنم، بعد سؤال الخزنة. وهو قول نابع من الإكراه والإ ذعان بعد أن شاهدوا العذاب.
· "بَلَىٰ" : حرف إيجاب وإقرار، يفيد إبطال النفي السابق (نفي مجيء النذير). وهي أقوى من "نعم" في الإثبات بعد النفي. فهي تدل على اعتراف تام وحاسم، وكأنهم يقولون: "نحن المخطئون، لقد جاءنا النذير حقاً".
· "قَدْ" : حرف تحقيق وتوكيد، ويفيد القهر والحتمية. ليس اعترافهم اعترافاً اختيارياً، بل اعترافاً قسرياً بهيمنة العذاب. وتفيد أيضاً أنهم يصرخون بهذا الاعتراف بأعلى أصواتهم، وكأنهم يريدون أن يشهد عليهم الجميع.
· "جَاءَنَا نَذِيرٌ" : استخدام الفعل "جاء" (بدلا ً من "أتى") يفيد القرب الزماني والمكاني. فهم يشعرون كأن فراق الدنيا كان بالأمس، وكأن الرسل أتتهم حديثاً، فلا يستطيعون نسيان ذلك أو التعلل بقدم العهد. "نذير" نكرة للعموم، أي جاءنا كل نذير: الرسل، الكتب، الآيات، المواعظ.

.2تحليل الجملة الثانية:} فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ{

· "فَكَذَّبْنَا" : الفاء للتعقيب والسببية، أي أن مجيء النذير قوبل فوراً بتكذيب. صيغة الماضي الجمع "كذبنا" تدل على أن التكذيب كان صادراً عن إرادتهم وإصرارهم، وكرروه مرات. وليست مجرد كذبة واحدة، بل تكذيب مستمر.
· "وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ" : هذا مستوى أعمق من التكذيب. فهم لم يكتفوا بتكذيب نذير معين،

بل أصدروا حكماً عاماً: أن الله لم ينزل أي شيء أصلاً. وهذا إنكار للوحي والرسالات جمعاء، وهو جحود صريح بعد قيام الحجة. و"من شيء" نكرة في سياق النفي، تفيد العموم والشمول، أي لا كتاباً ولا رسالة ولا آية.

3.تحليل الجملة الثالثة:} إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ{

· "إِنْ أَنتُمْ إِلَّا..." : قصر وحصر، أي ما الرسل إلا في ضلال كبير.
· "ضَلَالٍ كَبِيرٍ" : وصف الضلال بأنه كبير، فيه مبالغة في الاستهزاء والسخرية بالرسل. لم يكتفوا باتهامهم بالخطأ، بل بالانحراف العظيم. وهذا إظهار لأقصى درجات العداوة والاستكبار.
· دلالة الإخفاء (إخفاء التنوين في القراءة) : قرأ بعض القراء بإخفاء تنوين "ضلالٍ" عند الكاف (كبير)، مما قد يشير إلى أنهم كانوا يخفون الحقيقة عن الناس ويطلقون إعلاناتهم المضللة (الدعاية السوداء) بأسلوب خفي أو مستتر، كحملات التشويه الإعلامي لمنع الناس من اتباع الحق. ولهذا قالوا "إن أنتم..." وليس "إن هم..."، أي خاطبوا الرسل مباشرة بالتهمة في العلن، ولكن الإخفاء يشير إلى تزويرهم للحقائق في نفوس الناس.

4.الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية9

أولاً: الرسائل النفسية:

· ظاهرة "الاعتراف القهري" : في علم النفس، عندما يواجه الإنسان ضغطاً لا يطاق (كالعذاب)، قد يعترف بأشياء كان ينكرها. الكفار هنا يعترفون إكراهاً، لكن اعترافهم صادق في كشف ذنبهم. هذا يظهر عظمة العدل الإلهي.
· فضح آليات الدفاع : كانوا في الدنيا يستخدمون آليات دفاع (الإنكار، التبرير، الاستهزاء). في الآخرة تنهار كل هذه الآليات، ويواجهون الحقيقة. الآية تدفع المؤمن لتفكيك آليات دفاعه الآن قبل الآخرة.
· الصدمة بعد الاعتراف : الاعتراف بمجيء النذير وبالتكذيب وبالاستهزاء يسبب لهم صدمة نفسية كبرى، تزيد عذابهم. هذا يصور أن عذاب الآخرة نفسي وجسدي معاً.
· المشاعر المركبة : يجمع اعترافهم بين الذل (بلى)، واليأس (فكذبنا)، والتعالي السابق (إن أنتم إلا في ضلال كبير). هذا التعقيد النفسي يكشف عمق التناقض في شخصية الكافر.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· العدل الإلهي المطلق : الآية تقيم البرهان العقلي على عدل الله: لم يعذبهم إلا بعد أن أرسل إليهم نذيراً، وهم أنفسهم يشهدون بذلك. هذا رد على كل من يتساءل عن عذاب الكفار.
· مبدأ "لا عذر لمن بلغته الحجة" : اعترافهم بأن نذيراً جاءهم يقطع كل عذر عقلي كانوا قد يتعللون به (كعدم العلم، أو عدم وصول الرسالة).
· العلاقة بين الإنكار العام والاستهزاء : الكافرون ينكرون الوحي جملة، وهذا يدفعهم تلقائياً إلى الا ستهزاء بالمؤمنين. الاستهزاء ليس مجرد سلوك عابر، بل هو ثمرة الإنكار العام. هذا تحليل عقلي لطبيعة الكفر.
· دور الدعاية الإعلامية المضللة : قولهم "إن أنتم إلا في ضلال كبير" كان حملة إعلامية ضد الرسل. الآية تكشف أن الكفار يستخدمون الإعلام لتشويه الحق، ومن ينخدع بهم يكون قد سلك طريق أصحاب السعير.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تعليم الصدق في الاعتراف : رغم أن اعترافهم قهري، نتعلم منه قيمة الاعتراف بالخطأ. نربي أبناءنا على قول "أنا أخطأت" دون لف ودوران.
· التحذير من التكذيب الفوري للحق : "فكذبنا" بالفاء يدل على أن بعض الناس بمجرد سماع الحق يكذبونه دون روية. يجب التوقف والتدبر قبل الرفض.
· التحذير من إطلاق الأحكام العامة الباطلة : "ما نزل الله من شيء" حكم عام باطل. نربي أن لا نطلق أحكاماً شاملة دون علم.
· التحذير من الاستهزاء والتنمر : اتهام الرسل بالضلال هو صورة من التنمر والاستهزاء. الآية تنهى عن هذه الصفات الذميمة.
· فضح الإعلام المسموم : يجب توعية الأبناء بأن بعض الناس يطلقون عبارات مثل "إن أنتم إلا في ضلال كبير" لتشويه صورة الإسلام وأهله، فلا ينخدعوا.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في الدعوة إلى الله : توقع أن الكفار قد يقولون "ما نزل الله من شيء" و"إن أنتم إلا في ضلال كبير". فلا تحزن، فهذا ديدنهم. استمر في الدعوة بالحكمة.
· في مواجهة حملات التشويه : الرد على المشككين بالحجج العقلية والنقلية، وكشف أكاذيبهم، وعدم الانزعاج من استهزائهم.
· في التربية الإعلامية : تعليم الناس كيف يكتشفون حملات التضليل التي تقول "إن أنتم إلا في ضلا ل كبير" ضد العلماء والدعاة، وكيف يتحققون من الأخبار.
· في المحاكمات الإنسانية : استلهام مبدأ "الاعتراف بعد إقامة الحجة" و"تخفيف العقاب عند الا عتراف" في القوانين الوضعية.

المحور الثاني: الآية 10 – اكتشاف السبب الجذري للعذاب: تعطيل السمع والعقل

.1تحليل} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ{

· "وَقَالُوا" : استئناف قول آخر للكفار، وهو تعبير عن حسرة وندم عميقين.
· "لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ" : "لو" للتمني والتحسر على ما فات. و"نسمع" و"نعقل" هما وسيلتا الهداية:
· "نَسْمَعُ" : السماع المقبول القابل للهدى، وهو سماع التدبر والفهم والعمل. وليس مجرد سماع الأذن، كما قال تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}. وهو وعاء النقل الصحيح (القرآن، السنن، كلام العلماء). وقدم السماع على العقل لأنه السبيل الأول للوصول إلى الشرع، أو لأن أكثر الناس يدخلون في الإسلا م عن طريق السماع أولا ً.
· "نَعْقِلُ" : العقل الذي يميز بين الحق والباطل، ويتفكر في آيات الله الكونية (السماوات والأرض والأ نفس). وهو وسيلة الاستدلال الفطري. فمن استعمل عقله في النظر في خلق الله لاهتدى.
· "أَوْ نَعْقِلُ" : استخدم "أو" وليس "و". فكل منهما يكفي في الهداية لوحده. فقد يهتدي من سمع النقل الصحيح وقبل به دون تفكر عميق، وقد يهتدي من لم يسمع (كمن عاش في فترة لا تبلغه الدعوة) لكنه تفكر واستعمل عقله فوصل إلى وجود الخالق. وأيضاً، من عطل إحدى هاتين الوسيلتين مع قدرته عليهما فقد ظلم نفسه.
· "مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" : جواب التمني، أي لو حصل منا السماع أو التعقل، لنجونا من النار. و "أصحاب السعير" إشارة إلى الملازمة، فهم خالدون فيها.

.2تفسير "السمع" و"العقل" كوسيلتي العلم اليقيني) كما أشار المستخدم(:

· السمع : هو تلقي الوحي والرسالات والآيات القرآنية والأحاديث المتواترة. وهو العلم النقلي. من استعمل سمعه بشكل سليم (بفهم وتدبر وقبول) فقد هدي.
· العقل : هو النظر في آيات الله الكونية، والتفكر في خلق السماوات والأرض، وفي أنفسنا. هذا يؤدي إلى الإيمان بالخالق ووحدانيته وكمال قدرته. قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (آل عمران 190). فأولو الألباب هم العقلاء الذين يتفكرون في هذه ا لآيات، فيزدادون خشية.
· التكامل بينهما : السماء الدنيا مزينة بالمصابيح (آيات كونية) وفي نفس الوقت هناك قرآن يتلى (آيات سمعية). فالله جمع للعباد الطريقين.
· من عطل سمعه : لم يستمع إلى الوحي أو استمع بإعراض، فهو كمن لم يسمع.
· من عطل عقله : لم يتفكر في خلق الله، واكتفى بالتقليد الأعمى أو المادية الجدلية، أو ظن أن الكون صدفة.
· الله لا يكلف نفساً إلا وسعها : فمن كان مجنوناً أو طفلا ً أو لم تبلغه الدعوة أصلا ً، فهو معذور. أما من أوتي سمعاً وعقلا ً ثم عطلهما فقد استحق العذاب.

.3لماذا قالوا "نسمع أو نعقل" وليس "نطيع" أو "نؤمن"؟

لأنهم عرفوا أن أساس الإيمان هو السمع والعقل، فإذا فاتهما فات الخير كله. وهم يعترفون بأنهم لم يكونوا يسمعون سماع قبول، ولا يعقلون تفكراً صحيحاً، بل كانوا صماً عُمياً في الدنيا.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية 10

أولا ً: الرسائل النفسية:

· الندم العميق على تعطيل القدرات : من أعظم آلام النفس أن تدرك أنها كانت تملك أدوات النجاة (السمع والعقل) لكنها أهملتها. هذا الندم يضاعف العذاب النفسي.
· التحسر على الفرص الضائعة : "لو" تدل على حسرتهم على كل لحظة ضاعت دون استخدام السمع و العقل. المؤمن يستغل هذه الآية ليشعر بقيمة وقته وحواسه الآن.
· علاج التسويف الفكري : كثير من الناس يؤجلون التفكر وطلب العلم إلى وقت لاحق. الآية تصدمهم بأن الندم سيأتي بعد فوات الأوان.
· إدراك أن الضلال نتيجة اختيارات الفرد : هم لم يظلموا، بل اختاروا عدم السماع وعدم التعقل. هذا يمنع لوم الآخرين، ويعيد المسؤولية إلى النفس.
· توليد "الحسرة النافعة" : عند قراءة الآية، يشعر المؤمن بحسرة على أوقات ضاعت من غير سماع نافع أو تفكر عميق، فيدفعه ذلك إلى تعويض ما فات.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· السمع والعقل هما مصدرا المعرفة الشرعية : الآية تثبت أن الحقيقة تُعرف عن طريق النقل الصادق (السمع) والاستدلال السليم (العقل). من أنكر أياً منهما خرج عن جادة الهداية.
· تفنيد شبهة "الإيمان الأعمى" : الدين ليس إيماناً أعمى، بل هو مبني على السماع والعقل. فكيف يتهم الإسلام بأنه ضد العقل وهو يجعل تعطيل العقل سبباً لدخول النار؟
· الإيمان بالغيب ليس ضد العقل : الإيمان بالغيب يستخدم السمع (نقل الرسل) والعقل (استنتاج وجود الخالق من الآثار). فهو عقلاني تماماً.
· العلماء هم أكثر الناس خشية : لأنهم جمعوا بين السماع النافع والتعقل العميق، كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}.
· نظرية المعرفة الإسلامية : تتأسس على هذين الركنين، وتنقد النظريات التي تعتمد على أحدهما دون الآخر (مثل التجريبية المجردة، أو النقلية الجامدة).

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تعليم الأطفال أهمية الإصغاء : ليس مجرد سماع، بل سماع بفهم وعمل. نمرنهم على إعادة ما سمعوه ومناقشته.
· تعليمهم مهارات التفكير والتأمل : تخصيص وقت للنظر في الطبيعة والتساؤل عن خلق الله.
· تحفيز الطلب العلمي : العلم هو الذي ينمي السمع والعقل، فمن تعلم فقد استعمل وسيلتي النجاة.
· عدم التقليد الأعمى : الطفل يجب أن يتعلم أن يسأل "لماذا" ويتفكر، لا أن يقبل كل شيء دون عقل.
· غرس قيمة الوقت : الوقت الذي يمضي دون تعلم أو تفكر هو وقت ضائع، يندم عليه العبد يوم القيامة.
· الربط بين آيات القرآن وآيات الكون : في المناهج الدراسية، نربط درس العلوم بآيات قرآنية تدفع للتفكر.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في المجال التعليمي : تطوير مناهج تنمي "السماع الناقد" و"التفكير التأملي" لدى الطلاب، مع ربط ذلك بالآيات.
· في مجال الإعلام : إنتاج محتوى يحفز على استعمال السمع والعقل، مثل بودكاستات علمية دينية، وبرامج تأمل في الطبيعة.
· في التخطيط الشخصي : خصص وقتاً يومياً للسماع (استماع للقرآن، دروس علمية) ووقتاً للتفكر (مشاهدة السماء، قراءة كتب في الكون).
· في تقييم الذات : اسأل نفسك كل أسبوع: "كم سمعت من نافع؟ وماذا تفكرت هذا الأسبوع؟". دوّن إجابتك لتحفز نفسك على الزيادة.
· في مواجهة الإلحاد : الرد على الملحدين بأنهم عطلوا عقولهم عن التفكر في الآيات الكونية، وعطلوا سمعهم عن تلقي الوحي، وهذا هو سبب ضلالهم، كما تعترف الآية نفسها.

المحور الثالث: الآية 11 – الاعتراف النهائي والحكم بالخسران

.1تحليل} فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ{

· "فَاعْتَرَفُوا" : الفاء للتعقيب، أي بعد أن قالوا ما قالوا من اعتراف بمجيء النذير وتكذيبهم وتعطيلهم للسمع والعقل، كان نتيجة ذلك أن اعترفوا اعترافاً صريحاً بذنبهم (الكفر والتكذيب والاستهزاء وتعطيل السمع والعقل). وهو اعتراف تام لا تردد فيه.
· "بِذَنْبِهِمْ" : إضافة الذنب إليهم، أي هو ذنبهم الذي اقترفوه بأيديهم، لا ظلم من الله لهم. وهي تبرئة لله من أي جور. والذنب يشمل كل ما فعلوه: كفرهم، تكذيبهم، استهزاءهم، تعطيلهم سمعهم وعقلهم.
· "فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ" : هذا الحكم الإلهي يصدر بعد اعترافهم. "سحقاً" مصدر بمعنى البعد والهلاك واللعنة والخسران المبين. وهو دعاء عليهم أو حكم بمعنى "ألحقهم الله بالسحق". و"أصحاب السعير" هم الذين سكنوا النار واختلطوا بها.

.2إظهار عدالة الله من خلال هذا التسلسل:

.1سؤال الخزنة:} أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) {إقامة الحجة.(
.2اعترافهم:} بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ) {الإقرار بالحجة.(
.3تفصيلهم لموقفهم:} فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) {بيان الذنب.(
.4كشفهم للسبب الجذري:} لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) {تفسير الضلال.(
.5اعترافهم الختامي:} فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ) {الختم على أنفسهم.(
.6الحكم:} فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ) {العقاب العادل.(
هذا التسلسل هو أتم دليل على أن الله لا يعذب أحداً بغير حجة، وأن الكفار هم الذين يجلبون العذاب على أنفسهم.

.3ارتباط مصير الكفار بمصير الشياطين:

· في الآية 5: {وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} (للشياطين).
· في الآية 6: {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ}.
· وفي هذه الآية: {فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ}.
فالكفار اتبعوا الشياطين، فصاروا شركاءهم في العذاب (السعير). ولفظ "لأصحاب السعير" فيه التعريف باللام التي تدل على أنهم صاروا من أهلها الملازمين لها، كما أن الشياطين من أهلها.

.4معنى "السحق" وفائدته البلاغية:

السحق هو الدعاء بالبعد والهلاك. وعدم ذكر فاعل (مثل "فسحقهم الله") يفيد أن الدعاء أو الحكم صادر من الله ومن الملائكة ومن المؤمنين جميعاً، وأن السحق هو جزاء طبيعي لذنبهم. وهي أقوى أسلوب في الإعلان عن الخسران.

.5الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية() 11 :

أولا ً: الرسائل النفسية:

· الاعتراف بالذنب كمرحلة أخيرة من التسليم : بعد الجدال والإنكار، يصل النفس إلى مرحلة التسليم الكامل. هذا التسليم في الآخرة لا ينفع، لكن المؤمن يتدرب عليه في الدنيا.
· تطهير النفس من التبرير : الاعتراف بأن الذنب هو "ذنبهم" لا ذنب غيرهم، يريح النفس من لوم الآ خرين. فالمؤمن يتحمل مسؤوليته.
· قبول العقاب بعد الاعتراف : عندما يعترف الإنسان بذنبه، يصبح تقبله للعقاب أسهل، ولا يحتج. وهذا ما يحدث للكفار فلا يحتجون يوم القيامة.
· الخزي والفضح : "سحقاً" تحمل معنى الخزي العلني، مما يضاعف العذاب النفسي (العار). هذا يدفع المؤمن للاستحياء من الله في الدنيا لئلا يفضح في الآخرة.
· إدراك الهلاك الذاتي : هم أهلكوا أنفسهم بأيديهم، فلم يظلمهم الله. هذا يزيل عنهم أي شعور بأنهم ضحايا، ويجعلهم في مواجهة حقيقة خياراتهم.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· العدل المطلق في العقاب : بعد أن اعترفوا، لم يبق أي مجال للشك في عدالة العقاب. هذه حجة دامغة لكل من يتساءل عن عذاب الكفار.
· الجزاء من جنس العمل : كانوا يسخرون من الرسل ويقولون لهم "إن أنتم إلا في ضلال كبير"، فجاءهم الجزاء "سحقاً" وهو أذل وأخزى. كما أنهم استكبروا عن السماع والتعقل، فصاروا "أصحاب

السعير" الملازمين للذل.
· السببية الأخلاقية : الذنب يؤدي إلى الاعتراف القهري، والاعتراف يؤدي إلى الحكم العادل. هذه سلسلة سببيه واضحة منطقياً.
· إبطال فكرة "غفران الله المطلق بدون شروط" : من يدعي أن الله يغفر للجميع دون توبة، هذه الآية ترد عليه، فالكفار لم ينفعهم اعترافهم بعد الموت، فضلا ً عن من لم يعترف.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تعليم الاعتراف بالخطأ في الدنيا : نشجع أبناءنا على قول "أنا مخطئ" و"هذا ذنبي" بدل التهرب و الكذب.
· تعليم تحمل المسؤولية : لا نلقي باللوم على الظروف أو الآخرين، بل نعترف بذنوبنا ونتوب.
· التحذير من مصاحبة أهل السعير : "أصحاب السعير" رفقة السوء في النار، فلا نرافقهم في الدنيا.
· تربية النفس على الاستحياء من الله : إذا خشينا الخزي والفضح يوم القيامة، نستحي اليوم من النظر إلى المحرمات، وقول الزور، والاستهزاء بالغير.
· قبول النقد والعقاب العادل : في التربية الأسرية، إذا اعترف الطفل بخطئه، نخفف عنه العقاب، ونعلمه أن الاعتراف فضيلة.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في النظام التربوي الأسري : قاعدة "من اعترف بذنبه قبل اكتشافه يخفف عنه العقاب" تطبيقاً لروح العدل والإقرار.
· في الإصلاح الجنائي : تشجيع المجرمين على الاعتراف بذنوبهم كخطوة أولى للتأهيل، مع تخفيف العقوبات لمن يعترف باكراً.
· في العلاقات الإنسانية : تعلم أن تقول "أنا آسف، هذا ذنبي" عند الخطأ بحق الآخرين، قبل أن يأتي يوم الندم.
· في التقييم المؤسسي : خلق ثقافة "الاعتراف البناء" بالأخطاء الوظيفية، بدل ثقافة إخفاء الأخطاء وتبريرها، مع وضع نظام لعواقب معقولة بعد الاعتراف.
· في الدعوة : تذكير الناس بأنهم سيقفون بين يدي الله ويعترفون بذنوبهم، فليبادروا بالتوبة الآن.

المحور الرابع: اللمسات البيانية والبلاغية والرسائل الشاملة في الآيات الثلاث

.1التدرج البياني في اعترافات الكفار:

الآية 9: اعتراف بمجيء النذير (اعتراف أولي).
الآية 10: اعتراف بتعطيل السمع والعقل (اعتراف بسبب).
الآية 11: اعتراف عام بالذنب (اعتراف ختامي شامل). هذا التدرج يجعل الحجة قاطعة ومدمرة لكل عذر.

.2استخدام أدوات التأكيد والقهر:

"بَلَىٰ" و"قَدْ" و"فَكَذَّبْنَا" و"مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ" كلها أدوات تؤكد على أن اعترافهم جاء في قمة اليأس والإذعان القهري، وليس اختيارياً.

.3أسلوب التحسر بـ"لو" في الآية10 :

"لو" تدل على تمنٍ مستحيل، وتفتح باب الحسرة التي لا تنتهي. هذا أسلوب يدمي القلوب، ويجعل القارئ يتعظ.

.4الحسم في الآية11 :

"فَاعْتَرَفُوا" ثم "فَسُحْقًا" يفيدان الحتمية والسرعة في العقاب بعد الاعتراف.

.5الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية الختامية:

· نفسياً : إحداث صدمة نفسية واعية في نفس المؤمن تدفعه لاستعمال سمعه وعقله والاعتراف

بذنوبه باكراً.
· عقلياً : تقديم برهان قاطع على عدل الله، وعلى أن الكفر ناتج عن تعطيل للسمع والعقل، وليس عن قصور في أدلة الله.
· تربوياً : وضع خريطة تربوية تعتمد على تنمية حاسة السماع النافع والتفكير المستقل، وعلى تشجيع الاعتراف بالخطأ كفضيلة.
· عملياً : تصميم برامج مجتمعية لتعزيز هذه القيم في المدارس والمساجد ووسائل الإعلام والمحاكم.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآيات

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

تحويل هذه الآيات الثلاث إلى حركة إيمانية يعني أن تجعل منها برنامجاً يومياً لتنمية السمع والعقل، وللتمرن على الاعتراف بالخطأ.

.1تمرين "السمع النافع" : كل يوم، خصص 10 دقائق تستمع فيها إلى تلاوة القرآن أو درس علمي، ليس بسماع عابر، بل بقصد الفهم والحفظ والعمل .بعد السماع، اكتب سطراً واحداً: "ما الذي سأطبقه اليوم مما سمعت؟".
.2تمرين "التعقل التأملي" : مرة يومياً، انظر إلى ظاهرة طبيعية) غروب، مطر، شجرة، سماء، وجه إنسان (واسأل نفسك ثلاثة أسئلة: "من خلق هذا؟ كيف خلقه؟ لماذا خلقه؟" سجل إجابتك لتزداد يقيناً.
.3تمرين "الاعتراف المبكر" : قبل أن تنام، راجع يومك، واكتب ذنباً واحداً) ولو صغيراً (اعترفت به لله وتوبت منه .اجعل الاعتراف عادة يومية، كما كان السلف يفعلون.
.4تمرين "تذكر السحق" : عندما تهم بمعصية، تذكر قوله تعالى "فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ"، وقل لنفسك: "أأختار طريق السحق أم طريق المغفرة؟".

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآيات في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عند سماع آية من القرآن أو حديث نبوي. توقف وتذكر قولهم "لو كنا نسمع...". اسأل نفسك: هل أسمع هذا سماع تدبر أم سماع إعراض؟ هل سأكون نادماً إذا لم أعمل به؟
· الوقفة الثانية: عند النظر إلى السماء أو خلق الله. تذكر أن تعطيل العقل عن التفكر في هذه الآيات هو سبب من أسباب دخول النار. فاشكر الله على عقلك، واستعمله في زيادة الإيمان.
· الوقفة الثالثة: عندما يستهزئ أحد بالدين أو بالعلماء. تذكر قول الكفار "إن أنتم إلا في ضلال كبير". لا تحزن، فهذه طبيعة الكفار، ورد عليهم بالحكمة أو أعرض عنهم.
· الوقفة الرابعة: عندما تخطئ بحق شخص. بادر إلى الاعتراف والاعتذار قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الاعتراف. استشعر أن الله يحب التوابين.
· الوقفة الخامسة: عند حضور مجلس علم أو خطبة جمعة. لا تجعل حضورك جسدياً بلا قلب. استعمل سمعك وعقلك، وشارك بأسئلة وتفاعل، لتكون من الناجين.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآيات قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

القراءة الواعية تعني أن تتوقف عند كل جملة وتسأل: كيف نطبقها؟

· "بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْا نَذِيرٌ" : اعترف أن الله قد أرسل إليك رسلا ً (بمحمد ﷺ) وكتباً (بالقرآن). فاشكر الله على هذه النعمة، ولا تكن من الجاحدين.
· "فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ" : تأكد أنك لا تقع في التكذيب العملي (بعدم العمل بالقرآن)، ولا تقل عن أي حكم شرعي "ليس من عند الله" بغير علم.
· "إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ" : لا تستهن بأحد من الدعاة أو العلماء، ولا تصفهم بالضلال. وإذا سمعت أحداً يفعل ذلك، فانهه بلطف.
· "لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ" : ابدأ اليوم بتخصيص وقت للسماع النافع والتفكر العقلي. إذا كنت تهمل هذه العبادة، فغير مسارك فوراً.
· "فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ" : مارس الاعتراف بالذنب في صلاتك ودعائك. قل: "اللهم إني اعترف بذنوبي". ستعيش في راحة نفسية.
· "فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ" : استشعر معنى السحق (البعد واللعنة) كلما رأيت منظراً طبيعياً أو تنعمت بنعمة، وقل: "اللهم لا تجعلني من أصحاب السعير".

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

· الدرس الأول: الاعتراف بالحقيقة عند المعاينة لا ينفع، فالاعتراف المطلوب هو في دار التكليف.
· التطبيق: لا تؤجل التوبة والاعتراف بالذنب إلى وقت المرض أو الاحتضار، بل بادر اليوم.
· الدرس الثاني: الكفر ليس مجرد جهل، بل هو تكذيب واستهزاء وإنكار عام للوحي.
· التطبيق: لا تكن فظاً مع غير المسلمين، لكن لا تقبل استهزاءهم بالدين. وادعهم بالحكمة.
· الدرس الثالث: تعطيل السمع والعقل هو المدخل إلى النار.
· التطبيق: احرص على استعمال سمعك وعقلك في طاعة الله، وابتعد عن السماع الحرام (الأغاني، الغيبة) وعن التفكير في الباطل.
· الدرس الرابع: الإنسان هو المسؤول الوحيد عن ضلاله.
· التطبيق: لا تلِد باللوم على الشيطان أو المجتمع أو الوراثة، بل اعترف بذنبك واعمل على تغيير نفسك.
· الدرس الخامس: السحق والخزي هو عاقبة من يسلك طريق أصحاب السعير.
· التطبيق: اختر طريق المؤمنين الذين يخشون الله بالغيب، لتفوز بالمغفرة والأجر الكبير (الآية 12).

الأمر الخامس: كيف تغير الآيات نظرتنا للحياة؟

.1من النظرة العابرة إلى النظرة المسؤولة تجاه الحواس: لم تعد الأذن والعين والعقل مجرد أعضاء، بل هي أدوات نجاة أو هلاك .فتصبح حريصاً على ما تسمع وما تفكر فيه.
.2من لوم الآخرين إلى تحمل المسؤولية: تدرك أن مصيرك بيدك، وأن ما فعلته بسمعك وعقلك هو الذي يحدد مكانك في الآخرة .فتتوقف عن تبرير أخطائك.
.3من الاستهانة بالاعتراف إلى تقديره: الاعتراف بالخطأ يصبح شجاعة وقوة، لا ضعفاً .فتكون صادقاً مع نفسك ومع الله ومع الناس.
.4من النظرة السطحية للإيمان إلى النظرة العميقة: الإيمان يصبح مرتبطاً بعملية معرفية) سماع + تعقل (وليس مجرد تلقين أبوي أو عادة اجتماعية.
.5من الخوف من الموت إلى الخوف من السحق: الخوف الأكبر ليس هو الموت، بل أن تكون من أصحاب السعير .فهذا يغير الأولويات.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآيات

· المهارات المعرفية:
· مهارة الاستماع الفعال : الاستماع بقصد الفهم والتدبر والتطبيق، وليس مجرد المرور السمعي.
· مهارة التفكير التأملي : التأمل في خلق الله وتسبيحه، والوصول من المعلول إلى العلة.
· مهارة التمييز بين السماع النافع والضار : معرفة أي المسموعات تقربك إلى الله وأيها تبعده.
· مهارة الاعتراف بالذنب: القدرة على تسمية الخطأ ونسبته إلى النفس دون تبرير.
· المهارات النفسية:
· مهارة الندم الصحي : ندم يتحول إلى توبة وعمل، وليس إلى يأس أو كآبة.
· مهارة تحمل المسؤولية : عدم إلقاء اللوم على الظروف أو الآخرين، بل تحمل تبعات أفعالك.
· مهارة مقاومة الاستهزاء : عدم السخرية من الآخرين، وتحمل الاستهزاء من أجل الحق.
· مهارة إدارة الخوف من الآخرة : تحويل الخوف من النار إلى دافع للطاعة.
· المهارات العملية:
· مهارة إعداد جدول للسماع النافع : تخصيص وقت يومي لسماع القرآن والدروس العلمية.
· مهارة ممارسة التأمل المنظم : الذهاب إلى الطبيعة والتأمل فيها بأسئلة محددة (من؟ كيف ؟ لماذا؟).
· مهارة كتابة مذكرات الاعتراف : تدوين الذنوب في دفتر خاص، ثم شطبها بعد التوبة.
· مهارة الاعتذار للآخرين : التدرب على قول "أنا آسف، لقد أخطأت في حقك" في العلاقات الشخصية والعملية.
· مهارة الرد على الشبهات المتعلقة بالسمع والعقل : تنمية القدرة على الرد على الملحدين و المشككين بأدلة عقلية ونقلية.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآيات

· البعد القضائي (العدلي) : عرض كامل للإجراءات القضائية الإلهية من سؤال، إقرار، تفصيل، اعتراف، حكم. وهو نموذج للعدالة المطلقة.
· البعد المعرفي (الإبستمولوجي) : تأسيس نظرية المعرفة الإسلامية على "السمع" (النقل) و"العقل" (التفكر)، وبيان أن تعطيلهما يؤدي إلى الضلال.
· البعد النفسي : تحليل لحالات الإنكار، التكذيب، الاستهزاء، الاعتراف القهري، الندم، الخزي. وكيف تؤثر على سلوك الإنسان في الدنيا والآخرة.
· البعد الاجتماعي : بيان دور الدعاية الإعلامية المضللة (قولهم "إن أنتم إلا في ضلال كبير") في إبعاد الناس عن الدين، وضرورة الرد عليها.
· البعد التربوي : وضع منهجية لتربية الأبناء على السماع النافع، والتفكر العقلي، والاعتراف بالخطأ، ورفض الاستهزاء.

الأمر الثاني: القيم من الآيات

· قيمة الصدق في الاعتراف : الاعتراف بالخطأ كفضيلة أخلاقية.
· قيمة استعمال الحواس والعقل : استخدام نعم الله في طاعته.
· قيمة العدل الإلهي : الإيمان بأن الله لا يعذب بغير حجة.
· قيمة مقاومة الاستهزاء : عدم السخرية من الآخرين وعدم الانخداع بحملات التشويه.
· قيمة تحمل المسؤولية : نسب الذنب إلى النفس وليس إلى الآخرين.
· قيمة الخوف من السحق : كدافع للابتعاد عن المعاصي.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم "النذير" الشامل : كل ما يذكرك بالله ويحذرك من عذابه هو نذير (القرآن، السنة، المواعظ، ا لأحداث).
· مفهوم "السماع القبول" : هو أن تستمع إلى الحق فتتقبله وتعمل به، لا أن تستمع وتعرض.
· مفهوم "التعقل التأملي" : هو النظر في خلق الله للوصول إلى معرفته، لا التفكير في الفلسفات الضالة.
· مفهوم "السحق" : هو الخزي والإبعاد واللعنة، وهو أشد أنواع العذاب النفسي.
· مفهوم "أصحاب السعير" : هم الذين اختاروا طريق الشياطين، فصاروا ملازمين للنار.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآيات

· تربوياً:
  · تربية الأبناء على "الإصغاء التأملي" بدل السماع العابر.
  · تربية الأبناء على "التفكر المستقل" بدل التقليد الأعمى.
  · تربية الأبناء على "الاعتراف بالخطأ" والاعتذار، ومكافأتهم على ذلك.
  · تربية الأبناء على رفض الاستهزاء بالآخرين، وخاصة بالدعاة والعلماء.
· نفسياً:
  · علاج ظاهرة "الإنكار" بتعزيز ثقافة الاعتراف المبكر.
  · علاج ظاهرة "الإسقاط" حيث يلقي الشخص ذنبه على غيره.
  · علاج ظاهرة "التبرير" بتعليم أن التبرير لن ينفع يوم القيامة.
  · علاج الخوف المرضي بالموت والآخرة بتحويله إلى خوف بناء يدفع للعمل.
· فكرياً:
  · الرد على المذهب التجريبي المتطرف الذي ينكر المعرفة العقلية والنقلية.
  · الرد على المذهب العقلاني المتطرف الذي ينكر الوحي والسمع.
  · إثبات أن الدين الإسلامي يقوم على أصول معرفية متينة، وليس على خرافات.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان سامع متدبر، مفكر عاقل، معترف بذنوبه، متحمل للمسؤولية، لا يستهزئ بالآ خرين. هذا الإنسان هو اللبنة الأساسية لمجتمع النهضة.
· تنمية المجتمع: مجتمع يشجع على "السماع النافع" (تعليم، إعلام هادف) وعلى "التعقل" (بحث علمي، تفكير نقدي)، وعلى "الاعتراف بالخطأ" (شفافية، مراجعة ذاتية)، سيكون مجتمعاً قادراً على التطور و النهضة.

الأمر السادس: دور الآيات ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً وصناعة التطور و النهضة في الحياة والمجتمع والحضارة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من التلقي السلبي إلى الاستقصاء النشط (سماع نافع + تعقل). هذا ينتج عالماً وباحثاً ومبدعاً، لا مقلداً جامداً.
· نفسياً: بناء شخصية تعترف بضعفها (اعتراف بالذنب) فتتواضع، وتستخدم قدراتها (السمع والعقل) فتتطور، وتتحمل مسؤولية أخطائها فلا تلوم غيرها. هذه الشخصية لا تنكسر ولا تغتر.
· فكرياً: ترسيخ منهج معرفي متوازن يرفض الإفراط في النقلية (دون عقل) والإفراط في العقلانية (دون نقل). هذا المنهج هو الذي ينتج حضارة مزدهرة كالحضارة الإسلامية في أوجها.
· صناعة النهضة: أمة تسمع (تتعلم وتأخذ بالعلم)، وتعقل (تبتكر وتفكر وتستنبط)، وتعترف بأخطائها (تراجع نفسها وتصلح مسارها)، وتنبذ الاستهزاء (تحترم الآخرين وتحاورهم)، هي أمة قادرة على النهضة. الآيات تقدم خريطة طريق لنهضة الأمة عبر إصلاح الإنسان من الداخل (السمع والعقل والا عتراف).

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآيات في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى إنشاء "نوادٍ للتفكر" : تجمعات أسبوعية للنظر في خلق الله، وقراءة آيات كونية، وتبادل التأملات، لتنمية "نعقل".
· تدعونا إلى "مجالس السماع" : جلسات لسماع القرآن الكريم بتدبر، والدروس العلمية، والاستماع النافع ، بدلا ً من تضييع الوقت في السماع الضار.
· تدعونا إلى ثقافة "الاعتراف المؤسسي" : في الشركات والمؤسسات، تشجيع الموظفين على الاعتراف بالأخطاء المهنية دون خوف من عقاب مفرط، مع نظام للإصلاح.
· تدعونا إلى مواجهة حملات الاستهزاء بالإسلام من خلال الإعلام الهادف، والردود العلمية الرصينة، وعدم الانفعال بل الحكمة.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية (تطبيقات يومية)؟

· نتعلم كيف نستقبل النذير : كل يوم هو نذير جديد (آية نقرأها، موعظة نسمعها). نتعلم أن نقف عندها ونتأملها.
· نتعلم كيف نستخدم حواسنا : قبل النوم، نحاسب أنفسنا: ماذا سمعنا اليوم؟ هل سمعنا منكراً فأنكرناه؟ هل سمعنا حقاً فاتبعناه؟ وماذا تفكرنا اليوم؟ هل تفكرنا في آية كونية أم مشغولون؟
· نتعلم كيف نعتذر : إذا أخطأت بحق زوجك أو ولدك أو زميلك، بادر بقول: "أنا آسف، لقد أخطأت، هذا ذنبي". ستشعر براحة نفسية وستقوى علاقاتك.
· نتعلم كيف نواجه المستهزئين : إذا سمعت أحداً يسخر من دينك أو نبيك، لا ترد بالمثل، بل قل: "رحم الله قوماً عرفوا الحق فاتبعوه" أو أعرض عنهم، وادعُ الله أن يهديهم.
· نتعلم كيف نخاف من السحق : اجعل شعارك اليومي: "اللهم أجرني من أن أكون من أصحاب السعير".

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآيات في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدخال مقررات في "التفكير الناقد" و"الإستماع النشط" و"الاعتراف بالخطأ" في المناهج المدرسية، مع أمثلة من هذه الآيات. إنشاء مراصد فلكية مدرسية لتعزيز التعقل.
· في الإعلام: إنتاج بودكاستات وقنوات يوتيوب تعنى بـ"التأمل اليومي في آية كونية" وتشجع المشاهدين على استعمال سمعهم وعقلهم. وإنتاج برامج تصحح مفاهيم الاستهزاء بالدين.
· في المؤسسات: وضع "صندوق الاعترافات" للموظفين للإبلاغ عن أخطائهم طوعاً مع نظام حوافز، لخلق ثقافة الشفافية والإصلاح الذاتي.
· في القضاء: استلهام مبدأ "الاعتراف يخفف العقاب" في الأنظمة القضائية، بما يتوافق مع الشريعة.
· في المساجد: تنظيم دروس وحلقات تحت عنوان "نسمع ونعقل" و"اعترافات المصلين" (أي ندم وتوبة جماعية)، لتعزيز القيم.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب... كم سمعت آيات الله فلم تتدبرها، وكم رأيت في الكون عجائبه فلم تتفكر فيها، وكم

أخطأت فبررت خطأك، وكم رأيت من يستهزئ بالدين فلم تغضب لله، وكم غفلت عن أن يوماً ما ستقف أمام خزنة جهنم ويقال لك: "ألم يأتك نذير؟"

هذه الآيات الثلاث ترسم لك مشهداً لا يمحى من الذاكرة:

المشهد الأول: أنت واقف في النار، والنار تشهق وتفور. الخزنة يسألونك. فترفع رأسك وتصرخ بأعلى صوتك: "بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ". ليس أمامك إلا الاعتراف. ثم تضيف: "فَكَذَّبْنَا"، أي اعترفنا أننا كذبنا الرسل، "وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ"، أي جحدنا أن الله أوحى شيئاً، "إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ"، أي كنا نستهزئ بك وبمن معك ونقول لكم: أنتم ضالون.

المشهد الثاني: تدرك فجأة سبب كل هذا العذاب. وتقول بكل حسرة: "لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ". لو كنا ألقينا السمع للقرآن، ولو كنا استعملنا عقولنا في التفكر في الكون، ما كنا هنا في هذا الجحيم.

المشهد الثالث: وبعد هذا الاعتراف، تنطق بآخر كلماتك: "فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ".. أجل، تعترف أمام الجميع أن الذنب ذنبك، وأنك ظلمت نفسك. ثم يصدر الحكم: "فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ"، ألا وهي اللعنة والإبعاد والخزي الأبدي.

يا قلب...

أنت الآن لا زلت في دار المهلة. النذير قد جاءك. الكتاب بين يديك، والرسول قد أُرسل، والآيات تتلى عليك، والكون من حولك يشهد بعظمة خالقه.

فلا تكن من الذين قالوا "فكذبنا". كن من الذين قالوا "آمنا وصدقنا".
ولا تكن من الذين قالوا "ما نزل الله من شيء". كن من الذين يعظمون كلام الله ويقرؤونه ويتدبرونه.
ولا تكن من الذين يستهزئون. كن ممن يوقرون العلماء والدعاة ولو أخطأوا.
ولا تكن ممن عطل سمعه وعقله. اجعل لكل من حواسك نصيباً من طاعة الله.

وإذا أذنبت، فبادر إلى الاعتراف الآن. قل بينك وبين الله: "رب إني اعترف بذنبي، فاغفره لي". ولا تنتظر حتى يحين اليوم الذي لا ينفع فيه الاعتراف.

أما وقد أعطاك الله سميعاً وعقلا ً، فاستعملهما اليوم لتكون من الذين يخشون ربهم بالغيب، لهم مغفرة وأجر كبير. (وهذه هي الآية 12 التي ستأتي بعدها، والتي هي خلاصة النجاة).
سابعا

هذا تفسير للآية الثانية عشرة من سورة الملك:

}إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ{

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآيات السابقة6) - (11رسمت مشهداً مرعباً للكافرين في جهنم: يسألهم الخزنة} أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ{، فيقرون اعترافاً قهرياً بأن النذير قد جاءهم، ثم يكشفون عن سبب ضلالهم: تعطيل السمع والعقل، وينتهي بهم الأمر إلى الاعتراف بذنبهم والحكم عليهم بـ} فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ .{بعد هذا المشهد المظلم، تأتي الآية 12 كـ مشهد نوراني يقابل مشهد أصحاب السعير، لترسم ما ينتظر المؤمنين الذين اتخذوا طريقاً مختلفاً: طريق الخشية في الغيب .فالآية تضع المقابل التام: أصحاب السعير لهم الخزي والعذاب، والمؤمنون الخاشون بالغيب لهم المغفرة والأجر الكبير .وبهذا يكتمل التوازن في السورة بين الترهيب والترغيب.

.2ارتباط الآية بالآية الثانية من السورة:

الآية الثانية قالت:} الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا .{والآن الآية الثانية عشرة تبين

أن الذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين نجحوا في هذا الابتلاء، لأن خشية الغيب هي المحرك الأ على لإحسان العمل، والنتيجة هي المغفرة والأجر الكبير، بينما الذين كفروا وتابعوا الشياطين وعطلوا سمعهم وعقلهم هم الذين رسوبوا في الاختبار، فكان جزاؤهم السعير.

.3الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى: وصف المؤمنين الحقيقيين بأنهم "يخشون ربهم بالغيب"، أي يخافونه ويعظمونه مع أنهم لا يرونه.
· الفكرة الثانية: هذا الوصف يشمل جميع أحوالهم وشؤونهم، حتى في الخفاء حيث لا يطلع عليهم أحد إلا الله.
· الفكرة الثالثة: نتيجة هذه الخشية هي "مغفرة" تغطي الزلات والتقصير.
· الفكرة الرابعة: مع المغفرة، لهم "أجر كبير" لا ينقطع ولا يوصف.

.4أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: ترسيخ مفهوم الإيمان بالغيب كأساس للعبادة، ورفض الاعتماد على المشاهدة فقط.
· الهدف التربوي: تدريب المؤمنين على مراقبة الله في السر والعلن، ومحاسبة النفس، والاستقامة على الطريق.
· الهدف النفسي: إزالة الستائر التي تحجب الاتصال بالله، وتحقيق اليقظة الدائمة والوعي الإلهي.
· الهدف السلوكي: حث المؤمن على بلوغ مرتبة الإحسان "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: مفهوم "يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ" – الإيمان بالغيب وإزالة الستائر

.1تحليل "يخشون":

الخشية لغة: خوف ممزوج بتعظيم وإجلال .وهي أخص من الخوف العام .فكل خشية خوف، وليس كل خوف خشية .فالخشية تكون لمن تعرف عظمته وتقدر سلطانه .والله لا يُخشى بخشية العبد من السيد الظالم، بل بخشية المحب المعظم الذي يخاف أن يزلق فيرضى عليه.

.2تحليل "ربهم":

إضافة "ربهم" إليهم فيها تذكير بنعم الله عليهم) التربية والرعاية والإنعام .(فهم لا يخشون إلهاً غريباً، بل يخشون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ورباهم .وهذه الإضافة تزيد الخشية، لأنها تأتي من معرفة المعروف والإحسان.

.3تحليل "بالغيب":

الغيب هنا له معنيان متلازمان:

· المعنى الأول: يخشون الله مع أنهم لا يرونه في الدنيا .يؤمنون به وبوعده ووعيده دون معاينة . هذه هي خاصية الإيمان بالغيب التي امتدح الله بها المؤمنين في أول سورة البقرة} الذينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ.{
· المعنى الثاني: خشيتهم لله في حالة الغيب، أي في الخفاء حيث لا يراهم أحد إلا الله .فلا يقدمون على معصية وهم في خلوة، ولا يقصرون في طاعة وهم بعيدون عن أعين الناس.

.4إزالة الستائر التي تحجب الاتصال بالله :

الكثير من الناس تحجبهم "ستائر" عن الاتصال الحقيقي بالله:

· ستارة الغفلة: الانشغال بالدنيا وملذاتها.
· ستارة الرياء: فعل العبادات لأجل رؤية الناس.
· ستارة الكبر: الاعتماد على الذات دون الشعور بالحاجة إلى الله.

· ستارة المعصية: تراكم الذنوب التي تظلم القلب وتحجب النور.

الإيمان بالغيب يزيل هذه الستائر .عندما يؤمن العبد بأن الله معه بالعلم والإحاطة في كل مكان وزمان، وأنه يراه ولو لم يره هو، تنكشف هذه الستائر .يصبح العبد في حالة من الاتصال المباشر بخالقه، لا تحجبه ماديات الدنيا ولا شهوات النفس .فيشعر برقابة الله على أفعاله وأقواله، بل على خواطر قلبه .وهذا الشعور هو لب العبودية وأعلى مراتبها.

.5ما هي اليقظة؟ وما أهميتها وآثارها؟

اليقظة هي حالة من الانتباه الدائم والوعي الكامل بأن الله مطلع عليك .هي نقيض الغفلة .في علم السلوك، اليقظة هي أن تكون حاضر القلب مع الله في كل لحظة.

أهمية اليقظة:

· تحول العبادات من عادات جوفاء إلى طاعات يشعر بها القلب.
· تمنع الإنسان من الانزلاق في المعاصي في الخفاء.
· تجعل المؤمن مستعداً دائماً للقاء الله.

آثار اليقظة:

· الخوف النافع: لا خوف مرضياً، بل خوف يدفع للطاعة.
· الحلاوة في العبادة: يصبح الصلاة والدعاء والذكر لذة للقلب.
· الفراسة النورانية: كما سيأتي، تمكنه من رؤية الحقائق والبصائر.
· الطمأنينة: الشعور بأن الله معك يزيل القلق.

.6الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم :

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج الاغتراب الوجودي: كثير من الناس يشعرون بالوحدة والفراغ رغم وجود الآخرين .الإيمان بأن الله معك بالغيب يملأ الفراغ، ويشعرك بأنك لست وحدك أبداً .هذا أعظم علاج نفسي للاكتئاب والقلق.
· تعزيز الضمير الأخلاقى: الضمير الحي هو أن تراقب نفسك خوفاً من الله، لا خوفاً من الناس .الآية تزرع هذا الضمير القوي الذي يردع عن الخطأ في الخفاء.
· إزالة القلق من المستقبل: عندما تؤمن أن الله يدبر أمرك بالغيب، تطمئن .الخشية لا تعني الخوف من الله فقط، بل تعني الثقة بأنه معك.
· تحقيق "اليقظة" كحالة دائمة : بدلا ً من حالة التشتت وعدم الانتباه، يعيش المؤمن في حالة تركيز روحي عال، مما يزيد فاعليته في كل عمل.
· تجاوز الخوف من الناس : من خشي الله بالغيب لا يخاف أحداً سواه، فيتحرر من الرهبة الا جتماعية الخانقة.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· الإيمان بالغيب ليس ضد العقل : العقل يقر بأن هناك حقائق لا تدركها الحواس) كالجاذبية، المجال المغناطيسي، العقل نفسه .(فالإيمان باللّه والغيب هو إيمان قائم على الأدلة العقلية والنقلية، لكنه يتجاوز حدود الحس المباشر.
· العقل السليم يدرك أن الخشية بالغيب مطلوبة : لأن الله لا يُرى في الدنيا، فإما أن نعبده على أصل أنه يرانا، وإما أن ننكره .فالعقل يختار الطريق الأول.
· "الغيب" هو اختبار العقل والإرادة : إيمان العبد بالغيب دون معاينة هو أصدق دليل على حرية إرادته ، لأنه يختار الإيمان دون إكراه المشاهدة .ومن هنا عظم الأجر.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على "مراقبة الله" : لا نكتفي بتربيتهم على الخوف من العقاب أو الرغبة في المكافأة فقط، بل نربيهم على أن الله يراهم في كل مكان، فيستحيوا أن يفعلوا السيء ولو لم يرهم أحد.
· تنمية "اليقظة" من خلال الأذكار : أذكار الصباح والمساء وأدعية الاستيقاظ والنوم تزرع في النفس

الوعي الدائم بوجود الله.
· تعليم الطفل أن يخاف الله في الخفاء : بتخصيص مكافآت للأعمال الصالحة التي يفعلها سراً.
· ربط الأفعال بالنية : تعليم أن النية الخفية أهم من الفعل الظاهر، لأن الله يطلع عليها.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في التطوير الذاتي : اعتماد "محاسبة النفس" يومياً) كما سيأتي(، وسؤال النفس: "هل خشيت الله اليوم في مواقف لم يرني فيها أحد؟".
· في العلاقات : التعامل مع الناس بالعدل والإحسان، ليس خوفاً منهم، بل لأن الله يراقبك.
· في العمل : الإتقان في العمل حتى في غياب الرقابة، لأن الله يراك.
· في العبادات : المحافظة على السنن والنوافل التي تكون في الخفاء، كقيام الليل، والصدقة السرية، لأنها من أعظم مصاديق خشية الغيب.

المحور الثاني: ثمرات خشية الغيب: المغفرة والأجر الكبير

} .1لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ {– من الذنوب والزلات:

المغفرة: ستر الذنب والتجاوز عنه .وحاجتنا إلى المغفرة عظيمة، لأننا مهما اجتهدنا لا نخلو من تقصير . الذين يخشون ربهم بالغيب مع إحسانهم قد تقع منهم زلة أو هفوة، فيغفرها الله لهم .قال تعالى:} إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) {الأعراف .(201 فالخشية لا تعني العصمة، لكنها تعني التذكر والمبادرة إلى التوبة، فتأتي المغفرة.

} .2وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {– ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر:

الأجر الكبير هو الجنة وما فيها من نعيم مقيم، وهو مقابل "السعير" لأصحاب النار .وصفه بـ"كبير" يدل على عظمته وكثرته وخلوده .وهو جزاء وفضل من الله ليس على قدر العمل فقط، بل على قدر الإخلاص والخشية.

.3العلاقة بين خشية الغيب والمغفرة والأجر:

الخشية بالغيب هي السبب، والمغفرة والأجر هما النتيجة .لكن ليست علاقة مبادلة تجارية، بل علاقة فضل وإحسان: الله يجزي الذين يخشونه بالغيب بأعظم مما عملوا.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم) بتفصيل(:

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج اليأس من رحمة الله : معرفة أن للمؤمنين مغفرة وأجراً كبيراً تمنع القنوط .فالخشية لا تعني الشدة والكآبة، بل تعني الأمل في العفو والثواب.
· تحقيق السعادة الحقيقية : الأجر الكبير هو هدف كل نفس، والآية تربط بين الهدف ووسيلته)الخشية بالغيب(، فتعطي النفس بوصلة واضحة.
· إزالة عقدة "الخوف من الله = التعاسة" : يظن البعض أن خشية الله تمنع السعادة، لكن الآية تؤكد أن عاقبتها مغفرة وأجر كبير، أي سعادة أبدية.
· الرضا النفسي : المؤمن الخاشي يرضى بقضاء الله، ويعلم أن ما عنده من مغفرة وأجر أكبر من أي متعة دنيوية.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· العدل الإلهي المطلق : بعد أن رأينا عذاب السعير للكافرين، يأتي هذا الجزاء العظيم للمؤمنين، ليكتمل ميزان العدل .العقل يقتضي أن المحسن يثاب والمسيء يعاقب، وهنا تحقق ذلك.
· المنطق في أن الخشية بالغيب تستحق هذا الجزاء : لأنها أصعب من العبادة على مرأى من الناس، فهي تتطلب جهداً روحياً أكبر، فكان جزاؤها أكبر.
· المغفرة لا تعني إلغاء العدل : بل هي فضل الله على من أخطأ وتاب، بعد أن أقام العدل في أصل العقاب.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على الأمل مع الخوف : لا ترهيب بلا ترغيب .نعلمهم أن خشية الله تؤدي إلى مغفرته وأجره العظيم.
· التحفيز الإيجابي : استخدام الأجر الكبير كمحفز للأبناء على الطاعة، مع عدم إغفال الخشية.
· تعليم أن الخطأ ليس نهاية الطريق : فالمغفرة موجودة لمن يخشى الله ويتوب.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في الدعوة : تقديم صورة متوازنة من الخشية المقرونة بالرجاء، لا الخوف الذي يشل.
· في برامج التأهيل : تقديم "الأجر الكبير" كهدف لمدمني الذنوب، و"المغفرة" كباب مفتوح لهم.
· في التخطيط للحياة : جعل الهدف الأسمى هو الفوز بالمغفرة والأجر الكبير، وليس المال أو الجاه.

المحور الثالث: منهجية تحقيق الخشية بالغيب: محاسبة النفس، المجاهدة، الاستقامة، والإحسان

.1قاعدة محاسبة النفس والمجاهدة :

لا تتحقق خشية الغيب بين عشية وضحاها .بل هي ثمرة مجاهدة ومحاسبة .قال تعالى:} يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتقوا اللهَ وَلتَنظُرْ نقسٌ مّا قدّمَتْ لِغَدٍ) {الحشر .(18 فمحاسبة النفس هي:

· التوقف في نهاية اليوم لمراجعة الأفعال: ما فعلته من خير أو شر.
· مجاهدة النفس على ترك المعاصي وفعل الطاعات.
· الاستمرار على ذلك حتى يصبح الخشية طبعاً لا تكلفاً.

.2الاستقامة – السير في الطريق المستقيم دون انحراف:

الظفر المقصود هو الاستقامة التي يكسب بها العبد رضا الله، بالسير على الصراط المستقيم دون انقطاع أو ميل أو انحراف .قال تعالى:} إِنّ الذِينَ قَالُوا رَبُنَا اللهُ ثمّ اسْتَقَامُوا تتَنَزّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةٌ {)فصلت.(30

· الاستقامة ليست مراوغة الثعالب : ليست مهارة في التملص والالتفاف، بل هي خضوع وذل وحب لله، تجعل العبد ثابتاً لا يزيغ.
· الاستقامة بالثبوت والصمود : حتى يلقى العبد ربه دون ميل إلى اليمين أو اليسار .عكس الكفار الذين قالوا للرسل "إن أنتم إلا في ضلال كبير" أي هم الذين مالوا وانحرفوا.
· ثمرة الاستقامة : العفو) تجاوز الله عن الزلات (والأجر الكبير.

.3الإحسان – أعلى مراتب الإيمان) عبادة الله كأنك تراه(:

كما قال النبي ﷺ في حديث جبريل:"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" .ا لإحسان هو ثمرة اليقظة والخشية بالغيب، بل هو عينها.

· عبادة كأنك تراه : تخيل عظمة الله أمامك، فتعبد بخشوع وحب.
· فإن لم تكن تراه فإنه يراك : هذا هو مقام الخشية بالغيب .فإذا وصلت إلى هذا المقام، فأنت محسن.
· الإحسان يقود إلى النور الرباني : النور الذي يقذف في القلب، فيصبح المؤمن بصيراً، تمكنه الفراسة، ويكشف له عن حقائق الأمور .قال النبي ﷺ: "اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله".
· ثمار الإحسان : الوصول إلى مراتب الكشف والإلهام والفراسة الصادقة، التي تجعل المؤمن يمشي في "جنات الله" في الدنيا قبل الآخرة، فيرى الجمال الإلهي في كل شيء.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا المفهوم) بتفصيل(:

أولا ً: الرسائل النفسية:

· محاسبة النفس كعلاج للذهول : كثير من الناس يعيشون في "الوضع التلقائي"، لا يحاسبون أنفسهم .

الآية تدعو إلى المراجعة اليومية، وهذا يحسن الصحة النفسية ويمنع تراكم الأخطاء.
· المجاهدة تبني قوة الإرادة : تكرار مقاومة الهوى يقوي عضلة الإرادة، مما يساعد في كل نواحي الحياة.
· الاستقامة تمنع التقلبات المزاجية : الثبات على الطريق يمنح الاستقرار النفسي، بدلا ً من التذبذب بين الصعود والهبوط.
· الإحسان يمنح اللذة في العبادة : العبادة تصبح حباً وشوقاً، لا مجرد واجب، مما يولد السعادة الحقيقية.
· النور الرباني والفراسة : ثمرة روحية للمجاهدة، حيث يمنح الله العبد قدرة على تمييز الحق من الباطل، والنوايا، والأمور الخفية.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· المنهج العملي للوصول إلى خشية الغيب : ليس مجرد شعار، بل خطة محكمة) محاسبة + مجاهدة +استقامة + إحسان .(العقل يقر بأن الوصول إلى أي هدف يحتاج إلى خطة.
· الاستقامة هي الطريق الأقصر للنصر : ليست المكر والخداع) مراوغة الثعالب(، بل الاستقامة الثابتة هي التي تنتصر في النهاية، لأن الله مع المستقيمين.
· الإحسان أعلى مراتب العقل والقلب : يجمع بين المعرفة) أن الله يراك (والعمل) فتراقبه .(وهذا هو الكمال البشري.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تعليم الأبناء محاسبة النفس : قبل النوم، نسألهم: "ماذا فعلت اليوم من خير؟ ماذا أخطأت؟" بهدوء وبدون توبيخ، لتنمية الوعي الذاتي.
· تربيتهم على المجاهدة : تشجيعهم على الصبر على الطاعة وترك المعصية، مع تعليمهم أن المجاهدة تزيد قوتهم.
· تربيتهم على الاستقامة لا المكر : تعليمهم أن الصدق والثبات على المبدأ أفضل من الحيلة والخداع.
· تربيتهم على الإحسان : تعليمهم أن الله يراهم في كل وقت، فيستحيوا أن يفعلوا القبيح ولو في الخفاء .وتشجيعهم على تخيل الله أمامهم في العبادة) كأنك تراه.(

رابعاً: الرسائل العملية:

· إنشاء "دفتر المحاسبة" : يخصص كل مساء 5 دقائق لكتابة إيجابيات وسلبيات اليوم، وشطب السلبيات بالتوبة .هذا التطبيق العملي يغير الحياة.
· تمارين المجاهدة : تحديد معصية معينة نجاهد أنفسنا على تركها أسبوعاً كاملا ً، وتدوين النتائج.
· برامج الاستقامة : في المؤسسات، تطوير برامج لتقييم الاستقامة الوظيفية) الأمانة، الصدق، الإتقان (بدلا ً من تقييم المكر والعلاقات فقط.
· وصل العبادات بالإحسان : قبل الصلاة، نستحضر أننا نقف بين يدي الله "كأننا نراه" .ونكرر هذا التصور حتى يصبح عادة.

المحور الرابع: اللمسات البيانية والبلاغية والرسائل الشاملة للآية

.1تقديم المغفرة على الأجر الكبير:

المغفرة هي إزالة الموانع) الذنوب(، ثم يأتي الأجر الكبير كإثبات إيجابي .فالإنسان يحتاج أولا ً إلى العفو، ثم إلى الثواب.

.2تنكير "مغفرة" و"أجر كبير":

نكرت "مغفرة" ووصف الأجر بـ "كبير" للدلالة على العظمة والكثرة، وأن هذا العطاء لا يمكن حصره.

.3مقابل الآيات السابقة:

هذه الآية هي ضوء مقابل ظلام أصحاب السعير .وقد جاءت بعد مشاهد النار مباشرة لترك أثر الموازنة، ولتحفيز المؤمنين على الطريق القويم.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية الختامية:

· نفسياً : توجيه النفس نحو الأمل والطمأنينة بعد الخوف، لتحقيق التوازن.
· عقلياً : إقامة البرهان على أن الخشية بالغيب هي المدخل إلى كل خير.
· تربوياً : وضع نموذج عملي) محاسبة، مجاهدة، استقامة، إحسان (لتحقيق الهدف.
· عملياً : تحويل الآية إلى برنامج حياة يومي، وليس مجرد معلومة عقدية.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

تحويل هذه الآية إلى حركة إيمانية يعني أن نعيش الخشية بالغيب كحالة دائمة، ونطبق محاسبة النفس والاستقامة والإحسان.

.1تمرين "اليقظة الدائمة" : اضبط منبهاً على هاتفك كل ساعة، وعند رنينه، توقف لثوان وقل: "الله يراني الآن" .هذا التمرين يعيد ذهنك إلى حالة الوعي بالله.
.2تمرين "محاسبة الخمس دقائق" : قبل النوم، خصص 5 دقائق، اسأل نفسك: "في أي موقف اليوم خشيت الله في الخفاء؟ وفي أي موقف غفلت؟" ثم استغفر على الغفلة، واحمد الله على الخشية.
.3تمرين "عبادة الكأنك تراه" : عند الصلاة، أغمض عينيك للحظة) إن لم يضر بموجبات الصلاة (وتخيل أن الله أمامك .ثم افتح عينيك وصل بخشوع .كرر هذا التمرين حتى تصبح الصلاة حضوراً لا عادة.
.4تمرين "المجاهدة اليومية" : اختر كل يوم ذنباً واحداً صغيراً) كالنظر إلى حرام، أو كلمة جارحة، أو إضاعة وقت (وجاهد نفسك على تركه في ذلك اليوم فقط .سجل نجاحك.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: في الخلوة التامة) غرفة مغلقة، ليلة مظلمة .(تذكر أن الله يراك .اسأل نفسك: هل كنت ستفعل نفس الشيء لو كان أمامك شخص تحترمه؟ استحي من الله .هذه الوقفة تبني الإخلاص.
· الوقفة الثانية: عند التعامل مع الناس في غياب الرقابة .كأن تكون في صفقة تجارية لا شهود عليها، أو في علاقة بعيدة عن الأعين .تذكر "بالغيب"، واختر الصدق والأمانة.
· الوقفة الثالثة: عند الشعور بالضعف أمام شهوة أو غضب .تذكر أن من يخشى الله بالغيب لا يقدم على معصية وهو يعلم أن الله يراه .فاستحضر هذه الآية وامتنع.
· الوقفة الرابعة: عند نهاية اليوم .قبل النوم، قف وقفة محاسبة، وتخيل لو مت هذه الليلة، هل ترضى عن عملك؟ هل خشيت الله بالغيب؟ نم على توبة.
· الوقفة الخامسة: عند رؤية نعمة من الله .اعلم أنها من الغيب الذي لم تكن تتوقعه، فاشكر الله بخشوع، وازدد خشية.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

القراءة الواعية تعني أن تتوقف عند كل كلمة وتسأل: كيف نطبقها؟

· "إن الذين يخشون ربهم" : من أنا؟ هل أنا منهم؟ علق في مكان عملك لافتة صغيرة: "اخش الله في الغيب".
· "بالغيب" : حدد موقفاً واحداً اليوم ستطبق فيه خشية الغيب) مثلا ً: رد أمانة دون رقيب، أو الا متناع عن الغيبة في غياب المغتاب .(سجله في مفكرتك.
· "لهم مغفرة" : كل ليلة، قل: "اللهم اغفر لي زلتي التي وقعت فيها اليوم" .استشعر أن المغفرة تنزل عليك كالغيث.
· "وأجر كبير" : تخيل نفسك في الجنة، ونعم الله عليك .اجعل هذا التخيل دافعاً للاستمرار في الخشية.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة من الآية وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

· الدرس الأول: أعلى درجات الإيمان هي خشية الله في الخفاء، لا في العلن فقط.

· التطبيق: اختبر نفسك: هل تتصرف في بيتك) بعيداً عن الناس (بنفس أخلاقك في الخارج؟ إن كان الجواب نعم، فقد وصلت لمرحلة جيدة .وإن كان لا، فاعمل على تصحيح ذلك.
· الدرس الثاني: الخشية بالغيب تمنح المغفرة والأجر الكبير، وهما أعظم مما يمنحه الخوف من الناس.
· التطبيق: اترك معصية أنت مقبل عليها لأن الناس يراقبونك، وأخرى لأن الله يراقبك .تأكد أن الثانية أعظم أجراً.
· الدرس الثالث: اليقظة الدائمة ومحاسبة النفس هما الطريق إلى الخشية.
· التطبيق: اجعل مراجعة النفس واجباً يومياً لا تتركه، كما لا تترك صلاتك .استخدم تطبيقات الهاتف لتذكيرك.
· الدرس الرابع: الاستقامة على الطريق دون انحراف هي علامة الصدق في الخشية.
· التطبيق: إذا انحرفت) أخطأت(، لا تيأس، بل عد بسرعة إلى الاستقامة .الاستقامة ليست عدم الخطأ، بل سرعة العودة بعد الخطأ.
· الدرس الخامس: الإحسان) عبادة الله كأنك تراه (هو الغاية القصوى، يتبعه النور الرباني والفراسة.
· التطبيق: اطلب من الله أن يرزقك النور والفراسة .كن صادقاً في طلب ذلك، وسيزداد إحسانك.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من النظرة المادية المحدودة إلى النظرة الروحية الشاملة: لم تعد حياتك محصورة في ما يراه الناس .هناك بُعد خفي) الغيب (هو الأهم، وفيه علاقتك بالله.
.2من الخوف من الناس إلى الخشية من الله: تتحرر من رقابة المجتمع الزائفة، وتصبح رقابتك ذاتية نابعة من الإيمان.
.3من العشوائية في السلوك إلى اليقظة الدائمة: كل فعل تفعله، وكلمة تقولها، تصبح محسوبة ومشعوراً بها، لأنك تعلم أن الله يراقب.
.4من العبادة كعادة إلى العبادة كشوق: الصلاة والذكر والدعاء تتحول من واجب تأديه إلى لقاء تشتاق إليه، لأنك تعبد الله كأنك تراه.
.5من التركيز على الجزاء الدنيوي إلى التركيز على الأجر الكبير: يهون عليك فقدان شيء من الدنيا لأن عندك مغفرة وأجراً كبيراً لا يفنى.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة التفكير في الغيب : الإيمان بما وراء الحس، وتأثير ذلك على السلوك.
· مهارة ربط الجزاء بالعمل) السببية الأخلاقية(: استنتاج أن خشية الغيب تؤدي إلى المغفرة والأجر.
· مهارة التمييز بين الخوف المرضي والخشية النافعة : معرفة الخوف الذي يدفع للعمل.
· المهارات النفسية:
· مهارة اليقظه برؤية إيمانية: أن تكون حاضراً بقلبك وعقلك مع الله في كل لحظة.
· مهارة محاسبة النفس : القدرة على مراجعة الذات بموضوعية دون تبرير.
· مهارة المجاهدة: تدريب الإرادة على ترك المألوف السيء والثبات على الخير.
· مهارة الاستقامة: الثبات على المبدأ رغم التحديات.
· مهارة الإحسان: السعي إلى عبادة الله كأنك تراه، والوصول إلى مرتبة الفراسة.
· المهارات العملية:
· مهارة تنظيم وقت المراجعة اليومية: تخصيص 5 دقائق قبل النوم للمحاسبة.
· مهارة تصميم محفزات بصرية: ككتابة الآية ولصقها في مكان العمل أو المنزل.
· مهارة التأمل في الخلوة: قضاء 10 دقائق يومياً في غرفة هادئة لاستشعار رقابة الله.
· مهارة التوبة السريعة: عدم تأخير التوبة أكثر من ساعة بعد ارتكاب الخطأ.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد العقدي: ترسيخ الإيمان بالغيب كأصل من أصول العقيدة، وبيان أن خشية الله لا تتوقف على رؤيته.
· البعد التربوي: تقديم منهجية متكاملة) محاسبة – مجاهدة – استقامة – إحسان (لتربية النفس.
· البعد النفسي: تحليل مفهوم اليقظة، والضمير، والمراقبة الذاتية، وأثرها على الصحة النفسية.

· البعد المعرفي: التأكيد على أن الغيب مجال للإيمان لا للإنكار، وأن العقل يحيل إلى وجوده.
· البعد الأخلاقي: بناء أخلاق داخلية منبعها خشية الله، لا خوف المجتمع.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة الخشية: خوف ممزوج بالمحبة والتعظيم.
· قيمة الإيمان بالغيب: التصديق بما لم تره.
· قيمة الاستقامة: الثبات على الحق دون انحراف.
· قيمة المجاهدة: بذل الجهد في مقاومة الهوى.
· قيمة الإحسان: عبادة الله كأنك تراه.
· قيمة الأمل: بمغفرة الله وأجره العظيم.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الخشية بالغيب": أن تحيا حياتك كلها كأنك تحت مجهر إلهي، لا تغفل عنه لحظة.
· مفهوم "محاسبة النفس": المراجعة اليومية كعملية روتينية لتصحيح المسار.
· مفهوم "الاستقامة": الطريق المستقيم الذي لا التواء فيه، وهو طريق الأنبياء والصديقين.
· مفهوم "الإحسان": ذروة السلوك الإيماني، وهو أن تشعر بقرب الله منك في كل حركة وسكون.
· مفهوم "النور الرباني": البصيرة التي يقذفها الله في قلب المحسن، فيرى الحقائق كما هي.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً: ضرورة تربية الأبناء على "الرقابة الذاتية" قبل "الرقابة الخارجية" .وضرورة تعليمهم "محاسبة النفس" كأسلوب حياة .وغرس "الإحسان" فيهم بالأمثلة العملية.
· نفسياً: الآية تعالج ضعف الإرادة) بالمجاهدة(، والفوضوية) بالمحاسبة(، والقلق) باليقظة(، واليأس) بـ المغفرة والأجر الكبير .(إنها وصفة متكاملة للصحة النفسية.
· فكرياً: ترد على من يزعم أن الدين ليس إلا مجموعة طقوس ظاهرية، وتؤكد أن جوهره هو الإيمان الباطن والخشية الخفية .وتنقد النزعة المادية التي ترى فقط ما هو محسوس.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "خاش" في السر، "محاسب" لنفسه، "مجاهد" لهواه، "مستقيم" على الطريق، "محسن" في عبادته .هذا الإنسان هو المشروع النهضوي الأسمى.
· تنمية المجتمع: مجتمع من أفراده بهذه الصفات، يكون مجتمعاً شفافاً، أميناً، نظيفاً، مبدعاً .لأن كل فرد يراقب نفسه قبل أن تراقبه الشرطة .الفساد يقل، والإتقان يزيد، والثقة تنمو.

الأمر السادس: دور الآية ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً وصناعة التطور و النهضة في الحياة والمجتمع والحضارة

· ذهنياً: تنقل العقل من التفكير السطحي إلى التفكير العميق في الغيب، ومن التفكير المادي إلى التفكير الأخلاقي .تنتج عقلية "المحاسب" الذي يزن أفعاله، وليس عقلية "المستهلك" المنقاد للغرائز.
· نفسياً: تشكل شخصية متوازنة: قوية الإرادة) بالمجاهدة(، واعية) باليقظة(، راضية) بالأمل(، طموحة)للأجر الكبير .(هذه الشخصية لا تنهار، ولا تستسلم، ولا تغتر.
· فكرياً: تؤسس لنموذج حضاري قائم على "الخشية الإلهية" بدلاً من "الخوف البشري" .والنموذج الذي يحركه الخوف من الله أكثر استقراراً وأخلاقاً من النموذج الذي يحركه الخوف من القوانين الوضعية.
· صناعة النهضة: الأمة التي تربي أبناءها على "خشية الغيب" تنتج أمة أمينة) لا تخون في الخفاء(، أمة صادقة) لا تكذب ولو لم يرها أحد(، أمة مجتهدة) لأنها تعلم أن الله يرى جهدها .(هذه الأمة هي أمة النهضة الحقيقية .فالنهضة لا تبنى بالقوانين فقط، بل بالضمير الحي الذي لا يراقبه إلا الله.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى تطبيق "مراقبة الجودة الذاتية": كأن نكون لنا "مفتش ضمير" داخلي، قبل أن يفتشنا الآ

آخرون.
· تدعونا إلى إنشاء "مجالس الذكر والمحاسبة": في الأسر أو جماعات العمل، نجتمع أسبوعياً لمحاسبة أنفسنا ومناصحة بعضنا برفق، دون تجريح.
· تدعونا إلى استخدام التكنولوجيا في تنمية الخشية : تطبيقات تذكير بالله، وأذكار، وفيديوهات قصيرة عن رقابة الله.
· تدعونا إلى تبني "الشفافية الأخلاقية" في المؤسسات : بدلا ً من الرقابة المشددة التي تخلق جواً من عدم الثقة، نخلق ثقافة "نحن نعمل كأن الله يرانا".

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية) تطبيقات يومية(؟

· نتعلم كيف نبدأ يومنا: عند الاستيقاظ، نجدد نية أن نعيش هذا اليوم بخشية الله في السر والعلن . نقرأ أذكار الصباح بنية اليقظة.
· نتعلم كيف نعمل: نؤدي عملنا كأننا نؤديه لله، حتى لو كان مديرنا غائباً .نضبط أنفسنا عن الغش أو الإهمال.
· نتعلم كيف نتعامل مع الأسرة: لا نرفع أصواتنا بالغضب في غرفة مغلقة، لأن الله يرانا .ونعامله بـ الرحمة والحلم.
· نتعلم كيف نخلو بأنفسنا: في لحظات الفراغ، نستغلها في التفكر والدعاء، لا في النظر إلى الحرام.
· نتعلم كيف نختم يومنا: بمحاسبة النفس، والاستغفار، والعزم على تحسين الأداء غداً.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدخال منهج "التربية الأخلاقية القائمة على المراقبة الذاتية" في المدارس .تدريب الطلا ب على "دفتر المحاسبة" الأسبوعي .تعليمهم صفة الإحسان) عبادة الله كأنك تراه (من خلال تمارين تخيلية.
· في الإعلام: إنتاج مسلسلات واقعية ترصد سلوكيات الناس في الخفاء، ولكن بهدف توعوي لبيان قيمة خشية الغيب، لا للتشهير .إنتاج محتوى قصير عن "قصة شخص خشي الله في الخفاء فكرمه الله".
· في المؤسسات: تطبيق نظام "المحاسبة الذاتية" للموظفين، بدلا ً من نظام العقاب المستمر .عقد دورات في "تنمية اليقظة والوعي الذاتي" .إنشاء جوائز للتميز الأخلاقي القائم على المراقبة الذاتية.
· في المساجد: تخصيص جزء من الخطبة أو الدرس لتذكير المصلين بخشية الغيب، وقص قصص الصالحين الذين كانوا يخافون الله في خلواتهم .تنظيم حلقات "محاسبة النفس" الجماعية السرية.
· في القضاء: ترسيخ مبدأ "الشهادة الذاتية" حيث يمكن استخدام اعترافات المتهمين التي تأتي من رقابة ذاتية) بعد توبتهم (لتخفيف الأحكام، تشجيعاً لقيمة الخشية.

وأخيراً ...رسالة إلى قلبك) مفصلة وعميقة(

يا قلب ...بعد كل مشاهد النار والزفير والسحق، بعد اعتراف الكفار وتكذيبهم وندمهم، تأتي هذه الآية كبلسم ونور.

يقول الله لك:} إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ{

أنت، أيها المؤمن، لست كالكفار .لست من الذين قالوا "فكذبنا" و"ما نزل الله من شيء" .لست من الذين عطلوا سمعهم وعقلهم .لست من أصحاب السعير.

أنت ممن يخشون ربهم...

تخشاه في السر كما في العلن .تستحي منه في الخفاء .تذكر أنه يراك عندما لا يراك أحد .هذا هو شرفك .هذه كرامتك.

بالغيب...

لأنك لم تر الله، لكنك آمنت به .لم تر الجنة والنار، لكنك خفت منهما .هذا هو الإيمان الذي يزن الجبال .أنت تثبت للوجود كله أن الإيمان ليس هذياناً، بل يقيناً نافذاً عبر الحجب.

فاليوم، ازحف الستائر التي تحجب بينك وبين الله.

ستارة الغفلة: أزحها بالذكر والدعاء.
ستارة الرياء: أزحها بإخفاء الطاعات.
ستارة الكبر: أزحها بالتواضع لله ولخلقه.
ستارة المعصية: أزحها بالتوبة النصوح.

عش في "اليقظة".

لا تمش في الحياة كالأعمى .كن واعياً .كل خطوة تخطوها، وكلمة تنطقها، ونظرة تطلقها، احسبها أمام الله .هذه اليقظة ستجعلك تعيش حياة عميقة، غنية، مختلفة.

حاسب نفسك كل يوم.

قبل أن تمد رجليك إلى النوم، اجلس مع نفسك خمس دقائق .اسألها: "أين كنتِ اليوم؟ هل خشيتِ الله؟ هل غفلتِ؟" .هذا الحساب سيكون نوراً لك يوم الحساب الأكبر.

واسلك طريق الاستقامة.

لا تروغ كالثعالب .لا تكن ماكراً .كن عبداً straight – مستقيماً .حتى لو عثرت، عد إلى الطريق فوراً . الاستقامة هي أن لا تحيد عن القصد، وأن تعود إليه إن حدت.

وابلغ الإحسان.

أن تعبد الله كأنك تراه .حاول أن تتخيله أمامك في صلاتك .حاول أن تشعر بقربه منك في دعائك . هذا مقام الأنبياء والصديقين .هذا مقام لا يصل إليه إلا من أخلص وخشى.

وإذا بلغته، ستُفتح لك أبواب من السماء ."النور الرباني" يقذف في قلبك .الفراسة تتفجر .سترى الحق حقاً، والباطل باطلا ً .ستمشي في "جنات الدنيا" قبل جنات الآخرة .كل زهرة ستحدثك عن خالقها، وكل نسمة ستهمس لك بحبه.

يا قلب،

الطريق ليس سهلا ً، لكن نهايته مغفرة وأجر كبير .مغفرة تغسل عثراتك .وأجر كبير لا نهاية له .لا تقارن هذا الأجر بمتعة عابرة تتركها الآن، أو بجاه زائل تهرول وراءه.

اختر طريق الخشية بالغيب اليوم .ستشعر بالثقل في البداية، لكنه سيتحول إلى خفة وحلاوة.

ردد هذه الآية كل يوم، اجعلها رفيقة روحك:

}إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ{

وقل: "اللّهم اجعلني منهم، وأوزعني أن أشكر نعمتك، وأصلحني، وتوفني مسلماً، وألحقني بالصالحين".
ثامنا
.
هذا تفسير للآيتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من سورة الملك:

}وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (13) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14){

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآية الثانية عشرة تحدثت عن {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ}، فهم يخشون الله في الخفاء والعلن،

ويراقبونه في السر. والآن تأتي الآية 13 لتقرر أن السر والعلن عند الله سواء، لأنه عليم بذات الصدور. فلو كان الإنسان يخشى الله بالغيب حقاً، فلا يهمه إسرار قوله أو جهره، لأن الله يعلم السر وأخفى. ثم تأتي الآية 14 لتعلن الحجة القاطعة: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ}، أي من المستحيل عقلا ً وبداهةً أن الخالق لا يعلم خلقه، بل هو لطيف خبير يصل علمه إلى أدق التفاصيل. فهاتان الآيتان تكرسان مبدأ العلم الإلهي المحيط كأساس للخشية والمراقبة، وتردان على كل من يظن أنه يمكنه إخفاء شيء عن الله.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآيات:

· الفكرة الأولى) الآية(13 : أمر إلهي – أو إخبار تسوية – بأن السر والجهر أمام الله سيان، فلا فائدة من إخفاء القول لأنه تعالى عليم بذات الصدور) أي بما في القلوب من نوايا وخواطر وهموم.(
· الفكرة الثانية) الآية(14 : استفهام إنكاري وتقريري: ألا يعلم الخالق مخلوقاته؟ وهو وحده المستحق لهذا العلم لأنه اللطيف الخبير.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: ترسيخ عقيدة علم الله المحيط بكل شيء، السر والعلن، الظاهر والباطن، الخواطر و الهموم.
· الهدف التربوي: تربية المؤمنين على مراقبة الله في السر والعلن، وألا يظنوا أنهم يخفون على الله شيئاً.
· الهدف النفسي: علاج الشعور بالمراقبة المزدوجة) أن يراقب الناس ولا يراقب الله(، وإزالة القلق الناتج عن إخفاء الأسرار، وتوليد الطمأنينة بأن الله يعلم كل شيء وسيجزي المحسن والمسيء.
· الهدف المعرفي) المنهجي(: إقامة البرهان على أن علم الخالق بخَلقه أمر بديهي عقلا ً، وأن من صفاته اللطف والخبرة.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآيات

المحور الأول: الآية 13 – التسوية بين السر والجهر وإثبات علم الله ببواطن الصدور

.1تحليل} وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ{:

· الخطاب: الخطاب عام لكل الناس، مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم.
· "وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ" : الإسرار هو إخفاء الكلام وعدم إظهاره .والقول يشمل كل ما يتلفظ به الإنسان من كلمات، سواء كانت طاعة أو معصية، حقاً أو باطلا ً، دعاءً أو شركاً.
· "أَوِ اجْهَرُوا بِهِ" : الجهر هو الإعلان والظهور .المعنى: سواء أخفيتم أقوالكم أو أعلنتموها، فالنتيجة واحدة عند الله من حيث علمه بها.
· المعنى البلاغي: هذه الجملة ليست أمراً بالمعنى الحقيقي) أي لم يأمرنا الله بأن نخفي أو نجهَر اختيارياً(، بل هي بمعنى التسوية والإخبار، أي "استووا عند الله في السر والجهر" .أو هي أمر بمعنى التهديد والتوبيخ للمشركين الذين كانوا يسارون النجوى ويظنون أن الله لا يسمع.

.2تحليل} إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ{:

· "عَلِيمٌ" : صيغة مبالغة تدل على كمال العلم واستيعابه.
· "بِذَاتِ الصُّدُورِ" : ذات الصدور هي ما تحويه الصدور، أي ما في القلوب من نوايا وإرادات وخواطر وهموم وأسرار وأحاسيس ."ذات" بمعنى "ما تضمنه"، فالله لا يعلم أقوالكم السرية فقط، بل يعلم ما تكنه صدوركم مما لم ينطق به بعد.
· الفرق بين علمه بالأقوال وعلمه بذات الصدور:
· الأقوال) سواء أسرها الإنسان أو جهر بها (هي شيء ظاهر بالنسبة لله، يعلمها.
· ولكن الآية تذهب إلى أبعد من ذلك: فحتى ما لم ينطق به الإنسان، بل ما في صدره من نيات ووساوس ومشاعر، الله عليم بها.

.3دلالة الآية على أن السر والعلن سواء في علم الله:

هذا الرد على الذين كانوا يقولون: "ٍسر القول ولا يعلم به محمد"، أو "نفعل المعاصي في الخفاء ولا

يعلم بها ربنا". الآية تقول: لا تتعَبوا أنفسكم، فالإسرار والجهر عند الله سيان، فهو يعلم خفيات الأمور وضمائر القلوب.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية) 13

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج "المراقبة المزدوجة" : كثير من الناس يعيشون قلقاً من أن يراهم الناس وهم يفعلون السيئات، ولكنهم لا يقلقون من رؤية الله .الآية تزرع أن الله يعلم السر والعلن، فيصبح الخوف من الله هو الأ ساس، وتقل أهمية مراقبة الناس، فيتحرر الإنسان من رهاب المجتمع.
· إزالة القلق من الأسرار : الإنسان قد يحمل في صدره همومًا وأسرارًا يخاف أن يطلع عليها الناس .ا لآية تطمئنه: الله يعلمها، لكنه لا يفضحه إذا تاب .وهذا يمنح شعوراً بالأمان .كما أنها تخيفه: إذا كان سرك سيئاً، فالله يعلمه، وهو قادر على مجازاتك.
· علاج الرياء والنفاق : الرياء هو أن يجهر الإنسان بطاعته ليُرى، والنفاق هو أن يسر الإنسان كفره .ا لآية تردع المرائي بأن الله يعلم نيته، وتردع المنافق بأن الله يعلم ما يسر.
· توليد "الصدق الداخلي" : معرفة أن الله مطلع على ما في الصدر تجعل الإنسان صادقاً مع نفسه أولا ً، لأنه لا يمكنه خداع الله .وهذا أساس الصحة النفسية.
· الطمأنينة للمؤمن : المؤمن قد يسر دعاءً أو يحمل في صدره حباً لله، فيطمئن بأن الله يعلم ذلك وسيجزيه خيراً، دون حاجة إلى إعلانه للناس.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان على استحالة إخفاء شيء عن الله : العقل يدرك أن من خلق الكون وأبدعه لا يمكن أن يعجز عن علم ما في الصدور .هو دليل عقلي قاطع: إذا كان الخالق قديراً على خلق هذا التعقيد، فهو قادر على علمه.
· رفع التناقض بين سرية القول وجهره : عند الله لا يوجد تناقض، فكل شيء مكشوف .هذه مصداق للعدل الإلهي: الله لا يحكم إلا بما يعلمه علماً تاماً.
· إبطال حجج المشركين : الذين قالوا "لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا" ظناً أنهم يعذرون بالجهل .الآ ية ترد: الله يعلم ما في صدوركم من إصرار على الشرك، فهو يعلم حقيقتكم.
· إثبات صفة العلم الكامل لله : العقل يقر بأن الإله الحق لا بد أن يكون عالماً بكل شيء، وإلا لزم النقص .والآية تثبت ذلك بلفظ "عليم" الذي يفيد الإحاطة.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الطفل على الصدق الداخلي : لا نربيه فقط على ألا يكذب علينا، بل على ألا يكذب على نفسه ولا على الله .نعلمه أن الله يعلم ما في صدره، فليكن صدره طاهراً.
· تصحيح مفهوم الخوف : يجب أن يخاف الطفل من أن يفعل السيء ليس خشية أن يراه أبوه فقط ، بل خشية أن يراه الله .نربطه بالرقابة الإلهية أولا ً.
· تعليم قيمة الإخلاص : يقول الطفل) أو الكبير (في نفسه: "سأفعل هذا العمل الصالح ولن يره أحد، لكن الله يراه" .هكذا نغرس الإخلاص.
· تعزيز فكرة أن الأعمال بالنيات : "ذات الصدور" هي النيات .فعلينا أن نعود أبناءنا على تصحيح النوايا قبل العمل، لأن الله يعلمها.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في العبادة : عند الصلاة والدعاء، استحضر أن الله يسمع سرك وجهرك، ويرى ما في قلبك .اطمئن أن دعاءك الخفي مسموع.
· في العلاقات : لا تخف من أن يعلم الناس سرك السيء، بل خف أن يعلمه الله .فتب منه واستغفر . وعامل الناس كأن الله يراقب عدلك وصدقك.
· في الإصلاح الذاتي : عندما تخطر ببالك فكرة سيئة، لا تظن أنها لا تؤثر، فهي معلومة لله .فجاهد لتطهر "ذات صدرك".
· في العمل والدعوة : لا تهمل العمل الصالح لأنه سري، فالله يعلمه وسيكافئك عليه .ولا تعجب بعملك الجهوري، فالله يعلم ما في صدرك من رياء.

المحور الثاني: الآية 14 – الاستفهام التقريري: ألا يعلم من خلق؟ وهو اللطيف الخبير

.1تحليل} أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ{:

· "أَلَا" : حرف استفتاح وتنبيه، يفيد التوكيد والتقرير.
· "يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ" : "من" اسم موصول بمعنى "الذي"، أي "ألا يعلم الذي خلق"؟ الاستفهام هنا إنكاري تقريري، معناه: من البديهي والمفروض عقلا ً أن الخالق يعلم مخلوقاته .فهو ليس استفهام حقيقة، بل توبيخ لمن ينكر علم الله.
· البلاغة في تقديم المفعول) مَنْ خَلَقَ (على الفعل؟ الأصل "ألا يعلم الخالقُ" لكنه قال "مَنْ خَلَقَ" ليفيد معنى: "ألا يعلم الذي له صفة الخلق؟" أي أن الخلق نفسه دليل على العلم، لأن الفعل) الخلق (لا يصدر إلا عن عالم بما يخلق.

.2تحليل} وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ{:

· "اللَّطِيفُ" : له عدة معان متكاملة في هذا السياق:
· ذو اللطف والرحمة : يلطف بعباده فيعلم أسرارهم ولا يفضحهم ويعاملهم برفق.
· الذي يصل علمه إلى أدق الأمور وأخفاها : فهو لطيف أي دقيق العلم، يدرك خفيات الأشياء، و البواطن، والوساوس.
· الذي يلطف في تدبيره : يصل إلى خلقه بأسباب خفية لا يشعرون بها.
· "الْخَبِيرُ" : الذي يختبر الأمور فيعلم خفاياها وعواقبها .وهو المبالغ في الخبرة، الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم بواطن الأشياء وظواهرها .والخبير أخص من العليم، فهو يعلم الحقائق والنوايا و العواقب.

.3دلالة اقتران اللطيف والخبير:

جمع الصفتين يدل على أن علمه محيط بدقائق الأشياء (لطيف) وبخفاياها وحقيقتها (خبير). فهو يعلم ما لا يمكن للبشر الوصول إليه من أسرار الذرات والقلوب والخبايا.

.4علاقة الآية بسابقتها:

بعد أن قال {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، أتى بهذه الآية لتقرير ذلك: كيف لا يكون عليماً وهو الذي خلقها؟ وكيف لا يعلم خفاياها وهو اللطيف الخبير؟ فالآية 14 هي الدليل العقلي والمنطقي على ما قررته الآية 13.

.5الرد على شبهات الجهمية والملاحدة:

هذه الآية ترد على من ينكرون علم الله بالجزئيات أو بالأشياء قبل وقوعها. فالخلق يستلزم العلم المسبق، واللطف والخبرة يستلزمان العلم بالتفاصيل.

.6الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية(14 :

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج القلق الوجودي) شعور أن لا أحد يفهمك (: الإنسان قد يشعر أن أحداً لا يفهم ما يجول في صدره، فيزداد قلقه .الآية تطمئنه: الله لطيف خبير، يعلم أدق تفاصيل نفسك، ويعلم ما تمر به .هذا يمنح راحة عظيمة.
· توليد الطمأنينة من الشعور بالمراقبة الإلهية : أن تعلم أن هناك من يعلم كل شيء عنك ويلطف بك ويخبر أسرارك، يجعلك تشعر بالأمان، لأن هذا الإله رحيم.
· معالجة الخوف من المجهول : الإنسان يخاف مما لا يعرفه عن نفسه أو عن مستقبله .الله الخبير يعلمه، ففوّض أمرك إليه .هذا يعالج قلق المستقبل.
· تعزيز التواضع : الله يعلم ما لا تعلمه أنت عن نفسك، فكيف تتكبر على خلق الله؟ هذا يزرع التواضع.
· الشعور بالعدالة الكاملة : لأن الله الخبير لا يظلم أحداً، ولا يفوّت أجر محسن، ولا يترك مسيئاً .هذا يريح ضمير المؤمن.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان العقلي القاطع على علم الله : الآية تقدم حجة عقلية بسيطة وعميقة: الخلق يستلزم العلم . فمن خلق شيئاً، لا بد أنه يعلم كيف خلقه وخصائصه .قالوا في الحكمة: "من أتقن الصنعة دل على علمه بصنعته" .فانظر إلى السماء والأرض والنفس البشرية، فهي أصعب ما خلق، فكيف لا يعلم خالقها خفاياها؟
· تفنيد الإلحاد المادي : الماديون ينكرون علم الله، ويقولون إن المادة عمياء .الآية تثبت أن العقل السليم يقول: من خلق هذا النظام البديع لابد أنه عظيم العلم) لطيف خبير.(
· نفي صفة الجهل عن الله : لو لم يكن الله خبيراً لزم الجهل، والجهل نقص، والله منزه عن النقص . هذا دليل عقلي آخر.
· العلاقة بين الخلق والعلم : لا يمكن تصور خلق دون علم .فإذا سلمنا بالخالق) وهو ما يصل إليه العقل بالنظر في الكون(، سلمنا بعلمه المطلق.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على أن الله يعلم كل شيء : نربيهم على ذكر صفتي "اللطيف الخبير" في دعائهم، ونعلمهم أن الله يعلم ما يخفون وما يعلنون.
· تعليمهم التفكر في خلق الله : من يتفكر في خلق السماء والأرض والأنفس يصل إلى يقين أن الخالق لطيف خبير .نخصص لهم وقتاً للنظر في الطبيعة.
· غرس أن العلم الإلهي يقتضي الحياء منه : نربي الطفل أن يستحي من الله لأنه يعلم كل شيء عنه ، فيتجنب الفواحش في الخفاء.
· ربط الصفات الإلهية بالسلوك : "اللطيف" نعلم الطفل الرفق في التعامل، و"الخبير" نعلمه الإتقان و التحقيق في الأمور.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في الدعاء والمناجاة : ندعو الله بأسمائه "اللطيف الخبير" في الشدة، لأنه يعلم خفايا حاجتنا، ويلطف بنا في قضائها.
· في البحث العلمي : هذا الإيمان يدفع العلماء إلى البحث والاستكشاف، لأن الله لطيف خبير، وقد أودع في خلقه أسراراً يمكن اكتشافها.
· في التعامل مع الناس : كون الله خبير ببواطنهم، لا تحكم عليهم من ظواهرهم فقط، بل ادعُ لهم بـ الهداية، واتهم نفسك أولا ً.
· في التخطيط : نحن لا نعلم المستقبل، لكن الله خبير بما سيكون، فتوكل عليه واتخذ الأسباب، وارض بقضائه.

المحور الثالث: العلاقة بين الآيتين 13 و14 وبين موضوع السورة (الملك والخشية)

.1استكمال لمفهوم "خشية الغيب":

الآية 12 قالت عن المؤمنين: {يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ}. والآن توضح الآيتان 13 و14 كيف تتحقق هذه الخشية: بأن تعلم يقيناً أن الله يعلم السر والعلن، وهو لطيف خبير. فالخشية ليست مجرد خوف، بل هي معرفة بعلم الله المحيط.

.2الرد على من يظن أن الإسرار ينفع:

الآية الأولى من السورة: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ}. والملك يتصرف بعلم كامل. فكيف يظن أحد أنه يخفي سراً عن المالك الحقيقي للملك؟

.3الجمع بين القهر واللطف:

في الآية 13 "عليم بذات الصدور" فيها قهر للكافرين، وفي الآية 14 "اللطيف الخبير" فيها لطف ورحمة للمؤمنين. اجتماعهما يظهر كمال الله.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية لهذا الربط:

· نفسياً : يزيل التناقض الداخلي: يريد الإنسان أن يخفي ذنبه لكنه يخاف أن يعلمه الله .الآية تحل هذا التناقض بأن تطلب منه أن يعلن توبته لا أن يخفي ذنبه.
· عقلياً : يثبت أن الخشية بالغيب هي ثمرة الإيمان بعلم الله المحيط.
· تربوياً : نربط في ذهن الطفل بين "الله يسمع ويرى" وبين "أنا أخشاه في سري".
· عملياً : تطبيق الإخلاص في العمل بأن نعمل كأن الله يرانا، لأن الله لطيف خبير بذات الصدور.

المحور الرابع: اللمسات البيانية والبلاغية والرسائل الشاملة من الآيتين

.1التدرج من الأقوال إلى بواطن الصدور:

الآية 13 بدأت بالقول (أسرّوا أو اجهروا)، ثم انتقلت إلى "ذات الصدور" أي ما هو أعمق من القول. ف الحديث يرتقي من الظاهر إلى الباطن، من اللفظ إلى النية.

.2الاستفهام التقريري في الآية14 :

"ألا يعلم من خلق" استفهام إنكاري معناه "بلى يعلم" .وهذا أسلوب بلاغي يقرع الأسماع ويوقظ العقول.

.3استخدام صيغة المبالغة "عليم" و"لطيف" و"خبير":

كلها صيغ مبالغة تفيد الكمال والشمول والاستمرار.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية الختامية:

· نفسياً : تحقيق التوازن بين الخوف) من علم الله (والرجاء) في لطفه.(
· عقلياً : إقامة البرهان على أن علم الله من لوازم كماله.
· تربوياً : تربية الإنسان على الصدق الداخلي والحياء من الله.
· عملياً : تطبيقات عملية في العبادة والسلوك والأخلاق.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآيات

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

تحويل هذه الآيات إلى حركة إيمانية يعني أن نعيش في حالة من "العلم الإلهي المحيط" كحقيقة تتحكم في سلوكنا.

.1تمرين "مراقبة الصدر" : ثلاث مرات يومياً، توقف لثوانٍ واسأل نفسك: "ما الذي في صدري الآن؟ هل هناك حقد، كبر، حسد، أو نية سيئة؟" ثم استغفر الله وطهّر صدرك .هذا يبني الوعي بذات الصدور.
.2تمرين "تسوية السر والجهر" : اختر عملا ً صالحاً تفعله في السر) صدقة خفية، صلاة ليل، ذكر خفي (وآخر في العلن .ثم لاحظ أن الله يعلمهما، فاحمد الله على الإخلاص.
.3تمرين "التفكر في اللطف والخبرة" : تأمل في خلق شيء دقيق) عين الإنسان، خلية، ذرة، تركيبة النبات .(كيف خلقها الله بدقة متناهية؟ هذا يعلمك لطف الله وخبرته .ثم سجد شكراً.
.4تمرين "الدعاء بالأسماء" : ابدأ يومك بقول: "يا لطيف يا خبير، ألطف بي في أموري، واعلم بي في خفاياي، وتولني برحمتك".

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآيات في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عند إخفاء سر عن الناس .تذكر أن الله يعلمه، فلا تظن أنك تخفيه .استحي من الله أن يكون سرك سيئاً، فتب عنه، أو افرح إذا كان سرك صالحاً فسيجازيك عليه.
· الوقفة الثانية: عند الشعور بأن أحداً لا يفهمك .تذكر أن الله اللطيف الخبير يفهمك أكثر من نفسك، فهو يعلم ما في صدرك .فاشكُ همك إليه.

· الوقفة الثالثة: عند التخطيط لفعل معصية في الخفاء .استحضر قوله "ألا يعلم من خلق" .كيف تعصي من خلقك ويعلم خفاياك؟ اترك المعصية فوراً.
· الوقفة الرابعة: عند أداء عمل صالح سراً .افرح بأن الله يراه، فهو خير من يرى .ولا تنتظر مدح الناس.
· الوقفة الخامسة: عند النظر إلى تعقيدات الكون) الجنين، الخلية، المجرة .(توقف وتعجب: ما أعظم "اللطيف الخبير" الذي أتقن هذا كله.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآيات قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية؟

القراءة الواعية تعني أن تتوقف عند كل جملة وتسأل: كيف نطبقها؟

· "وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ" : أيها المؤمن، لا تختلف في سرك وعلنك .كن أنت واحداً في الخفاء و الظهور .لا تكن منافقاً تظهر خيراً وتسر شراً .طبق ذلك اليوم بأن تكون صدوق النية.
· "إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" : قبل أن تتحدث أو تفعل، طهّر نيتك .اسأل نفسك: "هل هذه النية خالصة لله؟" لأن الله يعلمها.
· "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ" : إذا هَمَمْتَ بمعصية في الخفاء، وجه هذا السؤال لنفسك: "أتظن أن الذي خلقك لا يراك؟" سترتدع.
· "وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" : إذا أصابك هم أو حزن، قل: "يا لطيف اكشف عني، يا خبير أعلم بحالي، ففرج عني" .نادِ الله بهذين الاسمين.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة من الآيات وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

· الدرس الأول: السر والعلن سواء عند الله، فلا قيمة لإخفاء الذنب عن الناس إذا كان الله يعلمه.
· التطبيق: تب من ذنوبك الخفية مباشرة، ولا تؤجلها بحجة أن أحداً لم يرها .فالله رآها.
· الدرس الثاني: الخالق أحق بالعلم بمخلوقاته، وهو لطيف خبير بهم.
· التطبيق: إذا أردت أن تعرف شيئاً عن نفسك أو عن غيرك، اسأل الله الذي يعلم السر وأخفى . وارض بحكمته فيهم.
· الدرس الثالث: من تمام الإيمان أن تستوي أعمالك في السر والعلن.
· التطبيق: اختبر نفسك: هل لو كنت وحدك في غرفة مظلمة ستتصرف بنفس أخلاقك في السوق؟ إن كان نعم فأنت على خير، وإن لا فاستقم.
· الدرس الرابع: الله يعلم بواطن الأمور، فلا تحكم على الناس من ظواهرهم وحدها.
· التطبيق: لا تتهم أحداً بالنفاق أو الكفر بناء على ظاهر، وأحسن الظن بهم، ودع علم البواطن لله.
· الدرس الخامس: اسم "اللطيف الخبير" هما وسيلة المؤمن في الشدة والرخاء.
· التطبيق: احفظ هذين الاسمين واستخدمهما في دعائك .ففرج الله يأتي من حيث لا تحتسب)لطفاً (وبعلم دقيق بحالك) خبرة.(

الأمر الخامس: كيف تغير الآيات نظرتنا للحياة؟

.1من النظرة السطحية إلى النظرة العميقة: لم تعد تنظر إلى الناس وأقوالهم فقط، بل تدرك أن هناك ما في الصدور هو الأهم .فتصبح حياتك مليئة بالتأمل في البواطن.
.2من الكرب والهم بسبب الأسرار إلى الطمأنينة: كنت تخشى أن ينكشف سرك للناس، فتعذب نفسك . الآية تخبرك: الله يعلمه، وهو أرحم بك من الناس، فتب إليه، واطمئن.
.3من الغفلة عن الذنوب الخفية إلى اليقظة: كنت لا تحاسب نفسك على خواطر قلبك وأسرار صدرك، لأن الناس لا يرونها .الآن تعلم أن الله يعلمها، فتصبح يقظاً في تصفية باطنك.
.4من الظلم في الحكم على الناس إلى العدل: كنت تحكم على الناس من أقوالهم وأفعالهم الظاهرة فقط، فتظلمهم أحياناً .الآن تعلم أن الله وحده يعلم ذات الصدور، فتصبح أكثر عدلا ً وتسامحاً.
.5من الإحساس بالوحدة إلى الإحساس بالمرافقة الدائمة: كنت تشعر بالوحدة في خلواتك، الآن تعلم أن الله اللطيف الخبير معك بعلمه، فلم تعد وحيداً أبداً.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآيات

· المهارات المعرفية:
· مهارة التفريق بين الظاهر والباطن : القدرة على معرفة أن لكل قول ظاهراً) لفظاً (وباطناً) نية(، وأن الله يعلمهما.
· مهارة الاستدلال بالخلق على صفات الخالق : من تأمل دقة الخلق يصل إلى العلم بأن الخالق

لطيف خبير.
· مهارة التعامل مع "ذات الصدور" : أي فهم أن الإنسان عنده مستويان: مستوى ما يظهره، ومستوى ما يضمره .والتربية الإيمانية تعنى بهذا المستوى.
· المهارات النفسية:
· مهارة الوعي بالخواطر : مراقبة ما يجول في الصدر من أفكار ومشاعر ونوايا، وتقييمها في ضوء علم الله.
· مهارة تطهير الصدر : القدرة على إزالة الأحقاد والحسد والغرور والرياء من القلب، بالاستغفار و الدعاء.
· مهارة تحويل الخوف من الناس إلى الخوف من الله : التدريب على أن تكف عن الخوف من اط لاع الناس على سرك، وتخاف فقط من اطلاع الله عليه.
· مهارة اللجوء إلى اللطيف الخبير : في الشدائد، تلجأ إلى الله لأنه يعلم خفايا حاجتك وهو قادر على تلطيفها.
· المهارات العملية:
· مهارة المحافظة على السر : مع علم الله به، نتعلم أن نحفظ أسرار الناس لأن الله لا يفضحنا.
· مهارة الإخلاص في العمل : أداء العمل لله وحده، سواء كان العمل جهرياً أو سرياً.
· مهارة تقييم النوايا : قبل أي عمل، توقف وحدد نيتك بكتابتها في مخيلتك، واسأل: هل هي خ الصة؟
· مهارة التفكر في الخلق : تخصيص وقت يومي للنظر في شيء مخلوق والتفكر في دقة صنعه، كتمرين على معرفة اللطيف الخبير.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآيات

· البعد العقدي) الإلهي (: ترسيخ صفة العلم المحيط لله تعالى، وصفة اللطف، وصفة الخبرة.
· البعد النفسي) الباطني (: التركيز على "ذات الصدور" والخواطر والنيّات، وتأثير الإيمان بعلم الله على الصحة النفسية.
· البعد المعرفي) الإبستمولوجي (: بيان أن العلم بالخالق يسبق العلم بمخلوقاته، وأن تفاصيل الخلق تدل على علم الخالق ولطفه.
· البعد التربوي) السلوكي (: بناء سلوك يقوم على المراقبة الذاتية وتزكية الباطن.
· البعد الاجتماعي : نقد التظاهر والنفاق الاجتماعي، ودعوة إلى الصدق الداخلي.

الأمر الثاني: القيم من الآيات

· قيمة علم الله المحيط : الإيمان به كأساس للعبادة.
· قيمة إخلاص النية : لأن الله يعلم ما في الصدور.
· قيمة الصدق الداخلي : أن تكون في السر كما أنت في العلن.
· قيمة الحياء من الله : فإذا علمت أنه يعلم خفاياك استحييت منه.
· قيمة التوكل على اللطيف الخبير : في الأمور الخفية والمعقدة.
· قيمة التأمل في خلق الله : للوصول إلى معرفة صفاته.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم "ذات الصدور" : أنها مستودع الأسرار والنوايا والمشاعر، وأن الله مطلع عليها.
· مفهوم "السر والجهر" : أنهما سيان عند الله، فلا فائدة من الكتمان عن الله.
· مفهوم "لطف الله وخبرته" : أن الله يعامل عباده برفق ويعلم حقيقتهم.
· مفهوم "الخلق دليل العلم" : فمن خلق فهو عالم، والعكس لا يصح.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآيات

· تربوياً:
· تنشئة الطفل على أن الله يعلم ما في صدره، فيستحي أن ينوي سوءاً.
· تعليمه أن لا يفرق بين العمل السري والجهري، فكلاهما معلوم لله.
· تدريبه على مراقبة خواطره وتصحيح نواياه.
· نفسياً:

· مفهوم "المراقبة الداخلية" : بدلا ً من المراقبة الخارجية .المؤمن يضبط سلوكه من داخله لأنه يعلم أن الله يراقبه.
· علاج "الازدواجية الشخصية") الشخصية المزدوجة: شخصية في السر وأخرى في العلن (من خلال إدراك أن الله يعلم الحالتين.
· بناء "الضمير اليقظ" القائم على الخشية الإلهية.
· فكرياً:
· تأسيس نظرية المعرفة الإسلامية على أن مصدر المعرفة الأول هو الله الخالق، وأن العقل يستدل به على صفاته.
· نقد الفلسفات التي تقول بعدم قدرة العقل على معرفة الله، وإثبات أن التفكر في خلق الله يقود إلى معرفة صفاته) العلم، اللطف، الخبرة.(

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "صادق الباطن" لا "منافقاً"، يعمل لله وحده، لا يفرق بين السر والعلن، يلجأ إلى اللطيف الخبير في شؤونه، ويتفكر في خلق الله فيزداد إيماناً .هذا الإنسان هو "الإنسان الكامل" الذي تزكى باطنه كما تزكى ظاهره.
· تنمية المجتمع: مجتمع لا يعتمد على الرقابة الشرطية فقط، بل على الرقابة الذاتية) علم الله بذات الصدور .(هذا المجتمع يقل فيه الفساد، لأن الناس يراقبون الله .ويقل فيه النفاق، لأن الناس يعلمون أن الله يفضح المنافقين .وتزداد الثقة بين أفراده.

الأمر السادس: دور الآيات ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً وصناعة التطور و النهضة في الحياة والمجتمع والحضارة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من العقل الظاهري) الذي يهتم بالمظاهر (إلى العقل الباطني) الذي يهتم بـ الجوهر والنية .(هذا ينتج ثقافة تقدر الجودة والإخلاص، لا الكمية والرياء.
· نفسياً: بناء إنسان متوازن نفسياً، لأنه لا يعيش ازدواجية) شخصية للعلن وأخرى للسر .(هذا يقلل من الصراعات الداخلية والقلق والاكتئاب .كما يمنحه الشعور بالأمان والطمأنينة لأنه يلجأ إلى اللطيف الخبير.
· فكرياً: تأسيس الحضارة على أساس "أن الله يعلم السر والعلن" يعني أن القوانين والأخلاق ليست مجرد اتفاقيات اجتماعية، بل هي منبعها الإلهي .هذا يمنح المجتمع ثباتاً وأخلاقاً أصيلة.
· صناعة النهضة: أي نهضة حضارية تبدأ من "إصلاح ما في الصدور" .عندما يصلح الإنسان باطنه)نيته وإخلاصه وخشيته(، يصلح ظاهره .مجتمع يعلم أن الله مطلع على أسراره، ستقل فيه الجريمة الخفية) كالفساد، والرشوة، والخيانة(، وتكثر فيه الأعمال الصالحة السرية) كالصدقة، والمساعدة .(هذا المجتمع ينهض لأنه قوي من الداخل.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآيات في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "شفافية الباطن" : أي أن نجعل سريرتنا كعلانيتنا، فلا نخفي شيئاً نخجل منه، فإن خفي سرياً نصلحه بالتوبة.
· تدعونا إلى "مراجعة النوايا" اليومية : قبل أي عمل، نقف لحظة ونسأل: "لماذا أفعله؟ هل هو لله؟" لتصحيح ما في الصدور.
· تدعونا إلى "التفكر في دقة الخلق" : أن نخصص وقتاً للنظر في الطبيعة) جسم الإنسان، النبات، الذرة، الفضاء (لندرك لطف الله وخبرته.
· تدعونا إلى "الدعاء باللطيف الخبير" : في كل أمر معقد أو صعب، نكرر "يا لطيف يا خبير"، لأن الله يعلم خفاياه وهو قادر على تلطيفه.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية (تطبيقات يومية)؟

· نتعلم كيف نتعامل مع أخطائنا الخفية: إذا أخطأت في السر، لا تكتفِ بعدم فضحك أمام الناس، بل بادر بالتوبة والاستغفار لأن الله يعلمها.
· نتعلم كيف نتعامل مع الناس: لا تحكم على أحد من ظاهره، ولا تستهن بمن يخطئ علناً، فالله يعلم ما في صدره .وأحسن الظن.
· نتعلم كيف نتعامل مع المشكلات المعقدة: عندما تحيرك مشكلة، قل: "يا لطيف يا خبير، دلني على

الحل" .وتوكل على الله.
· نتعلم كيف نخطط ليومنا: ابدأ يومك بمراجعة نيتك، وقل: "اللهم أخلص سريرتي وعلانيتي، واجعل عملي خالصاً لوجهك".
· نتعلم كيف ننام: قبل النوم، تذكر أن الله يعلم ما في صدرك، فاستغفره وأرح بالك، ولا تحمل هم ا لأسرار إلى فراشك.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآيات في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدخال مناهج "التربية الباطنية" أو "تزكية النفس" في المدارس، تدرس الطلاب كيف يراقبون خواطرهم ونواياهم .إنشاء حصص "تأمل في خلق الله" باستخدام المجاهر والتلسكوبات وغيرها، ليدركوا لطف الله وخبرته.
· في الإعلام: إنتاج برامج توعوية عن "الشفافية الداخلية"، وعن مخاطر الازدواجية الشخصية والنفاق، وعن قصة "ذات الصدور" .وتقديم برامج علمية تظهر دقة الخلق) جسم الإنسان، الفضاء، الذرة (وتؤكد أن صفات الله اللطيف الخبير تتجلى فيها.
· في المؤسسات والشركات: خلق ثقافة "المراقبة الذاتية" بدلا ً من المراقبة الأمنية المفرطة .اعتماد آليات "الكشف المبكر عن النوايا" من خلال الشفافية والحوار .وتقديم جوائز للأخلاق الداخلية) ك الصدق والأمانة في الغيب.(
· في المساجد: تخصيص خطب ودروس عن "علم الله بالسر والعلن"، وعن "اللطيف الخبير"، وتشجيع المصلين على تطهير صدورهم من الأحقاد والحسد .تنظيم دورات في "تزكية النفس" و"مراقبة الخواطر".
· في القضاء والنظام القانوني: تعزيز مبدأ "أن الله يعلم السر" لتخفيف العقوبات على من يعترف طواعية) باعترافه يعلن سريرته .(والتركيز على إصلاح الباطن للمجرمين أكثر من العقاب الجسدي.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب... كم تعبت من إخفاء أسرارك، وكم قضيت ليالي تقلبك همومك التي لا تجرؤ أن تبوح بها لأ حد. كم خفت من أن يعلم الناس ما في صدرك، فأنت في صراع دائم بين الظهور بمظهر وبين إخفاء حقيقة.

هذه الآيات تأتيك لتحررك.

تقول لك: {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ}.
لا تتعَب نفسك. سواء أخفيت أو أعلنت، فالنتيجة واحدة عند الله. فلا قيمة للإخفاء عنه، لأنه يعلم أصلا ً. لا تخف من أن يعلم الناس سرك السيء، بل خف من أن يعلمه الله. وإذا علمه الله، فباب التوبة مفتوح. فما عليك إلا أن تتوب، وتطهر صدرك، وتستريح.

وتقول لك: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.
نعم، يعلم ما في صدرك. يعلم حقدك إن كنت حاقداً، يعلم حسدك إن كنت حاسداً، يعلم كبرك إن كنت متكبراً، ولكن أيضاً يعلم حبك له، يعلم إخلاصك، يعلم خوفك، يعلم دعاءك الخفي. فيا لها من نعمة ويا لها من نقمة في آن.

ثم تصرخ في أذنك: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ}.
كيف يعقل أن من خلقك لا يعلمك؟! من خلق عينك يعلم بما تنظر إليه، ومن خلق قلبك يعلم بما يختلج فيه. هذا هو المنطق المحض. فكيف تجحد أو تغفل؟

وتختتم: {وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}.
وهذه هي البشارة. هو لطيف، لن يفضحك إذا تبْت. هو خبير، يعلم حاجتك قبل أن تسأل. فاطمئن. ليس هناك إله يعلم السر والعلن ويلطف بعباده ويخبر أسرارهم سوى الله.

يا قلب...

ما أجمل أن تعيش وأنت تشعر بأن الله معك بعلمه! تخلص من قيد الخوف من الناس. ارفع رأسك، ليس تكبراً، بل ثقة بأن من يراك هو الله، وهو أرحم بك من أمك.

طهّر صدرك الآن. اخرج كل حقد، كل حسد، كل كبر، كل رياء. استغفر الله وتوب إليه. قل: "اللّهم أنت تعلم ما في صدري، فاغفره لي وطهّره".

وإذا أردت أن تدعو، فادعُ بهذا الدعاء:
"اللّهم يا لطيف يا خبير، ألطف بي في قضائك، واعلم بي في أموري، واغفر لي سريرتي وعلانيتي، واجعل خشيتك في الغيب هي رفيقة دربي."

وإذا مررت بضيق، فقل: "حسبي الله اللطيف الخبير". وإذا هممت بمعصية في الخفاء، فقل: "ألا يعلم من خلق؟"

اجعل هاتين الآيتين شعارك.
اكتبهما على مكتبك. رتلهما في صلاتك. وسيكون قلبك أنقى، ونفسك أصفى، وحياتك أعمق.

اللّهم إنك تعلم سرنا وعلانيتنا، وذات صدورنا، فاغفر لنا وارحمنا، أنت اللطيف الخبير.

القسم الثاني
تنتقل سياق النصوص الى عرض مظهر من مظاهر ملكيه الله وتدبيره لأمور الخليقه فتذكر لنا فيض الله واحسانه علينا لتسهيل وتذليل الصعوبات امام الانسان ليقوم بواجب حمل امانه الخلافه على الأ رض من خلال تسخير الارض وتجهيزها لتكون دارا ومسكنا صالحا ليعيش عليها الانسان مبينه إحسانه سبحانه وتعالى وعطاءه للارزاق الداله على هيمنه الله فى ملكه بالحكمه والقدرة والقهر و العدل والرحمة والإحسان وانه المالك المتصرف فى الدنيا والآخرة فالجميع سوف يعود إلى الله للحساب والعقاب فالاعمال مصيرها الى الله وربط ذلك بالغايه من وجود الإنسان على الأرض ان يكون خليفه لله على الارض فالواجب عليه أن يقوم بالبناء والعمران وفق منهج الله وان الله جعل الارض مسخره كمسكن لهذا الانسان فالدار قد جهزها الله قبل خلق الانسان وهذه العلاقة بين الإ نسان والوجود الكونى المحيط به فالهدف للوجود واحد وهو عباده الله ومصير الكون واحد وهو العوده الى الله فقال تعالى

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}

أولا ً: مقدمة تمهيدية

1.ارتباط الآية بما قبلها:

بعد أن قررت الآيات السابقة (13-14) مبدأ علم الله المحيط بالسر والعلن وبذات الصدور، وأنه اللطيف الخبير، تأتي هذه الآية لتنتقل من الحديث عن علم الله ببواطنكم إلى الحديث عن مظاهر قدرته ورحمته في الأرض التي تعيشون عليها. الآيات السابقة كانت تحذيراً للمشركين والمنافقين الذين يظنون أنهم يخفون عن الله شيئاً، وهذه الآية دعوة للتأمل في نعمة الأرض التسخيرية، التي هي دليل ملموس على قدرة الله ورحمته، وتذكير بالمعاد (النشور) بعد أن ذكر علمه بالخفايا. فكما أن الله يعلم ما في صدوركم، فهو الذي سخر لكم الأرض لتأكلوا وتمشوا، وإليه ترجعون للحساب.

2.الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (تسخير الأرض): بيان أن الله هو الذي جعل الأرض منقادة ومذللة لكم، تصلح للعيش والانتفاع.
· الفكرة الثانية (التكليف والرزق): الأمر بالسعي والعمل على الأرض (المشي في مناكبها) والأكل من رزق الله، مع ضمير العائد إلى الله في "رزقه" لبيان أن الرزق كله منه.
· الفكرة الثالثة (المصير): التذكير بالرجوع إلى الله وحده يوم النشور (البعث والحساب).

3.أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: ترسيخ توحيد الربوبية (أن الله هو المسخر للأرض) وتوحيد الألوهية (أن الرزق منه وحده) وتوحيد المصير (أن المرجع إليه وحده).
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على شكر النعم (تسخير الأرض)، والعمل الجاد، وعدم الكسل أو الاتكال ، مع استحضار اليوم الآخر.
· الهدف النفسي: علاج الشعور بالعجز والخوف من المجهول، بتذكير الإنسان أن الأرض مسخرة له، مما يمنحه ثقة وقوة. وعلاج التعلق بالدنيا بتذكيره بالنشور.
· الهدف المعرفي (المنهجي): إقامة البرهان على قدرة الله من خلال تسخير الأرض، والربط بين نعمة الدنيا ومسؤولية الآخرة.

ثانيا ً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا}

1.تحليل الألفاظ:
· "هُوَ الَّذِي" : ضمير الغائب لله، و"الذي" موصول يفيد الحصر والتخصيص، أي أن الله وحده هو فاعل هذا التسخير لا غيره.
· "جَعَلَ" : بمعنى خلقها وأوجدها وهيأها، وفعل "جعل" يدل على التحويل من حالة إلى حالة، أي حول الأرض من كونها غير منقادة إلى كونها منقادة.
· "لَكُمُ" : اللام للاختصاص، أي لأجلكم أنتم أيها البشر. هذه نعمة خاصة ببني آدم.

· "الأَرْضَ" : الكوكب الذي نعيش عليه، بكل ما فيه من يابسة وماء وجبال وسهول.
· "ذَلُولًا" : من الذل، أي سهلة منقادة مطيعة لكم. تشبه الدابة المذللة التي تركب حيث شئت. الأ رض ليست جامدة صعبة، بل هي مسخرة لخدمة الإنسان.
.2دلالات التسخير) ذلولا ً(:
· تسخير الأرض يعني أن الإنسان يستطيع أن يمشي عليها، يزرعها، يبني فيها، يستخرج معادنها، يشق أنهارها، ويسير في طرقاتها. كل هذا لأن الله جعلها ملساء (بعد أن كانت نارية)، وجعل فيها الجاذبية المناسبة، والهواء المناسب، والماء المناسب.
· كلمة "ذلولا ً" تفيد أن الأرض ليست عدواً للإنسان، بل هي خادمة له، وهذا من تمام رحمة الله.

المحور الثاني: تحليل {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ}

.1تحليل} فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا{:
· "فَامْشُوا" : الفاء للتفريع على التسخير، أي بما أن الأرض مذللة لكم فامشوا. وهذا أمر إباحة وتكليف، أي سافروا وتنقلوا واعملوا.
· "مَنَاكِبِهَا" : جمع منكب، وهو مجاز عن الجوانب والطرق والجهات والجبال. المعنى: في نواحيها وأرجائها وطرقها الواسعة. أي انتشروا في الأرض طولا ً وعرضاً.
.2تحليل} وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ{:
· "وَكُلُوا" : أمر إباحة، أي تناولوا ما تنتجه الأرض من طعام وشراب، ولكن بشكل حلال.
· "مِنْ رِزْقِهِ" : الإضافة لله (رزقه) تفيد أن الرزق كله من عند الله، حتى الذي تحصلون عليه بسعيكم، هو رزق مقدر من عنده. فلا تغتروا بقوتكم، بل اشكروه.
.3العلاقة بين المشي والأكل:
السعي (المشي في مناكبها) هو سبب، والأكل هو نتيجة. فلا تأكل بدون سعي، ولا تسعي بدون أن تأكل. هذا رد على الذين يتوكلون بلا عمل، أو يعملون بلا توكل.

المحور الثالث: تحليل {وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}

· "وَإِلَيْهِ" : الضمير لله، والى تفيد الانتهاء والمصير.
· "النُّشُورُ" : البعث والحياة بعد الموت، ومنه "نشر الموتى" أي إحياؤهم.
· المعنى: بعد أن تعيشوا على هذه الأرض المسخرة، وتأكلوا من رزقه، فمصيركم النهائي هو الرجوع إلى الله للحساب والجزاء. هذه الجملة تحول النظرة من مجرد التمتع بالدنيا إلى الاستعداد للآخرة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج القلق من المستقبل (الرزق): كثير من الناس يعيشون قلقاً دائماً على لقمة العيش. الآية تطمئن القلب بأن الله هو الذي جعل الأرض ذلولا ً لكم، وهو الذي يرزقكم. فاطمئن واعمل، فالأرض مسخرة لك.
· علاج الشعور بالعجز والضعف: عندما ترى الجبال الشاهقة، والبحار العميقة، قد تشعر بأنها تسحقك. ا لآية تقول لك: لا، الله جعلها ذلولا ً (منقادة) لك. هذا يعزز الثقة بالنفس ويزيل الرهبة من الطبيعة.
· علاج الكسل والاتكال المرضي: الآية تدفع الإنسان إلى الحركة والنشاط (فامشوا)، فلا مكان للكسالى الذين ينتظرون الرزق من السماء دون عمل.
· علاج التعلق المفرط بالدنيا: جملة {وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} هي بمثابة منبه. كل هذه المتع والأكل والمشي، مصيرها الزوال، وستُسأل عنها. هذا يعطي توازناً نفسياً بين الأمل في الدنيا والخوف من الآخرة.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان العقلي على وجود الله وقدرته: تأمل كيف أن الأرض ليست كرة نارية، ولا مستنقعاً موحلا ً، ولا جبلا ً من جليد. هي بالضبط كما نحتاج: صلبة للمشي، خصبة للزرع، فيها ماء وهواء. هذا لا يمكن أن يكون صدفة. إنه دليل قاطع على خالق مدبر.
· الرد على الجبرية والتعطيل: الآية تثبت للإنسان إرادة وعملا ً (فامشوا، وكلوا) مع إثبات أن الرزق من الله. هذا يرد على من يقولون إن الإنسان مجبر ليس له فعل، وكذلك يرد على من يقولون إن الإ نسان هو خالق رزقه بنفسه.
· إقامة الحجة بالربط بين النعمة والجزاء: العقل يدرك أن من أنعم عليك بهذه النعم يستحق منك

الشكر، وحسابك على شكرها وكفرها هو يوم النشور. هذا منطق أخلاقي سليم.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على شكر النعمة: نعلم الطفل أن الأرض التي تمشي عليها هي نعمة من الله، فلا يعبث بها ولا يفسد فيها.
· تربيتهم على العمل والسعي: لا نقول للطفل فقط "توكل على الله"، بل نعلمه "امش في مناكبها" وأعمل، ثم "وكل من رزقه" وتوكل. نغرس فيه الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل.
· تربيتهم على المسؤولية: بما أن الأرض ذلول، فأنت مسؤول عن عمرانها وعدم الإفساد فيها. والله سيسألك يوم النشور.
· تربيتهم على النظر إلى الكون بعين التأمل: كل رحلة، كل مشي على الأرض، نوجه الطفل ليتأمل كيف جعل الله الأرض ممهدة، وليتساءل كيف لو كانت الأرض وعرة أو زلقة.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في السفر والتنقل: قبل أن تسافر، استحضر أن الله هو الذي جعل الطرق آمنة والأرض ذلولاً، واشكره. ودعاء السفر "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين".
· في الزراعة والبناء والعمل: اعمل وأنت تعلم أن الأرض مسخرة لك، فاستثمرها بالطريقة المثلى، ولا تكن عالة على غيرك.
· في الأكل والشرب: قبل أن تأكل، قل "بسم الله"، وتذكر أن هذا الرزق من الله، واشكره، ولا تسرف.
· في التخطيط للمستقبل: خطط لمعاشك كأنك تعيش أبداً (فامش وكل)، وخطط لمعادك كأنك تموت غداً (وإليه النشور).
-
ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "الأرض الخادمة": كل صباح، عندما تضع قدمك على الأرض، قل في نفسك: "هذه الأرض مذللة لي من الله" .ثم اشكر الله بنعمة الثبات والمشي.
.2تمرين "السعي والتوكل": عندما تخرج للعمل، اربط في قلبك بين "فامشوا" سعيك (و"من رزقه")نتيجته .(فتخرج متوكلاً على الله غير متواكل، ومجتهداً غير معتمد على قوتك فقط.
.3تمرين "تذكرة النشور": قبل أن تنام، تذكر أنك ستبعث من هذه الأرض نفسها يوم القيامة .قل: "اللهم أحييني على الإيمان، وتوفني على الإسلام، واحشرني مع الأبرار".

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما تشعر بصعوبة في حياتك، انظر إلى الأرض التي تحت قدميك. إنها ملساء وثابتة، لا تغور بك. تذكر أن الذي سخرها لك قادر على تسخير كل صعوباتك.
· الوقفة الثانية: عندما تأكل لقمة طيبة، توقف للحظة. كم خطوة مشيت، وكم تعباً تحملت حتى وصلت هذه اللقمة إليك؟ ثم تذكر أن الله هو الذي أخرجها من الأرض، وهو الذي قواك. اشكره.
· الوقفة الثالثة: عندما ترى عالماً أو مخترعاً استطاع تسخير الأرض أكثر (كبناء الطائرات والقطارات)، تذكر أن هذا من باب التسخير الذي أذن الله به. لا تتعجب من قدرة الله، بل اشكره على ما أعطى البشرية من فهم.
· الوقفة الرابعة: عندما تغريك الدنيا وتلهيك، تذكر كلمة {وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}. ستقف بين يديه، فماذا أعددت ؟

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا" : اسأل نفسك: هل أشعر بأن الأرض صعبة عليّ أم سهلة؟ هل أتذمر من ظروف العيش، أم أرى فيها نعمة التسخير؟ غيّر نظرتك من الشكوى إلى الشكر.
· عند قراءة "فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا" : اسأل نفسك: ما هو "المشي" الذي أقوم به اليوم؟ هل هو مشي في طاعة الله أم في معصيته؟ هل أمشي لأطلب رزقاً حلالاً أم حراماً؟ قرر أن يكون سعيك اليوم كله لله.
· عند قراءة "وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ" : اسأل نفسك: ما الذي أتناوله اليوم؟ هل هو حلال طيب؟ هل شكرت الله عليه؟ هل أكلت حتى شبعت دون إسراف؟ اضبط أكلتك لتكون عبادة.

· عند قراءة "وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" : اسأل نفسك: لو أن هذه الأكلة هي آخر أكلة في حياتي، ثم بعثت بعدها، هل سأكون راضياً عن عملي؟ استحضر السؤال في كل لحظة.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: الأرض مخلوقة مسخرة لخدمة الإنسان، وليست سيدته.
· التطبيق: لا تخشَ الطبيعة، بل سخرها بالعلم والعمل في حدود الشرع، واعمرها.
· الدرس الثاني: النعمة تحتاج إلى شكر، والشكر يكون باستخدامها في طاعة الله.
· التطبيق: استخدم يديك ورجليك وقوتك في فعل الخير، واجعل سعيك للرزق عبادة.
· الدرس الثالث: الرزق من الله، والسعي واجب، والتوكل شرط.
· التطبيق: لا تترك عملك بحجة التوكل، ولا تنسى التوكل بحجة العمل. اجمع بينهما.
· الدرس الرابع: بعد كل هذه النعم، هناك حساب يوم النشور.
· التطبيق: جدد توبتك كل يوم، وحاسب نفسك على ما أكلت وأين مشيت.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من الشعور بالضعف أمام الطبيعة إلى الشعور بالقوة والتسخير: لن تعد ترى الجبل عائقاً، بل مرتفعاً يمكن استغلاله .لن ترى البحر هائلا ً، بل طريقاً للمواصلات .تصبح نظرتك للكون إيجابية قائمة على التوحيد.
.2من الاتكال والكسل إلى العمل النشط: لن تنتظر الرزق ينزل عليك، بل ستخرج لتسعى، لأن الله أمرك بالمشي.
.3من نسيان الآخرة إلى استحضارها الدائم: كل نعمة ستذكرك بالمنعم، وكل لقمة ستذكرك بأنك مسئول عنها.
.4من جحود النعمة إلى شكرها: ستلاحظ أن المشي على الأرض نعمة عظيمة، وأن الأكل نعمة، فتصبح حياتك كلها شكراً.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة الربط بين النعمة والمنعم: كلما رأيت أرضاً، تذكر الله.
· مهارة التمييز بين السبب والمسبب: تعلم أن سعيك سبب، والله هو المسبب الحقيقي.
· مهارة استدلالية: الاستدلال بتسخير الأرض على قدرة الله ووحدانيته.
· المهارات النفسية:
· مهارة تحويل الخوف من المستقبل إلى الرجاء: الآية تعالج قلق الرزق.
· مهارة تحفيز الذات على العمل: "فامشوا" تحفز على الحركة.
· مهارة التوازن بين الدنيا والآخرة: الجمع بين الأكل والنشور.
· المهارات العملية:
· مهارة التخطيط للسعي (المشي في مناكبها): التخطيط للرحلات والسفر والعمل.
· مهارة استغلال الموارد (الأرض): تعلم الزراعة، والبناء، واستخراج المعادن.
· مهارة ضبط النفس في الأكل: الأكل من الحلال وعدم الإسراف.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد الكوني (الكوسمولوجي): الحديث عن الأرض ككوكب مسخر، وهذا يدعو لدراسة الجيولوجيا و الجغرافيا والفلك.
· البعد الاقتصادي (المادي): الأمر بالسعي للأكل من الرزق، وهذا أساس العمل والاقتصاد الإسلامي.
· البعد الاجتماعي (الحضاري): "المشي في مناكبها" يعني التنقل والتواصل بين الأمم، وبناء الحضارات.
· البعد الروحي (العقدي): الإيمان بالنشور هو الدافع للأخلاق والعمل الصالح.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة التسخير: إدراك أن الكون مسخر للإنسان، لكن تحت إرادة الله.

· قيمة العمل والنشاط: عدم الكسل، والاعتماد على النفس مع التوكل على الله.
· قيمة الشكر: الاعتراف بأن كل نعمة من الله.
· قيمة المسؤولية: تحمل تبعات العمل والأكل أمام الله يوم النشور.
· قيمة الإخلاص: جعل العمل والسعي لله وحده.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الأرض ذلولا ً": أن الطبيعة ليست عدواً، بل صديق مسخر. هذا يغير ثقافة الخوف من الطبيعة إلى ثقافة التعامل معها.
· مفهوم "المشي في مناكبها": التنقل والهجرة والسفر والعمل في أي بقعة من الأرض، فالأرض كلها مسخرة.
· مفهوم "رزقه": أن الرزق لا يأتي من قدرة الإنسان الذاتية، بل من فضل الله.
· مفهوم "النشور": أن نهاية رحلة الأرض هي الرجوع إلى الله.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "النشاط الموجه": تعليم الطفل ألا يقف مكتوف اليدين، بل يتحرك ويسعى.
· مفهوم "الشكر العملي": شكر النعمة باستخدامها في طاعة الله، لا بالكلام فقط.
· نفسياً:
· مفهوم "فاعلية الإنسان" : أن الإنسان فاعل وليس منفعلا ً. الآية تمنحه الدافع للتحكم بحياته (في حدود التسخير الإلهي).
· مفهوم "الأمان الوجودي": الإحساس بأن الأرض ليست مكاناً معادياً، بل مسخراً.
· فكرياً:
· مفهوم "التوسط بين الجبر والتفويض": فأنت تسعى، ولكن النتيجة من رزق الله.
· مفهوم "الاستخلاف": الإنسان خليفة في الأرض يعمرها، وهذا يبدأ من "فامشوا وكلوا".

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: إنسان "فعّال"، لا يتواكل، يسعى في الأرض، يبني ويعمر، مع استحضار أن كل هذا سيزول وأن مصيره إلى الله. هذا هو الإنسان المتزن المنتج روحياً ومادياً.
· تنمية المجتمع: مجتمع قوامه العمل والإنتاج، يقدّر العلم الذي يسخر الأرض، ويحارب الكسل والبطالة ، مع الحفاظ على القيم الأخلاقية والروحية. لا تنمية بدون سعي، ولا تنمية مستدامة بدون ذكر النشور.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الخوف من الطبيعة" إلى عقل "تسخير الطبيعة". هذه هي بداية النهضة العلمية: أن ندرس قوانين الكون لأنها مسخرة لنا.
· نفسياً: بناء إنسان واثق، لا يشعر بالعجز. يتحمل المخاطرة المحسوبة، لأنه يعلم أن الأرض مذللة، وأن الرزق على الله.
· فكرياً: تأسيس فكرة أن "العمل عبادة". فالسعي وراء الرزق هو امتثال لأمر الله "فامشوا"، وليس انشغالا ً عن الدين.
· صناعة النهضة: أي حضارة تقوم على استغلال الأرض (الزراعة، الصناعة، البناء، المواصلات). هذه الآ ية تمنح البشرية الإذن الإلهي لاستكشاف الأرض وتسخيرها، بل والأمر بذلك "فامشوا". النهضة تبدأ عندما يؤمن الإنسان بأن الأرض خلقت لأجله، فيسعى لتطويرها، لا أن يؤمن بأنه خلق لخدمة الأرض.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "نظافة الأرض وعمارتها": بما أن الله جعلها ذلولا ً لنا، فلا نلوثها، بل نعمرها ونزينها.
· تدعونا إلى "التنقل والسفر": لرؤية آيات الله، وللعمل، وللعلم، وليس للهو فقط.
· تدعونا إلى "الاستثمار الزراعي والصناعي": لأن الأرض ذلول، وتستطيع أن تخرج منها الرزق.
· تدعونا إلى "الاستعداد للآخرة" في كل خطوة: لا نسافر لمعصية، ولا نأكل حراماً، ولا ننسى أننا

سننشر.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية (تطبيقات يومية)؟

· عند الاستيقاظ: احمد الله أن جعل الأرض ذلولا ً، فتقوم عليها وتتحرك.
· عند ارتداء حذائك: تذكر أنك ستمشي على أرض مذللة، فانوِ خيراً في مشيك.
· عند الخروج إلى العمل: اقرأ الآية وقل: "اللّهم بارك لي في سعيي وارزقني من حيث لا أحتسب".
· عند تناول الطعام: قل "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا من رزقه، وجعلنا من المسلمين".
· عند رؤية مشاريع عمرانية: تذكر قوله "جعل لكم الأرض ذلولا ً"، واحمد الله على نعمة العلم و القدرة.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدخال مناهج "التفكر في تسخير الأرض" في العلوم والجغرافيا. كل درس عن التربة، عن المعادن، عن الطقس، نربطه بالآية. نعلم الطالب أن هذه الدروس هي فقه لفهم "تسخير الله للأ رض".
· في الإعلام: صناعة أفلام وثائقية عنوانها "الأرض الذلول"، تظهر كيف سخر الله الأرض للإنسان، وتدعوه لشكر النعمة وعمارتها. برامج عن السفر والاستكشاف بروح إيمانية.
· في الاقتصاد: تشجيع المشاريع الصغيرة والمتوسطة التي تستثمر في الأرض (زراعة، تربية، بناء)، على أساس أنها تطبيق لـ "فامشوا وكلوا من رزقه". إنشاء صناديق دعم للشباب الباحثين عن عمل، تحت شعار "السعي في مناكب الأرض".
· في المساجد: خطب عن "العمل عبادة"، و"شكر نعمة الأرض"، و"الاستعداد للنشور". تخصيص دروس لتعليم الفلاحين والعمال أن عملهم عبادة إذا صحت النية.
· في التخطيط الحضري: أن يكون التخطيط للمدن والطرق على أساس تسهيل "المشي في مناكبها" للبشر، وليس على أساس صعوبة الحياة. الاهتمام بالزراعة داخل المدن.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

بعد ان ً أخبرتك الآيات السابقة أن الله يعلم سرك وعلانك، فاستقمت. والآن تأتي هذه الآية لتقول لك: انظر إلى قدميك. انظر إلى الأرض التي تقف عليها.

كم مرة شعرت أن الأرض تضيق بك؟ كم مرة حملت هم الرزق حتى كاد يقتلك؟ كم مرة خفت من الغد، من المجهول، من الفقر؟

هذه الآية تهمس في أذن قلبك: "يا قلب، الأرض التي تقف عليها ليست عدوة لك. إنها مسخرة لك. مذللة لك. هي خادمتك، وليست سيدتك."

{هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا}... "لكم" يا بن آدم. أنت الهدف. الأرض وسيلة. فهون عليك. لا ترهب الجبال، ولا تخش البحار. الذي خلقها لك قادر أن يسهل لك كل عسير.

{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا}... تحرك. لا تجمد مكانك. الحياة حركة. النعمة تحتاج إلى سعي. لا تنتظر الرزق ينزل عليك من السماء دون عمل. كن نبياً، فحتى داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده، وكان يأكل من رزق الله. اخرج، انطلق، سافر، اعمل، ابتكر، ابني. الأرض واسعة، والله قد مهدها لك.

{وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ}... وعندما تتعب وتصل، وتأكل، تذكر أن هذا ليس من قوتك أنت. "من رزقه". هو الذي أنبت الزرع، هو الذي أنزل المطر، هو الذي سخر البقر، هو الذي هدى قلبك للعمل. فكل واشكر، و لا تأكل وأنت غافل. اجعل لقمتك شكراً.

{وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}... ويا قلب، تذكر أن هذه الأرض ليست دار إقامتك. أنت مسافر فيها، تمشي قليلا ً، ثم تُنشَر. تُبعث من هذه الأرض نفسها. فلا تلهيك المشي عن الهدف، ولا تأكلك الأكل فتنسى الآخرة.

يا قلب...

امشي في الأرض كأنك سيدها، ولكن تذكر أن سيدك الحقيقي هو الله. استمتع بالأكل، ولكن لا تنس أن تشكر المنعم. اطمئن، فالرزق على الله، والسعي عليك.

اجعل هذه الآية رفيق دربك.
عندما يثقل هم الرزق على قلبك، افتح عينيك وانظر إلى الأرض: إنها ذلول.
عندما يكسل جسدك عن العمل، اسمع الأمر الإلهي: فامش.
عندما تأكل، ارفع بصرك للسماء: من رزقه.
وعندما تغريك الدنيا، ذكر قلبك: وإليه النشور.

عش أيها القلب كأنك خليفة الله في أرضه، تمشي بأمره، وتأكل من رزقه، وتستعد للقائه.
فنعم الرب، ونعم العبد إذا أطاع، ونعمت الأرض إذا عُمرت بالإيمان والعمل، ونعم النشور إذا لقيت رباً رحيماً لطيفاً خبيراً
القسم الثالث

تنتقل سياق النصوص الى التهديد والوعيد بعد ذكر فيض الله واحسانه على الانسان بان سهل له العيش على الأرض بأمان ومنحهم الارزاق وسهل لهم القيام بمهمه الخلافه على. الارض وفق منهج الله الذى انزله مع الرسل ولهذا ياتى الخطاب موجها إلى اولئك الذين اطمانوا بالدنيا وانخدعوا بمظاهرها وبما اعطاءهم الله من مال وجاه وسلطان فانحرفوا فى سعيهم بان أقاموا ملكهم وسلطانهم وحركتهم على مخالفه منهج الله فقال تعالى
.{أأمِنتُم مَن فِي السَّمَاءِ أن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَن فِي السَّمَاءِ أن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ * وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}.

اولا
تفسير قوله تعالى.

}أأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ{(17)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآيات السابقة (13-15) قررت ثلاثة أصول: علم الله المحيط (13-14)، ثم تسخير الأرض ذلولا ً للا نتفاع بها (15). والآن تأتي هذه الآيات لتكشف عن الوجه الآخر لعلاقة الإنسان بالأرض والقدرة الإ لهية. فبعد أن أخبركم أنه جعل الأرض ذلولا ً لتمشوا وتأكلوا، يحذركم من أن هذا التسخير ليس معناه أنكم في مأمن من عقابه. فالذي جعلها ذلولا ً قادر على أن يجعلها تمور (تضطرب) بكم، والذي أرسل لكم الرزق قادر على أن يرسل عليكم حاصباً (عذاباً من السماء). الآية السابقة كانت نعمة، وهاتان الآيتان تحذير من زوال النعمة بنقضتها.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآيات:

· الفكرة الأولى) الآية(16 : استفهام إنذاري عن الأمن من عذاب الله المتمثل في خسف الأرض) ابتلا عها (واضطرابها تمور بمن عليها.
· الفكرة الثانية) الآية(17 : استفهام إنذاري آخر عن الأمن من عذاب الله المتمثل في إرسال حاصب)ريح تحمل حجارة أو ناراً أو رماداً (من السماء.
· الفكرة الثالثة) الآية(17 : تهديد ووعيد بأنهم سيعلمون حقيقة هذا الإنذار حين يأتيهم العذاب.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: ترسيخ الخوف من الله وحده، وإبطال الأمن من مكره، وإثبات أن القدرة المطلقة بيده في السماء والأرض.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على حالة بين الخوف والرجاء، وعدم الاغترار بنعم الله، والاستعداد لأ خذه.

· الهدف النفسي: علاج الغفلة والأمن من مكر الله، وكسر الشعور الزائف بالأمان، وإيقاظ الضمير بـ الخوف المحمود.
· الهدف المعرفي: بيان أن السنن الإلهية في العقاب) كالخسف والحاصب (ماضية على المكذبين، وأن التاريخ يعيد نفسه.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآيات

المحور الأول: الآية 16 – التهديد بخسف الأرض ومورها

.1تحليل} أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ{:

· "أَأَمِنتُمْ" : الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ، أي كيف تأمنون؟ و"أمنتم" من الأمن، وهو زوال الخوف . المعنى: أتجرأون على الأمن من عذاب الله؟ هذا أسلوب تهديد.
· "مَنْ فِي السَّمَاءِ" : المقصود به الله سبحانه وتعالى، وهو تعبير عن عظمة الله وعلوه واستوائه على عرشه في السماء .وصف ب-"من في السماء" للإشارة إلى أن قدرته تأتي من العلو، وأنه المحيط بكم من فوقكم.

.2تحليل} أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ{:

· "يَخْسِفَ" : الخسف هو ابتلاع الأرض للشيء وإدخاله في جوفها .والخسف قد يكون جزئياً أو كلياً.
· "بِكُمُ الْأَرْضَ" : أي يغيّبكم في الأرض، فتنقلب عليكم وتصبح تحت أقدامكم .هذا أشد أنواع العذاب لأ ن الأرض التي كانت مطمئنة لكم تصبح قبراً لكم.

.3تحليل} فَإِذَا هِيَ تَمُورُ{:

· "تَمُورُ" : من المور، وهو الاضطراب والحركة الشديدة .مور الأرض يعني أنها ترتجف وتتحرك وتضطرب بمن عليها كموج البحر .هذه حال الخسف حيث تزلزل الأرض وتذهب ثباتها وذلولها .إنها نقيض تام لقوله السابق "جعل لكم الأرض ذلولا ".

المحور الثاني: الآية 17 – التهديد بإرسال الحاصب والنذير

.1تحليل} أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا{:

· "أَمْ" : للإضراب الانتقالي، أي انتقل من تهديد إلى تهديد آخر أشد أو مختلف.
· "يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا" : الحاصب هو الريح التي تحمل الحصباء) الحجارة الصغيرة (أو الرماد و الحجارة من البركان، أو ريح السموم المحرقة .وقيل: هو العذاب الذي يحصبهم أي يرميهم بالحجارة من السماء، كعذاب قوم لوط.

.2تحليل} فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ{:

· "نَذِيرِ" : أي إنذاري وتحذيري .و"كيف" للتعجيب والتهديد .المعنى: سوف تعلمون – حين يحل بكم العذاب – كيف كان إنذاري لكم، أي أنه حق وصدق، وستندمون حيث لا ينفع الندم .وهو تهديد شديد ووعيد بالغ.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآيات

أولا ً: الرسائل النفسية:

· كسر الشعور الزائف بالأمان: كثير من الناس يعيشون في "وهم الأمان" بسبب استمرار النعم .الآية تفاجئهم: "أأمنتم؟" – هذه الصدمة النفسية الإيجابية توقظهم من الغفلة .لا تأمنوا مكر الله، فإن نعمه قد تسلب فجأة.
· علاج الاستكبار والغرور: الطاغية يشعر أن الأرض تحت أمره .الآية تذكره: من في السماء قادر أن يجعل الأرض تنقلب عليه .هذا يزرع التواضع والخوف.
· توليد "الخوف المحمود": ليس الخوف المرضي الذي يشل الحركة، بل الخوف الذي يدفع إلى التوبة والاستعداد .هذا الخوف هو رأس الحكمة.
· الموازنة بين الرجاء والخوف: الآية السابقة قالت "جعل لكم الأرض ذلولا ") رجاء ونعمة(، وهذه

تقول "يخسف بكم الأرض") خوف ونقمة .(المؤمن يحتاج إليهما معاً ليكون عبداً سوياً.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان على أن القدرة الإلهية متحققة في كل لحظة: العقل يقر بأن من خلق السماء والأرض قادر على إزعاجهما .فكما خلق الأرض بثباتها، قادر على أن يجعلها تمور .هذا هو المنطق العقلي: المالك يملك الإبقاء والإتلاف.
· الرد على من ينكر العذاب: هؤلاء قالوا: "لن نعذب، والأرض ثابتة" .الآية ترد: الثبات ليس دليلا ً على الأمان، بل هو إمهال .وقد حدث الخسف بأمم قبل) كقارون وقوم شعيب.(
· إقامة الحجة بالتاريخ والسنة الكونية: "فستعلمون كيف نذير" – هذا وعد بأن العذاب سيأتي لا محالة ، وأن سنن الله في الأمم السابقة ستتكرر.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على ألا يغتروا بالنعم: نعلم الطفل: لا تظن أن صحتك أو بيتك أو مالك سيستمر إلى ا لأبد .الذي أعطاك قادر على أن يأخذ.
· تربيتهم على الاستعداد للعذاب بالعمل الصالح: نربط بين الخوف من الخسف والحاصب وبين ضرورة الطاعة .الخوف المحمود باعث على العمل.
· تربيتهم على قراءة التاريخ: قصة قارون الذي خسف الله به الأرض، وقوم لوط الذين أرسل عليهم الحاصب، يجب أن تروى لهم ليعلموا أن العذاب ليس خرافة.

رابعاً: الرسائل العملية:

· عند الشعور بالأمان والغرور: قل لنفسك: هل أنا آمن من أن تخسف بي الأرض؟ استغفر الله وتواضع.
· عند رؤية زلزال أو عاصفة أو بركان: تذكر هذه الآية، وخذ العبرة، وتب إلى الله .فما هذه الظواهر إ لا تذكير بقدرة الله على إرسال الحاصب والخسف.
· في التخطيط للحياة: لا تبني حياتك على أن الدنيا باقية .ابن للآخرة، واستعد ليوم لا ينفع مال ولا بنون.
· في الدعاء: قل: "اللهم إني أعوذ بك أن تخسف بي الأرض، أو ترسل علي حاصباً، أو تمسخني".

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآيات

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "كسر الأمن": كل يوم، لمدة دقيقة، توقف وتخيل أن الأرض التي تقف عليها بدأت تمور وتضطرب .قل بقلبك: "يا رب، أنا خائف من عقابك، فأجرني" .هذا يبقي الخوف حياً.
.2تمرين "تذكرة الحاصب": انظر إلى السماء .تخيل أن تأتي سحابة سوداء فجأة تمطر حجارة أو رماداً .قل: "اللهم إني أعوذ بك من عذابك النازل من السماء".
.3تمرين "النذير": تذكر أن كل آية في القرآن هي نذير .قل: "يا رب، بلغني نذيرك، فاغفر لي وتجاوز عني".

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآيات في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما تشعر بثبات الأرض واطمئنانك عليها .توقف وقل: هذه النعظة قد تزول في ثانية .اللهم لا تؤاخذني بما فعل السفهاء.
· الوقفة الثانية: عندما ترى في الأخبار زلزالا ً أو فيضانات تخسف بالأرض .لا تمررها مرور الكرام . قل: هذا تذكير من الله .ارجع إليه وتوب.
· الوقفة الثالثة: عندما تهب ريح قوية) إعصار، عاصفة .(تذكر الحاصب .اخش الله، وتضرع إليه.
· الوقفة الرابعة: عندما تسمع آيات الوعيد في القرآن .لا تقل "لن تصيبنا" .بل قل "نعوذ بالله" . استشعر الخوف والرجاء.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "أأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ" : اسأل نفسك: هل أنا آمن حقا؟ً هل أمنت من مكر الله؟ مكر الله أشد من هذا .تب وضع خوفك بين يديه.

· عند قراءة "أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ" : اسأل نفسك: ما الذنوب التي قد تكون سبباً للخسف؟ الظلم، الكبر، أكل أموال الناس .أقلع عنها الآن.
· عند قراءة "فَإِذَا هِيَ تَمُورُ" : تخيل هذا المشهد .عشه بقلبك .لا تكن غافلا ً.
· عند قراءة "أَمْ أَمِنْتُمْ ...حَاصِبًا" : اسأل نفسك: هل استهنت بالعقوبات السماوية؟ تب وارجع.
· عند قراءة "فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ" : اسأل نفسك: هل سأنتظر حتى يأتي العذاب لأتعلم؟ لا، سأتعلم ا لآن، فأتوب وأستغفر.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: الأمن من مكر الله من أكبر الكبائر.
· التطبيق: اجعل بينك وبين المعاصي حاجزاً من الخوف، ولا تقل "الله غفور رحيم" فقط، بل قل "إن بطش ربك لشديد".
· الدرس الثاني: الأرض ليست دار قرار، بل دار امتحان يمكن أن تبتلعك في أي لحظة.
· التطبيق: لا تركن إلى الدنيا، ولا تطمئن إليها .كن مستعداً للرحيل في أي ثانية.
· الدرس الثالث: التاريخ يعيد نفسه، والعذاب نازل على المكذبين.
· التطبيق: اقرأ قصص الأمم السابقة، واعتبر بها، ولا تكن مثلهم.
· الدرس الرابع: النذير الإلهي كافٍ لمن يعقل، فالعاقل يتعظ قبل وقوع العذاب.
· التطبيق: إذا سمعت آية تخويف، فتحرك فوراً .لا تؤجل التوبة.

الأمر الخامس: كيف تغير الآيات نظرتنا للحياة؟

.1من الغفلة إلى اليقظة الدائمة: لن تعيش حياتك كأنك مضمون البقاء .كل لحظة ستذكر أن العذاب قد يأتي فجأة.
.2من الأمن إلى الخوف المثمر: الخوف من الله سيصبح دافعاً للطاعة، لا شللا ً للحركة.
.3من التعلق بالأرض إلى التجرد منها: الأرض لم تعد سجناً أو ملجأً، بل هي مجرد ممر قد ينقلب عليك.
.4من الاستهتار بالآيات إلى الاعتبار بها: كل حدث طبيعي) زلزال، إعصار (سيكون درساً وعبرة، لا مجرد خبر عابر.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآيات

· المهارات المعرفية:
· مهارة التمييز بين "الأمن المحمود") الأمن من شرك الناس (و"الأمن المذموم") الأمن من عذاب الله.(
· مهارة الاستدلال بالأمم السابقة على حقيقة العذاب.
· مهارة قراءة الظواهر الطبيعية كآيات تخويف وتذكير.
· المهارات النفسية:
· مهارة إدارة الخوف: تحويل الخوف المرضي إلى خوف نافع محمود.
· مهارة كسر الغرور: عدم الاغترار بالصحة والمال والقوة.
· مهارة الاستعداد للطوارئ الإيمانية: التوبة والاستغفار كرد فعل سريع على الخوف.
· المهارات العملية:
· مهارة الدعاء عند الخوف: الأدعية المأثورة عند رؤية الرياح والزلازل.
· مهارة التوبة الفورية: عند قراءة آية وعيد، بادر بتوبة نصوح.
· مهارة الاعتبار: استخراج العبر من الحوادث.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآيات

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآيات

· البعد الجيولوجي) الطبيعي(: الإشارة إلى ظاهرة خسف الأرض) الزلازل والانهيارات الأرضية (والإ رسال الحاصب) الرياح العاتية والبراكين .(الآية تحفز على دراسة هذه الظواهر كآيات كونية.
· البعد التاريخي) الحضاري(: ذكر سنن الله في إهلاك الأمم بالخسف والحاصب، وهذا يفتح مجالا ً لدراسة تاريخ الأمم القديمة.
· البعد النفسي) التربوي(: بناء شخصية مؤمنة تجمع بين الرجاء والخوف، ولا تسقط في أحد

الطرفين.
· البعد السياسي) الأمني(: توبيخ المجتمعات التي تشعر بالأمان الزائف بسبب قوتها العسكرية أو الا قتصادية، وتذكيرها بأن من في السماء أقوى منها جميعاً.

الأمر الثاني: القيم من الآيات

· قيمة الخوف من الله: كأساس للعبادة والطاعة.
· قيمة التواضع: وعدم الاغترار بالنعم.
· قيمة اليقظة: وعدم الغفلة عن قدرة الله.
· قيمة الاعتبار بالتاريخ: وأخذ الدروس من الماضين.
· قيمة الاستعداد الدائم: للموت والعذاب.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآيات في حياتنا العملية

· مفهوم "من في السماء": إثبات علو الله واستوائه، وأن قدرته نافذة من فوق.
· مفهوم "الخسف": أن الأرض التي هي رمز الثبات يمكن أن تصبح رمزاً للعذاب.
· مفهوم "المور": الاضطراب التام الذي ينقلب فيه الأمن فزعاً.
· مفهوم "الحاصب": العذاب المفاجئ من جهة كانت تظن أنها مصدر الرحمة) السماء.(
· مفهوم "النذير": القرآن كله نذير لمن يعتبر.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآيات

· تربوياً:
· مفهوم "التربية بالخوف": استخدام الخوف من العقاب كأداة تربوية في مراحل معينة، خاصة مع الغافلين.
· مفهوم "ربط النعمة بالنقمة": لئلا يغتر الطفل بالنعمة.
· نفسياً:
· مفهوم "الصدمة الإيجابية" : الآية تصدم النفس لتنبيهها.
· مفهوم "إدارة الرهاب" : توجيه الخوف الطبيعي من الكوارث نحو الخوف من الله، لا الرعب المرضي.
· فكرياً:
· مفهوم "السنن الإلهية" في العقاب: أن العذاب ليس عشوائياً بل رديف للتكذيب.
· مفهوم "عدل الله": أن من ينذر ثم يعذب، فقد أقام الحجة.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "متيقظ خائف" لا "غافل آمن" .إنسان يخشى الله في سره وعلنه، ويستعد للعذاب قبل نزوله، ويعتبر بالآيات .هذا هو الإنسان الواعي الذي لا تنخدع بالدنيا.
· تنمية المجتمع: مجتمع لا يستند إلى الأمن المادي فقط، بل إلى الأمن الإيماني .مجتمع يخاف من زوال النعم بسبب الذنوب، فيسارع إلى التوبة والاستقامة .هذا المجتمع أقدر على الصمود أمام الأ زمات.

الأمر السادس: دور الآيات في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الأمن المطلق" إلى عقل "الخوف المحمود" .هذا يمنع الكسل و الغرور، ويحفز على العمل الدؤوب خشية زوال النعم.
· نفسياً: بناء إنسان لا يستكين إلى الدنيا، بل يظل في حالة من التأهب والاستعداد .هذا يقلل من الصدمات النفسية عند وقوع الكوارث.
· فكرياً: تأسيس فكرة أن "الزلازل والبراكين" ليست مجرد ظواهر طبيعية، بل آيات تحمل رسائل ربانية .هذا يمنع الإلحاد العلمي الذي يقول إنها مجرد صدف.
· صناعة النهضة: أي نهضة حقيقية تبدأ بالخوف من زوال النعمة .الشعوب التي تغتر بقوتها وتأمن مكر الله تنهار .والشعوب التي تخشى الله وتعتبر بآياته تبني حضارة مستدامة، لأنها تعلم أن الاستقرار ليس أبدياً، فتحافظ عليه بالشكر والطاعة.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآيات في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "التوبة الجماعية" عند حدوث الكوارث الطبيعية) الزلازل، الأعاصير .(لا نمر عليها كأخبار فقط، بل نعلن التوبة والاستغفار.
· تدعونا إلى "تطوير أنظمة الإنذار المبكر" ليس فقط مادياً، بل روحياً: أيام التحذير والوعظ قبل وقوع العذاب.
· تدعونا إلى "مراجعة حساباتنا الفردية والجماعية" متى شعرنا بالأمان والاستقرار .لا نأمن مكر الله.
· تدعونا إلى "إدخال آيات الوعيد" في المناهج التربوية، لتكوين شخصية متوازنة لا تعرف النعم فقط، بل تعرف النقم أيضاً.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند الاستيقاظ آمناً: قل: "الحمد لله الذي لم يخسف بي الأرض، ولم يرسل علي حاصباً .رب أجرني من عذابك".
· عند رؤية زلزال أو عاصفة في التلفاز: لا تشاهد فقط، بل ادعُ للمتضررين، وتب إلى الله، وقل: "هذا نذير، اللهم سلمنا وارحمنا".
· عند الشعور بالتكبر أو الأمان من الذنوب: قل لنفسك: "أأمنت من في السماء؟" ثم استغفر.
· عند السفر بالطائرة أو السيارة: استحضر أنك تحت قدرة من في السماء، وادعُ بدعاء الركوب: "سبحان الذي سخر لنا هذا ...وإنا إلى ربنا لمنقلبون".

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآيات في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: عند تدريس الجيولوجيا) الزلازل (والأرصاد) الأعاصير(، نربطها بالآية: هذه الظواهر هي آيات خسف وحاصب، تذكرنا بقدرة الله وتحذرنا من الكفر.
· في الإعلام: صناعة برامج وثائقية عن "عذاب الأمم السابقة") قارون، قوم لوط (بعنوان "الخسف و الحاصب"، واستخلاص الدروس للمجتمعات المعاصرة.
· في المساجد: عند وقوع أي كارثة طبيعية في أي مكان في العالم، تقام صلاة الاستسقاء أو صلاة الخوف، وتُخطب خطبة تذكير بهذه الآيات، وتُدعى الأمة للتوبة.
· في التخطيط العمراني: أن تُبنى المدن مع الأخذ في الاعتبار إمكانية الخسف والزلازل، ليس فقط بهندسة مقاومة، بل بقلوب خاشعة لا تغتر بالأبنية الشاهقة .مع تخصيص أيام للتدريب على الإخلاء الروحي) التوبة (والمادي.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

الآية السابقة قالت لك "جعل لكم الأرض ذلولا ". فاطمأننت، وسرت، وأكلت، ونسيت. نسيت أن الذي أعطاك قادر على أن يأخذ. نسيت أن الذي سخرها لك قادر على أن يسخرها عليك.

فجأة، تأتي هذه الآية كصاعقة: "أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"

أأمنت يا قلب؟ كيف تأمن ومن فوقك قاهر جبار؟ كيف تأمن والزلزال لا يستأذن؟ كيف تأمن والإ عصار لا يعرف المواعيد؟

أأمنت من الذي بيده ملكوت السماوات والأرض؟ أأمنت وهو القائل "إذا أردنا شيئاً أن نقول له كن فيكون"؟

ثم تنتقل بك الصاعقة الثانية: "أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ"

نعم، نفس الأرض التي كنت تمشي عليها بكل ثقة، قد تأمرها فتنقلب عليك. تبتلعك أنت وبيتك وكل ما تملك. في لحظة، تصبح تحت أقدام الآخرين، وهم يمشون على قبرك دون أن يعلموا.

"فَإِذَا هِيَ تَمُورُ"

تضطرب كالسفينة في بحر هائج. الجبال تتمايل، المباني تتهاوى، والأرض تخرج ما في جوفها. فجأة، يختفي الأمن، ويحل محله الرعب. لا ملجأ من الله إلا إليه.

ثم لا يكتفي بذلك، بل يقول: "أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاء أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا"

عذاب من السماء. حجارة تحرق، ريح تجرف، رماد يخنق. الجهة التي كنت ترجو منها المطر والرحمة، تأتيك بالدمار. لا سماء أمنت عليك، ولا أرض أقلتك.

ثم الخاتمة المخيفة: "فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ"

ستعلمون يا قلب، حين يحل بكم العذاب. ولكن يومها، لن ينفع العلم. سيأتي الندم متأخراً. ستعلم أن الله كان حقاً، وأن الرسول كان صادقاً، وأن القرآن نذير مبين. ولكن بعد فوات الأوان.

يا قلب...

لا تنتظر حتى ترى الخسف بعينك. لا تنتظر حتى يهب الحاصب. استيقظ الآن. اخش الله الآن. تب ا لآن. فالآن وقت النذير، وقبل أن يحين وقت "ستعلمون".

ثانيا

تفسير قوله تعالى

{وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} (الملك: 18)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآيتان السابقتان (16-17) كانتا تهديداً مباشراً للمشركين المعاصرين للرسول ﷺ، حيث استفهما استفهام إنكاري: {أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاء أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ... أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاء أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا}. والآن تأتي هذه الآية لتؤكد هذا التهديد وترسخه في النفوس بطريقة غير مباشرة ولكنها أشد إيلاماً. تقول الآية: ليس الأمر مقتصراً على تحذيركم أنتم فقط، بل الأمم من قبلكم كذبوا رسلهم كما تكذبون، فأنزلنا بهم العذاب. فإذا كنتم تشكون في وقوع العذاب بكم، فانظروا إلى من كان قبلكم، وتذكروا كيف كان إنكاري عليهم وعقابي لهم. الآية تربط بين الحاضر والماضي، وتجعل من التاريخ الكوني حجة قاطعة على صدق الوعيد.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (التكذيب السابق): إخبار بأن الذين من قبل هؤلاء المشركين (الأمم الغابرة كقوم نوح، عاد، ثمود، قوم لوط، أصحاب مدين) قد كذبوا رسلهم كما يكذب هؤلاء.
· الفكرة الثانية (السؤال التقريري عن النكير): استفهام تقريري مرعب: "فكيف كان نكيري؟" أي كيف كان إنكاري عليهم وعقابي لهم بعد تكذيبهم؟ والمعنى: لقد كان شديداً ومؤلماً وماحقاً.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات سنة الله في الأمم: أن التكذيب يؤدي إلى العذاب والنكير. وترسيخ أن الله لم يترك الأمم المكذبة بغير عقاب.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على الاعتبار بالتاريخ وأخذ العظة من هلاك الأمم السابقة، وعدم الا غترار بالعزة المؤقتة.
· الهدف النفسي: علاج التعنت والجدال العقيم، وذلك بضرب المثل بالأمم السابقة. وزرع الخوف في قلوب المكذبين من أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك.
· الهدف المعرفي (المنهجي): تأسيس منهج "الاعتبار بسنة الله في الأمم" كأداة لفهم الحاضر والتنبؤ بـ المستقبل. وإثبات أن التاريخ يعيد نفسه.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

.1تحليل الألفاظ:

· "وَلَقدْ" : الواو للاستئناف أو العطف على ما سبق، واللام لقسم محذوف، وقد للتحقيق. أي: والله لقد تحقق وتأكد أن الذين من قبل كذبوا.
· "كذّبَ" : بصيغة الماضي، والفعل "كذّب" (بالتشديد) يدل على التكذيب المستمر والمبالغ فيه، أي كذبوا الرسل والآيات تكذيباً شديداً.
· "الذِينَ مِنْ قبْلِهِمْ" : إشارة إلى الأمم السابقة على قريش والمشركين العرب. "من قبلهم" أي قبل هؤلاء المشركين المعاصرين للرسول ﷺ.
.2المغزى من ذكر التكذيب السابق:
· إقامة الحجة التاريخية: ليس أنتم أول من كذب، فهذه عادة الأمم الضالة.
· قطع العذر: لا تقولوا "لو جئتنا بعذاب لآمنا"، فقد جاء العذاب للأمم السابقة ولم يؤمنوا بعد أن جاءهم.
· المواساة للرسول ﷺ: عزاء له بأنه ليس أول رسول يُكذّب.

المحور الثاني: تحليل {فَكيْفَ كانَ نكِيرِ}

.1تحليل الألفاظ:
· "فَكيْفَ" : الفاء للتعقيب على التكذيب، و"كيف" اسم استفهام للتقرير والتعجيب والتهديد، لا للسؤال الحقيقي عن صفة النكير، بل لتقرير شدته. المعنى: فكيف ظننتم وبأي شيء وصفتم نكيري؟ أي هو أمر عظيم مخيف.
· "كانَ" : فعل ماض ناقص، يفيد التحقق والوقوع.
· "نكِيرِ" : مصدر من أنكر، والنكير هو الإنكار والعقاب الشديد. "نكِيرِ" مضاف إلى ياء المتكلم، أي إنكاري عليهم. والنكير هنا يشمل: التغيير المفاجئ للحال، وإحلال النقمة محل النعمة، والإهلاك بعد الإمهال.
.2البلاغة في الإضافة:
قال "نكِيرِ" وليس "عذابي" أو "بطشي". لأن "النكير" يحمل معنى الإنكار، أي إنكار الله على الكافرين أعمالهم ومعصيتهم، وذلك أبلغ من مجرد العذاب. فهو عقاب جاء متضمناً للتوبيخ واللوم و النفي للمنزلة.
.3تقرير الجواب:
الجواب التقديري لـ "كيف كان" هو: كان شديداً، عظيماً، أليماً، محقاً. كما قال في آيات أخرى: {فَكيْفَ كانَ عَذابِي وَنذُرِ} (القمر: 16). فقد أغرقنا قوم نوح، وأرسلنا على عاد ريحاً عقيمًا، وأخذنا ثمود بالصيحة، وقلبنا قوم لوط، وأصحاب مدين عذاب يوم الظلة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآيه :

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج التعنت والجدال العقيم: الإنسان المعاند إذا جادلته بالمنطق المباشر قد يزداد عناداً. الآية تحول مسار الحوار من الجدال إلى "انظر إلى التاريخ". هذا يضعه أمام حقائق ملموسة لا يقدر على إنكارها، فينكسر داخلياً. تزرع "التواضع الفكري" الذي يجعله يقبل العبرة.
· كسر الشعور بالاستثناء: كل أمة كذبت ظنت أنها استثناء، وأن العذاب لن يصيبها. الآية تحطم هذا الوهم: هم من قبلكم كانوا أقوى منكم وأكثر أموالا ً وأولاداً، ومع ذلك حل بهم نكيري. فلا تظنوا أنكم أفضل منهم.
· توليد "الخوف التاريخي": ليس خوفاً من أسطورة، بل خوفاً قائماً على وقائع حدثت. الإنسان عندما يعلم أن عاداً وثموداً قد هلكوا بالريح والصيحة، وأن قارون خسفت به الأرض، يدرك أنه ليس محصناً من مثل هذا.
· المواساة للمؤمن من حزن التكذيب: المؤمن قد يحزن عندما يكذبه الناس. الآية تقول له: لا تحزن، هؤلاء ليسوا بدعاً من الرسل، فكل الأمم السابقة كذبت، وكان العاقبة للمتقين. هذا يريح نفسه.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان بالاستقراء التاريخي: الآية تقدم برهاناً عقلياً قائماً على الاستقراء: كل الأمم السابقة التي كذبت أهلكها الله. وهذه أمة تكذب. إذاً، سيهلكها الله. هذا قياس منطقي قاطع لمن يعقل.
· الرد على من ينكر وقوع العذاب: يقول المنكرون "لم نر عذاباً". الآية ترد: لقد رآه غيركم، وهذه آثارهم باقية. إنكار الشيء لا يعني عدم وجوده. العقاب سنة ماضية لا تتخلف.
· إثبات حكمة الله وعدله: الله لم يهلك الأمم إلا بعد تكذيبهم وبلوغ الحجة. ونكيري كان على قدر تكذيبهم. هذا يثبت أن الله ليس ظلاماً للعبيد.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على الاعتبار بالتاريخ: نعلمهم قصص الأمم السابقة (عاد، ثمود، فرعون) ليس كقصص للتسلية، بل كدروس وعبر. نربط بين "كذبوا" و"فكيف كان نكيري".
· تربيتهم على ألا يغتروا بقوتهم: عندما يشعر الطفل بالقوة أو الغنى أو الجاه، نذكره بقوم عاد الذين كانوا أقوى أجساداً، فدمرهم الله بريح. نغرس فيه التواضع.
· تربيتهم على المسؤولية الجماعية: الآية تخاطب "الذين من قبلهم" كأمم، لا كأفراد. نعلم الطفل أن المجتمع إذا كذب وعصى، فقد يحل به العذاب العام، فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في قراءة التاريخ: عندما تقرأ عن حضارة انهارت أو أمة زالت، لا تمر مرور الكرام. توقف واسأل: ما هو "نكير" الله عليهم؟ وما هي الذنوب التي فعلوها؟ ثم تب إلى الله من تلك الذنوب.
· في السفر والتنقل: إذا مررت بآثار قوم أو مدن خربة، تذكر هذه الآية، وقل: "هذا من نكير الله". واستغفر وتوب.
· في الدعوة إلى الله: استخدم المنهج التاريخي في دعوتك. قل للمعاند: "انظر إلى ما حل بالأمم السابقة التي كذبت، كيف كان نكير الله؟". هذا أقوى من الجدال النظري.
· في تربية النفس: اجعل لنفسك جلسة أسبوعياً لتتذكر "نكير الله" في التاريخ. اقرأ سوراً مثل "الحاقة" و"القمر" و"الذاريات" و"ن" وتأمل فيها أحوال الأمم السابقة.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "زيارة الآثار بالقلب": مرة أسبوعياً، اجلس وأغمض عينيك .تخيل أنك ترى قوم عاد وهم يصرخون والريح تقتلعهم، وقوم ثمود وهم يتساقطون مع الصيحة .قل: "اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وأجرنا من نكيرك".
.2تمرين "مراجعة الذنوب التاريخية": اسأل نفسك: ما الذنوب التي حل بها النكير على الأمم السابقة؟ الشرك، التكذيب، الطغيان، الفساد .ثم تخلص منها في حياتك اليومية.
.3تمرين "كيف كان نكيري": عندما يمر يوم عصيت فيه الله، قل في نفسك: "لو أن الله عاجلني بنكير كما عاجل الأمم السابقة، أكنت باقياً؟" ثم بادر بالتوبة.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما ترى مجتمعاً يعيث فيه الفساد وتُنتهك حرمات الله. توقف وتذكر "ولقد كذب الذين من قبلهم". ثم ادعُ الله بالسلامة، وانه عن المنكر.
· الوقفة الثانية: عندما تقرأ خبراً عن زلزال أو فيضان أو حرب دمرت مدينة. تذكر أن هذه قد تكون نموذجاً مصغراً من "نكير الله". خذ العبرة.
· الوقفة الثالثة: عندما تشعر بأن الناس يكذبونك ويستهزئون بدعوتك الصادقة. تذكر أن الرسل من قبلك قد كذبوا أيضاً، وكان نكير الله أليماً. فاصبر واثبت.
· الوقفة الرابعة: عندما تغتر بنعمة الله (صحة، مال، شباب) وتظن أنها حصن لك من العذاب. تذكر ثمود الذين كانوا ينحتون الجبال بيوتاً آمنين فأخذتهم الصيحة.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ" : اسأل نفسك: هل أنا أقل ذنوباً من أولئك؟ هل أنا على يقين أنني لن أصيب بما أصابهم؟ حينها ستزداد خشيتك.
· عند قراءة "فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ" : توقف وتأمل. تخيل نفسك مكانهم. قل: "يا رب، إن نكيرك شديد، فأجرني ولا تؤاخذني بما فعلت". ثم اسأل: كيف أتجنب نكيره؟ بطاعته واجتناب معاصيه.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: التكذيب بالرسل والقرآن هو جريمة كبرى تستحق النكير الشديد.

· التطبيق: احترم الرسل والكتب وأهل العلم، ولا تستهن بتكذيب أي نبي. وعظم أمر الله.
· الدرس الثاني: التاريخ مليء بالعبر، ومن لا يعتبر به يهلك كما هلك من قبله.
· التطبيق: اقرأ كتب التاريخ (القصص القرآني خصوصاً) بتدبر، وخصص وقتاً أسبوعياً لدراسة سير الأمم السابقة.
· الدرس الثالث: سنة الله لا تتغير، ولا تفرق بين أمة وأمة.
· التطبيق: إذا رأيت ذنباً منتشراً في مجتمعك، لا تقل "هذا شأنهم ولن يصيبنا"، بل احذر وانه عن المنكر وتوب.
· الدرس الرابع: الله يمهل ولا يهمل، فإذا جاء نكيره لا يرد.
· التطبيق: لا تستبطئ العذاب على الظالمين، بل اعلم أن الله قد أمهلهم لحكمة، ولكن إذا جاء نكيره لا محيد عنه.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من النظرة السطحية للأحداث إلى النظرة التاريخية العبرية: لن تنظر إلى انهيار حضارة أو هلاك أمة على أنه مجرد حدث عادي، بل ستراه "نكيراً" من الله، فتستخلص العبر.
.2من الغفلة عن سنة الاستدراج إلى اليقظة بها: ستدرك أن تأخر العذاب ليس إهمالاً، بل إمهالاً واستدراجاً، فيزداد خوفك.
.3من الشعور بالأمان الزائف إلى الشعور بالخوف المحمود: الأمن من مكر الله سيتحول إلى خوف يدفعك للطاعة.
.4من التعنت والجدال إلى التواضع والاعتبار: ستتوقف عن قول "لم يحدثنا آباؤنا بعذاب" وستنظر إلى آثار الأمم السابقة بعين العبرة.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "الاستدلال التاريخي": القدرة على بناء حجة عقلية من التاريخ.
· مهارة "التمييز بين الإمهال والإهمال": معرفة أن تأخر العقاب ليس معناه عدم وقوعه.
· مهارة "تطبيق السنن الإلهية على الواقع": رؤية أحداث اليوم في ضوء قصص الأمم السابقة.
· المهارات النفسية:
· مهارة "تحويل الخوف من المجهول إلى خوف مسبب": بدلاً من الخوف من الأشياء الغامضة، تخاف من الأسباب الحقيقية (التكذيب، الطغيان).
· مهارة "الاعتبار": القدرة على استخراج العبرة من تجارب الآخرين (الأمم السابقة).
· مهارة "الصبر على الأذى": المواساة بأن من قبلك قد كذبوا فصبرت.
· المهارات العملية:
· مهارة "قراءة التاريخ القرآني": تخصيص وقت لتدبر قصص الأمم في القرآن.
· مهارة "زيارة الآثار بنية الاعتبار": عند السفر، تذكر الآيات في المواقع التاريخية.
· مهارة "الدعاء بسلامة النكير": الدعاء "اللهم إني أعوذ بك من نكيرك".

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد التاريخي (الحضاري): ربط الحاضر بالماضي، وجعل التاريخ مادة للاستدلال. إثبات أن الأمم تموت بالتكذيب كما تموت الأفراد بالأمراض.
· البعد النفسي (التربوي): بناء عقلية "العبرة" لا "السخرية". وتربية الإنسان على التواضع والخشية.
· البعد العقدي (الإلهي): ترسيخ صفة "النكير" لله، وهي صفة فعلية، تدل على قهره لعباده المكذبين.
· البعد المنهجي (الإبستمولوجي): تأسيس منهج الاستقراء التاريخي كدليل عقلي على وجود الله وصدق رسله.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة الاعتبار: أخذ الدروس من الماضي.
· قيمة الخوف من الله: الموجب للطاعة.
· قيمة التواضع: وعدم الاغترار بالعزة الظاهرة.

· قيمة الصبر على التكذيب: مواساة الرسول والمؤمنين.
· قيمة العدالة الإلهية: إثبات أن كل مكذب سيُنتقم منه.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "التكذيب": ليس مجرد قول "كذبت"، بل هو سلوك شامل يتضمن الاستهزاء، والصد عن السبيل، والجحود بالنعمة.
· مفهوم "النكير": ليس مجرد عذاب عادي، بل هو إنكار إلهي على العبد، أي إهانة وإذلال وإخراج من رحمة الله قبل العذاب المادي.
· مفهوم "الذين من قبلهم": يشمل كل الأمم السابقة، مما يعطي الحجة شمولية وقوة.
· مفهوم "كيف كان": أسلوب بلاغي للتخويف والتعظيم، لا للسؤال الحقيقي.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "التربية بالتاريخ": استخدام قصص الأمم السابقة كأدوات تربوية.
· مفهوم "مسؤولية الأجيال": أن الجيل الحامل للرسالة عليه أن يعتبر بأخطاء من سبقه.
· نفسياً:
· مفهوم "التعزيز بالمخاوف المشتركة": الخوف من أن يحل بنا ما حل بغيرنا هو دافع قوي لتعديل السلوك.
· مفهوم "نظرية التعلم الاجتماعي" الإسلامية: التعلم من تجارب الآخرين (الأمم) لا من تجارب الفرد فقط.
· فكرياً:
· مفهوم "السنة الإلهية في الأمم": أن التكذيب يؤدي حتماً للهلاك إذا لم يتب.
· مفهوم "حتمية العقاب التاريخي": لا يمكن لأي أمة أن تشذ عن هذه القاعدة.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "معتبر" لا "غافل". إنسان يقرأ التاريخ ليصنع المستقبل، ولا يكرر أخطاء الماضين. إنسان يخاف "نكير الله" في نفسه وفي مجتمعه، فيسعى للإصلاح. هذا هو الإنسان الواعي الحضاري.
· تنمية المجتمع: مجتمع يربط نهضته بالاعتبار بتاريخ الأمم السابقة، فيتجنب أسباب الهلاك (التكذيب، الفساد، الظلم)، ويأخذ بأسباب البقاء (الإيمان، التوحيد، العدل، الاستقامة). لا تنمية مستدامة بدون وعي تاريخي.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "النظرة الحاضرة المنعزلة" إلى عقل "النظرة التاريخية المتصلة". الإنسان لا يرى نفسه منعزلاً عن الماضي، بل جزء من سلسلة طويلة من الأمم التي قامت وسقطت. هذا يوسع أفقه.
· نفسياً: بناء "شخصية متواضعة خائفة" لا "متعالية آمنة". العبرة تقتل الغرور وتزرع التواضع، و التواضع هو بداية التعلم والنهضة.
· فكرياً: تأسيس "فلسفة التاريخ" الإسلامية القائمة على السنن الإلهية. كل انهيار حضاري له سبب (التكذيب)، وكل نهضة لها شرط (الإيمان والتقوى).
· صناعة النهضة: لا يمكن لأمة أن تنهض وهي غافلة عن أسباب انهيار الأمم قبلها. الآية تدعو لـ"علم السنن التاريخية". من أراد النهضة فعليه أن يدرس قصص الأمم السابقة في القرآن، ويستخلص قوانين البقاء والعطاء، ويتجنب قوانين الفناء والدمار. فكل أمة كذبت فقد حلت بها الهزيمة من داخلها قبل خارجها.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "مراجعة التاريخ بمنهج قرآني": ليس قراءة القصص فقط، بل تحليل أسباب الهلاك، وتطبيقها على واقعنا.

· تدعونا إلى "إقامة متاحف العبر": زيارة آثار الأمم السابقة بنية الاعتبار، لا بنية السياحة اللهو.
· تدعونا إلى "خطاب دعوي تاريخي": مخاطبة الناس بسنن الله في الأمم السابقة، لعلهم يعتبرون.
· تدعونا إلى "التوبة الجماعية" عندما تتفشى ذنوب الأمم السابقة في مجتمعنا.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند قراءة الأخبار عن حروب أو زلازل: قل: "هذا تذكير بنكير الله. اللهم اجعلنا من المعتبرين".
· عند السفر وزيارة المدن الأثرية: لا تنسَ هذه الآية، وادعُ الله أن لا يحل بنا مثل ما حل بهم.
· عند مشاهدتك لفيلم تاريخي عن حضارة انهارت: تدارس الأسباب، وتوب إلى الله مما تراه من ذنوب.
· عند وقوع خلاف مع مكذب: لا تجادل كثيراً، فقط قل له: "انظر إلى ما حل بالأمم قبلكم، كيف كان نكير الله؟".

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدخال مناهج "السنن التاريخية في القرآن" في الجامعات، وتدريس أسباب انهيار الحضارات (مثل عاد، ثمود، فرعون) كمواد أساسية في التاريخ والقيم.
· في الإعلام: صناعة أفلام وثائقية مؤثرة بعنوان "كيف كان نكيري؟"، تستعرض عقوبات الأمم السابقة بأسلوب بصري حديث، ثم تدعو المشاهد للاعتبار.
· في المساجد: تخصيص خطب الجمعة في المناسبات (كالزلازل أو الحروب) لتذكير الناس بالأمم السابقة، وربط الذنوب المعاصرة بالهلاك القديم.
· في القيادة السياسية والمجتمعية: تحليل الأخطاء التي وقعت فيها الأمم السابقة (كالكبر، والظلم، و الفساد الاقتصادي) والعمل على تجنبها، مع الاعتراف بأن الحصانة ليست لقوة السلاح بل لرضا الله.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

لطالما شعرت بالخوف من المستقبل المجهول. خفت من الزلازل، من الحروب، من الفقر، من الموت. خفت مما قد يأتي بغتة. وكثيراً ما أتتك الأصوات تقول: "لا تخف، فالأرض ثابتة، والسماء مرفوعة، وأنت في أمان".

ثم جاءت الآيات السابقة لتهزك: "أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض؟". فأيقظتك.

والآن تأتي هذه الآية لتكمل: أيها القلب، لست أول من خاف، وليس خوفك من المجهول فقط. بل هناك حقائق تاريخية مؤكدة: {وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} .

نعم، من قبلك يا قلب. كان هناك أقوى منك، وأكثر مالا ً، وأطول عمراً. أمنوا، وتكبروا، وكذبوا. فقالوا: "نحن أكثر أموالا ً وأولاداً وما نحن بمعذبين". فماذا حدث؟

اسأل التاريخ. اسأل عاداً التي بنت الأعمدة. اسأل ثموداً التي نحتت الجبال بيوتاً. اسأل فرعون الذي قال "أنا ربكم الأعلى". اسأل قارون الذي خرج على قومه في زينته.

{فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}

كيف كان إنكاري عليهم يا قلب؟ كان شديداً. أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً عاتية، وصيحة واحدة فإذا هم خامدون، وخسفنا بهم الأرض، وأغرقناهم أجمعين.

يا قلب...

لا تظن أنك لأنك مؤمن بالله، أو لأنك في عصر التكنولوجيا، أو لأنك في بلد قوي، أنك في مأمن من نكير الله. سنة الله لا تتبدل. إذا كذب الناس كما كذب الأولون، حل بهم ما حل بالأولين.

لا تنتظر حتى ترى النكير بعينك. اعتبارك بما حدث لغيرك يكفيك. قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} (يوسف: 109).

فَسِرْ يا قلب في الأرض بقلبك قبل رجليك. انظر إلى آثارهم. لا تسخر، بل اعتبر. وقل: "يا رب، أنا أؤمن بنذيرك، وأخاف نكيرك، فتقبل توبتي، واغفر لي، واعصمني من أن أكون ممن يكذبون فيحل بهم نقمتك".

ولتعلم أن خوفك هذا ليس ضعفاً، بل هو قوة.
الضعيف من أمن مكر الله.
والقوي من خاف نكير الله فاستعد له بطاعته.
القسم الرابع
اولا

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ} (الملك: 19)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

1.ارتباط الآية بما قبلها:

بعد أن حذرت الآيات السابقة المكذبين بالعذاب النازل من السماء (الحاصب) أو من الأرض (الخسف)، وبعد أن ذكرتهم بسنة الله في الأمم السابقة من النكير، تنتقل الآية الآن إلى أسلوب آخر من الإقناع: أسلوب النظر والتأمل في مشهد كوني قريب ومألوف، وهو الطير. الآيات السابقة كانت تركز على التهديد والوعيد، وهذه الآية تركز على الاستدلال بقدرة الله ورحمته (الرحمن) من خلال خلق الطير وتسخيره. فمن كان أعمى عن رؤية آيات الله في عذابه، فلينظر إلى آياته في رحمته وتدبيره. وهي دعوة للانتقال من الخوف إلى التفكر، ومن الإنكار إلى الإقرار بالوحدانية.

2.الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (الأمر بالنظر إلى الطير): استفهام تقريري وتوبيخي: "أَوَلَمْ يَرَوْا" أي ألم ينظروا ويتفكروا في خلق الطير الذي يطير فوقهم؟
· الفكرة الثانية (وصف حال الطير): الطير يكون أحياناً "صافات" (باسطاً أجنحته في الهواء)، وأحياناً "يقبضن" (يضم أجنحته ليندفع أو ينزل). هذه الحركة الدقيقة هي آية.
· الفكرة الثالثة (بيان المسكن الحقيقي): "مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ" أي لا أحد يحفظها من السقوط في الهواء سوى الله الرحمن.
· الفكرة الرابعة (ختام الآية): "إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ" أي أنه يرى كل شيء، فيعلم بحال الطير وحالكم.

3.أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات توحيد الربوبية من خلال الاستدلال بآية كونية واضحة (الطير)، وإثبات صفة البصر لله (بصير) وإثبات اسمه "الرحمن".
· الهدف التربوي: تدريب المؤمن على "النظر التأملي" في المخلوقات، ورؤية قدرة الله في كل شيء، وربط المشهد الطبيعي بالإيمان.
· الهدف النفسي: تهدئة الخوف الذي زرعته الآيات السابقة بلطف الرحمن، وتوجيه الانتباه من العذاب إلى النعمة والرعاية. إزالة الدهشة من قدرة الطير على الطيران، وإرجاعها إلى قدرة الله.
· الهدف المعرفي (المنهجي): تأسيس منهج "التفكر في خلق الله" كدليل عقلي على وجوده ووحدانيته، وتقرير أن العلم الحديث (كعلم الطيران والفيزياء) يكشف عن آيات الله لا عن إلهاء عنه.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ}

1.تحليل الألفاظ:
· "أَوَلَمْ يَرَوْا" : الهمزة للاستفهام التوبيخي، والواو للعطف، و"لم" للنفي، أي ألم ينظروا ويتفكروا؟

المعنى: كيف يعقل أن يغفلوا عن هذه الآية الواضحة؟
· "إِلَى الطَّيْرِ" : تعدية الفعل "رأوا" بحرف "إلى" لتفيد معنى النظر والتفكر والتأمل، وليس مجرد الرؤية البصرية. أي انظروا بعيون قلوبكم إلى الطير.
· "فَوْقَهُمْ" : فوق رؤوسهم في السماء. هذا القيد مهم، لأن الطير فوقهم مباشرة، في متناول أبصارهم، فلا عذر لهم في الغفلة.
.2المغزى من ذكر الطير تحديداً:
· الطير من أكثر المخلوقات إثارة للدهشة: فهي تطفو في الهواء بلا محرك، وتغير اتجاهاتها، وترتفع وتنخفض.
· الطير دليل على التحدي: كيف يبقى جسم ثقيل (نسبياً) عالقاً في الهواء؟ الجواب: بإمساك الرحمن.
· الطير دليل على الرزق: هي تخرج بكرة ورواحاً وترزق من حيث لا تحتسب.

المحور الثاني: تحليل {صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ}

.1"صَافَّاتٍ" : جمع صافة، وهي الطيور التي تبسط أجنحتها في الهواء ولا تحركها، فتبدو كالصفوف . هذه حالة الثبات في الطيران.
.2"يَقْبِضْنَ" : أي تقبض أجنحتها بعد البسط، للانقضاض أو الدفع أو الهبوط .وهي حركة تناوبية.
.3البلاغة في الجمع بينهما:
· لو كانت الطيور دائماً صافات لسقطت، ولو كانت دائماً قابضات لسقطت. فلا بد من التناوب الدقيق بين البسط والقبض.
· ذكر الحالين يدل على دقة الخلق وإحكام التدبير. وهما يمثلان نمطاً من أنماط الحياة: السكون والحركة، الثبات والاندفاع.

المحور الثالث: تحليل {مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ}

.1"مَا يُمْسِكُهُنَّ" : الإمساك هو الحفظ من السقوط .أي لا يوجد أحد يمنعهن من السقوط سوى الله.
.2"إِلَّا الرَّحْمَٰنُ" : هذا أسلوب حصر .والاسم "الرحمن" لم يأت صدفة .فهو المناسب لهذا السياق، لأن إمساك الطير في الهواء هو من تمام رحمته بالخلق .فهو يرحم الطير فلا يسقط، ويرحم من تحته فلا يقع عليه.
.3الرد على من يظن أن الطير تمسك نفسها بقوانين الطبيعة: الآية تؤكد أن القوانين الفيزيائية) ك الرفع الديناميكي الهوائي (هي مجرد أسباب ظاهرية، أما المسكِن الحقيقي فهو الله .فمن خلق الهواء وأجرى قوانينه هو نفسه الرحمن.

المحور الرابع: تحليل {إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ}

· الختم باسم "البصير" مناسب جداً، لأن النظر إلى الطير يستدعي بصيرة، ولأن الله يرى كل شيء، فيرى الطير في السماء، ويرى عباده على الأرض، ويرى من يشكر ومن يكفر.
· "بكل شيء" تعميم، فالطير جزء من "كل شيء". فالله يرى دقة حركاتها وقبضها وبسطها، ويرى أعمالكم أيضاً.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج الاغتراب عن الطبيعة : الإنسان المعاصر منشغل بالتكنولوجيا لدرجة أنه لا ينظر إلى السماء. ا لآية تعيد توجيه بصره إلى فوق، وتزرع فيه "الدهشة المقدسة" تجاه أبسط المخلوقات. هذا يحسن الصحة النفسية ويقلل الاكتئاب.
· علاج الشعور بالوحدة والعجز: عندما ترى طائراً صغيراً يطير في الفضاء الواسع، تدرك أن الذي أمسكه هناك قادر على أن يمسكك أنت أيضاً. يتحول الشعور بالوحدة إلى شعور بالرعاية الإلهية المستمرة.
· توليد "التوكل العملي" (ليس السلبي): الطير تغدو خماصاً (جائعة) وتروح بطاناً (شبعة). الآية تقول: الذي يمسكها في الهواء هو الذي يرزقها. فتوكل على الله، ولكن كما يطير الطير: ببسط جناح (عمل) وقبضه (راحة)، وبذل للجهد.
· الانتقال من الخوف إلى الأمان: الآيات السابقة كانت عن الخسف والحاصب (خوف)، وهذه الآية عن "الرحمن" الذي يمسك الطير. إنها رحمة وسط العذاب. الله يخوف ثم يلطف لئلا ييأس العبد.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان العقلي (من الطير إلى الخالق): الآية تقدم حجة عقلية مبهرة: الطير جسمه ثقيل ولا يطير بطبيعته. وجوده في الهواء يحتاج إلى قوة ترفعه وتحفظه. تلك القوة ليست فيه، ولا في الهواء وحده، بل هي من خالق الكون. هذا برهان "النظم" مصغراً.
· الرد على المادية والإلحاد: الذي ينكر وجود الله يقول إن الطير يطير بقوانين الطبيعة والفيزياء. الآ ية ترد: من وضع تلك القوانين وأجراها بهذه الدقة؟ ومن يحفظها من الاضطراب؟ الفيزياء تصف "الكيف" وليس "السبب النهائي". المسكِن هو الله.
· إثبات صفة البصر لله على وجه يليق به: "بصير" بكل شيء. هذا ينفي عنه العمى أو الغفلة. فعلمه وبصره محيطان.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على "التفكر" لا "النظر السطحي": عندما يرى الطفل طيراً، لا تكتفِ بأن تقول له "هذا عصفور". بل قل له: انظر كيف يبسط جناحيه ويقبضهما. تساءل: من يمسكه في الهواء حتى لا يسقط ؟ سيكون الجواب: الله الرحمن.
· تربيتهم على احترام الطبيعة والرفق بالحيوان: بما أن الله هو الذي يمسك الطير برحمته، فيجب علينا أن نكون رحماء به، ولا نؤذيه، ولا نصطاده لمجرد التسلية.
· تربيتهم على الجمع بين العلم والإيمان: عند دراسة الطيران في المدرسة، نربطها بهذه الآية. العلم يشرح كيف، والإيمان يشرح لمَن وبإذن من.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في حياتك اليومية، عندما ترى طيراً: توقف للحظة، ارفع رأسك، وتذكر هذه الآية. قل: "سبحان الذي أمسك هذا الطير بقدرته". هذا تدريب يومي على الذكر والتأمل.
· عند الشعور بالخوف من المستقبل أو السقوط (كالخوف من الفشل): تذكر أن الذي يمسك الطير في الهواء قادر أن يمسكك من السقوط. توكل عليه.
· في الدعاء: قل: "يا من تمسك الطير في الهواء، أمسكني من السقوط في المعاصي، ومن السقوط في الفقر، ومن السقوط في النار".
· في السفر بالطائرة: هذه الآية هي أفضل تذكير. أنت الآن كالطير فوق السحاب. ما يمسك هذه الطائرة التي تزن أطناناً إلا الرحمن. فاطمئن وادعُ.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "نظرة الطير اليومية": اجعل لنفسك دقيقة واحدة كل يوم، في وقت الظهيرة مثلا ً، تنظر فيها إلى السماء .إذا رأيت طيراً، تتبعه ببصرك وتتدبر حركة صفه وقبضه .وردد: "ما يمسكهن إلا الرحمن".
.2تمرين "محاكاة البسط والقبض": تأمل حياتك .هناك أوقات "صف") ثبات واستقرار (وأوقات "قبض")نشاط وحركة .(من يدبر هذا التوازن في حياتك؟ الله .فاشكره.
.3تمرين "البصير": عند إقبالك على أي عمل، تذكر أن الله بصير بك وبعملك .هذا يدفعك للإتقان والإ خلاص.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما ترى طائراً يحلق عالياً ولا يسقط. تذكر أنك لو كنت مكانه لسقطت فوراً. فمن الذي يمنحه هذه القدرة؟ إنه الله. فاحمد الله على ما أنت فيه.
· الوقفة الثانية: عندما ترى طيراً يهبط على الأرض ليلتقط حبة، ثم يطير بها. تذكر أن رزقك سيأتيك ولو كنت في السماء، كما يأتي الطير. فلا تقلق.
· الوقفة الثالثة: عندما تشعر أنك "تسقط" في مشكلة أو ذنب. تذكر "ما يمسكهن إلا الرحمن". فاطلب من الرحمن أن يمسكك ولا يدعك تسقط.
· الوقفة الرابعة: عندما تكون في طائرة وتحلق فوق الغيوم. تذكر أن الطائرة أثقل من الطير بملايين المرات، والله هو الذي أمسكها بقوانينه. فعظم الله في قلبك.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ" : توقف عن القراءة وانظر إلى أي طائر حولك (حتى لو كان خيالياً). سؤال نقدي: هل أنا ممن يرون ولا يتفكرون؟
· عند قراءة "صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ" : تخيل الحركة. اسأل نفسك: هل حياتي فيها توازن بين السكون (صفات) والحركة (قبض)؟ أم أنني في طرف واحد؟
· عند قراءة "مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ" : قل بقلبك: يا رب، أمسكني من السقوط في النار، ومن السقوط في الشهوات.
· عند قراءة "إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ" : استحضر أن الله يراك الآن وأنت تقرأ. اجعل قراءتك بخشوع.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: النظر إلى المخلوقات بغرض التفكر عبادة عظيمة.
· التطبيق: خصص 5 دقائق يومياً للتأمل في شيء من خلق الله (سماء، شجر، ماء، طير).
· الدرس الثاني: لا تعتمد على الأسباب وحدها، فالمسبب الحقيقي هو الله.
· التطبيق: عند القيام بأي عمل، قل "بسم الله، وتوكلت على الله". واجعل الأسباب بيدك، وقلبك معلق بالله.
· الدرس الثالث: رحمة الله وسعت كل شيء، حتى الطير في السماء.
· التطبيق: كن رحيماً بالخلق كما أن الله رحيم بك. ارفق بالحيوان والطير.
· الدرس الرابع: إذا كان الله بصيراً بالطير وهو في السماء، فهو بصير بك وبأعمالك.
· التطبيق: راقب الله في سرك وعلنك، وأتقن عملك لأن الله يراك.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من النظرة المادية للطبيعة إلى النظرة الروحية: لم تعد الطيور مجرد كائنات فيزيائية، بل أصبحت آيات قرآنية متحركة .كل طير يذكرك بالله.
.2من الشعور بأن الحياة صدفة إلى الشعور بأن الحياة محفوظة بإله رحيم: إن إمساك الطير في الهواء دليل على أن هناك من يمسك حياتك من السقوط في الفوضى.
.3من الغفلة إلى اليقظة الدائمة: كل مرة تمر فيها طيور فوق رأسك، تتذكر الآية .فتصبح حياتك مليئة باللحظات الإيمانية.
.4من الاعتماد على الذات إلى التوكل على الله: إذا كان الطير لا يعتمد على جناحيه فقط بل على إمساك الله، فأنت أولى ألا تعتمد على قوتك وحدك.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "النظر التأملي" : تحويل الرؤية البصرية إلى تفكر عقلي.
· مهارة "الاستدلال بالحد الأدنى" :من طائر صغير تستدل على خالق عظيم.
· مهارة "ربط الأسماء الحسنى بالمشاهد الكونية": ربط اسم "الرحمن" بإمساك الطير، واسم "البصير" بإحاطته بالخلق.
· المهارات النفسية:
· مهارة "توليد الدهشة" : الدهشة الإيجابية التي تقود إلى الإيمان.
· مهارة "تحويل الانتباه": من الانشغال بالهموم إلى الانشغال بآيات الله.
· مهارة "التوازن النفسي": بين بسط (صفات) وقبض (يقبضن) في الحياة.
· المهارات العملية:
· مهارة "التأمل أثناء السير": القدرة على الربط بين حركة الطير والذكر.
· مهارة "الاستغفار عند رؤية الطير": أن تتذكر نعمة الله عليك.
· مهارة "الرفق بالحيوان": تطبيق عملي للرحمة المستفادة من الآية.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد الفيزيائي (العلمي): إشارة إلى مبدأ الطيران، والتوازن بين قوى الرفع والجاذبية، وتناوب حركة البسط والقبض. الآية تحفز على دراسة علم الطيران كتفسير لكيفية الإمساك.

· البعد النفسي (الروحي): ربط المشهد الطبيعي بالخشوع والإيمان، وجعل الطبيعة مادة للعلاج النفسي (التأمل في الطير يريح الأعصاب).
· البعد العقدي (التوحيدي): حصر الإمساك بالله، وبيان أن الأسباب الظاهرية (الهواء، الأجنحة) ليست هي الفاعلة الحقيقية.
· البعد التربوي (الأخلاقي): غرس قيمة التفكر والرحمة.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة التفكر: التأمل في خلق الله.
· قيمة التوكل: الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب.
· قيمة الرحمة: الرفق بالخلق.
· قيمة المراقبة: الإيمان بأن الله بصير بكل شيء.
· قيمة العلم: دفع الإنسان لدراسة الطبيعة وقوانينها.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الطير فوقهم": أن الآيات ليست بعيدة، بل قريبة وفوق رؤوسنا.
· مفهوم "صافات ويقبضن": قانون التوازن والتناوب في الحياة.
· مفهوم "الإمساك الرحماني": أن البقاء في أي حالة (مال، صحة، منصب) هو بإمساك الله، لا بقوتك.
· مفهوم "البصير": أن الله يرى خفايا الأمور كما يرى حركة الطير في السماء.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "التربية البصرية التأملية": تعليم الطفل أن ينظر بعقله قبل عينيه.
· مفهوم "تربية التوازن": تعليم الطفل أن هناك وقتاً للبسط (العطاء، العمل) ووقتاً للقبض (الراحة، الأخذ).
· نفسياً:
· مفهوم "الدهشة المعرفية":أساس الإيمان والإبداع.
· مفهوم "الأمن الوجودي الرحمي": الشعور بأن الكون محكوم بقوة رحيمة (الرحمن) لا قاسية.
· فكرياً:
· مفهوم "نقد الإلحاد العلمي": الإقرار بأن العلم يصف الآليات، لكنه لا ينفي الفاعل الحقيقي.
· مفهوم "التوحيد العملي": توحيد الربوبية في كل ذرة من الكون.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "متأمل باحث" لا "سطحي غافل". إنسان يرى الطير فيذكر ربه، ثم يذهب ليدرس الطيران ويصنع طائرة، لأنه يعلم أن الله أودع في خلقه سنناً يمكن اكتشافها. هذا الإنسان يجمع بين الإيمان والعلم.
· تنمية المجتمع: مجتمع يقدر النظر والتفكر، ويستثمر في العلوم الطبيعية والفضاء (لأن الطير فوقهم يشير إلى السماء). مجتمع يربط بين العلم والأخلاق (فمن رأى قدرة الله في الطير، يخاف أن يفسد في الأرض).

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الغفلة" إلى عقل "التأمل في الآفاق والأنفس". هذا هو أساس المنهج العلمي في الحضارة الإسلامية: النظر والتفكر يؤديان إلى الاكتشاف.
· نفسياً: بناء إنسان منبهر بالخلق، وهذا الانبهار هو مصدر الإبداع. الطير الذي صار آية، يمكن أن يصبح مصدر إلهام لاختراع الطائرة (كما حصل مع العباس بن فرناس). الآية تدفع للابتكار.
· فكرياً: تأسيس "نظرية المعرفة القرآنية": العلم الصحيح يبدأ بملاحظة الطبيعة (أَوَلَمْ يَرَوْا) ثم التساؤل عن الممسك (مَا يُمْسِكُهُنَّ) ثم الإقرار بالخالق (إِلَّا الرَّحْمَٰنُ) ثم التطبيق العملي. هذا هو أصل المنهج التجريبي الإيماني.
· صناعة النهضة: من يتأمل في الطير كما أمر الله، سيسأل: كيف يطير؟ ثم يدرس الديناميكا الهوائية. ثم يصنع طائرة. ثم يغزو الفضاء. الآية هي نقطة انطلاق "صناعة الطيران" في الحضارة الإسلامية. إهمال هذه الآية يؤدي إلى تخلف علمي. النهضة تبدأ عندما نرى الطير "صافات ويقبضن" ونسأل "ما يمسكهن؟" ثم نبحث ونجتهد.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "التأمل العلمي": تأسيس مراكز بحثية لدراسة الطيور وهندسة الطيران، انطلاقاً من هذه ا لآية.
· تدعونا إلى "سياحة التأمل": تخصيص رحلات سياحية لمراقبة الطيور في الطبيعة، مع تلاوة الآية و التفكر.
· تدعونا إلى "ثقافة البسط والقبض" (التوازن) في الحياة الشخصية والعملية.
· تدعونا إلى "الشفافية البصرية" (العلم بأن الله بصير بك) في جميع التعاملات.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند سماع صوت طائر (تغريد): لا تمررها، بل احمد الله على خلقه.
· عند رؤية طائر يحلق: ارفع يدك بالدعاء: "اللّهم أمسكني من السقوط كما أمسكت هذا الطائر".
· عند الشعور بالقلق: انظر إلى الطائر الذي يخرج كل يوم صافاً وقابضاً دون قلق على رزقه. قال تعالى: "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم".
· عند إتقان عملك: تذكر أن الله بصير بك، فأتقن.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إضافة منهج "التفكر في خلق الله" في العلوم، بحيث كل درس فيزياء أو أحياء يبدأ بآية قرآنية (كهذه الآية) ثم يشرح العلم.
· في الإعلام: إنتاج برامج وثائقية عن الطيور بعنوان "صافات ويقبضن"، تظهر الإعجاز العلمي في خلق الطيران، ثم تربطه بالإيمان.
· في المساجد: عمل "حلقات تأمل" في الطبيعة، حيث يخرجون إلى حديقة أو برية، ويتأملون في الطير وغيرها، ويتدبرون الآيات.
· في الهندسة والصناعة: توجيه الطلاب والباحثين لدراسة "آلية الطيران" في الطيور كمصدر إلهام لصنع طائرات أفضل (تقنية المحاكاة الحيوية ، مع تلاوة الآية في بداية كل بحث.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

لقد هزتك الآيات السابقة بالخوف من الخسف والحاصب والنكير. لعلك شعرت بأنك صغير وضعيف تحت قهر الجبار. وقد يكون الخوف قد كاد يخنقك.

ثم تأتي هذه الآية.. كيد حنونة تلامس وجهك، وكأن الله يقول لك: "لا تخف، أنا الرحمن".

انظر إلى الأعلى يا قلب. انظر إلى الطير.

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ}

إنه هناك. خفيف، جميل، يخترق الجو. ليس معه محرك، ولا وقود، ولا جناح من حديد. إنه مجرد ريش وعظم. ومع ذلك، فهو يحلق فوقك بكل ثقة.

{صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ}

شاهد كيف يبسط جناحيه فيكاد يلمس السماء، ثم يقبضهما لينقض كالسهم. في بسطه سكون، وفي قبضه حركة. إنه يعرف متى يبسط ومتى يقبض. إنه يعيش بتوازن.

ثم تسأل نفسك: من الذي يعلّمه هذا؟ من الذي يعطيه القدرة؟ من الذي يمنعه من السقوط المفاجئ؟

{مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ}

الرحمن. ليس عذاباً، ولا جباراً منتقماً، بل رحمن. رحمته وسعت الطير الصغير الضعيف، فأمسكه في الهواء ولطف به. يا له من إله!

يا قلب...

إذا كان الرحمن يمسك هذا الطائر الصغير الذي لا يعبأ به أحد، أفلا يمسكك أنت؟ أنت الذي تعبك هموم الدنيا، أنت الذي تخاف السقوط في الفقر أو الفشل أو الوحدة. إنه الرحمن. ارفع بصرك إليه، وقل: "يا من تمسك الطير، أمسكني".

وإذا كان الله بصيراً بالطير، ويرى كيف يصف ويقبض، أفليس بصيراً بك؟ هل تخاف أن يضيع عملك الصامت، أو دعوتك الخفية؟ إنه بصير. سيراك ويرى عملك ويجازيك.

{إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ}

يا قلب...

اطمئن. لست وحدك. هناك من يراك ويمسكك ويرحمك. إنه الله.

توقف عن الخوف. ارفع رأسك. انظر إلى الطير. تعلم منه التوازن، وتعلم منه التوكل، وتعلم منه أن الذي يمسكه هو ربك.

وإذا رأيت طائراً بعد اليوم، فلا تمر بجانبه غافلا ً.
قف.
انظر.
ابتسم.
وقل: "سبحان الله، ما يمسكهن إلا الرحمن، إنه بكل شيء بصير".

ثم امض في حياتك، وأنت تحلق عالياً، لا تخشى السقوط، فالرحمن هو الممسك.
ثانيا
تفسير قوله تعالى
{أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} (الملك: 20)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

بعد أن أقامت الآية السابقة (19) برهاناً على قدرة الله ورحمته من خلال إمساك الطير في الهواء، وأثبتت أنه لا مسكن إلا الرحمن، تأتي هذه الآية لتنتقل من الحديث عن "الإمساك" إلى الحديث عن "النصر والجند". الآية السابقة كانت سؤالا ً عن الممسك، وهذه الآية سؤال عن الناصر. وكما أن الطير لا يمسكه إلا الله، فكذلك الإنسان ليس له ناصر يمنعه من عذاب الله أو يدفع عنه مكروهاً إلا الله. الآ ية تهكم وتسفيه لعقول المشركين الذين كانوا يعتمدون على آلهتهم أو قبائلهم أو قوتهم العسكرية. تقول لهم: أرأيتم إن جاءكم عذاب الرحمن، من هذا الجند الذي تزعمون أنه ينصركم من دونه؟ الجواب: لا أحد. ولهذا ختمت الآية بأن الكافرين ما هم إلا في غرور وخداع.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (الاستفهام التوبيخي عن الناصر): "أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ" أي من هذا الجند الذي تتصورونه ينصركم؟ إنه استفهام إنكاري يفيد النفي، أي لا جند لكم ينصركم.
· الفكرة الثانية (النصر من دون الرحمن): "يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ" أي ينقذكم من عذابه أو يمنعكم من بأسه. المعنى: لا أحد يقدر على نصركم إذا أراد الله بكم ضراً.
· الفكرة الثالثة (بيان حال الكافرين): "إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ" أي ما الكافرون إلا في خداع وباطل وخيلاء، يظنون أن لهم ناصراً وليس لهم.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: ترسيخ مبدأ أن النصر الحقيقي من الله وحده، وأن الأسباب والمخلوقات لا تنفع إلا بإذنه. وتفنيد شرك المشركين الذين اتخذوا آلهة تنصرهم.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على ألا يعتمد على القوة البشرية أو العسكرية فقط، بل يجعل اعتماده على الله أولا ً، ثم يأخذ بالأسباب.
· الهدف النفسي: كسر غرور المتكبرين الذين يعتمدون على جندهم ومالهم، وتواضعهم أمام حقيقة أنهم عاجزون عن نصر أنفسهم. وعلاج "الغرور" الذي هو مرض نفسي خطير.
· الهدف المعرفي (المنهجي): إقامة الحجة العقلية على أن الإنسان مهما بلغت قوته فهو عاجز أمام قدرة الله، وأن الغرور هو الذي يدفعه للاعتماد على نفسه أو على غيره دون الله.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ}

.1تحليل الألفاظ:
· "أَمَّن" : "أم" المنقطعة التي بمعنى "بل" مع همزة الاستفهام، أي بل من هذا؟ وهذا أسلوب تحول من حديث إلى آخر. أو هي "أم" بمعنى "هل" والمعنى: هل من هذا الذي هو جند لكم؟ والاستفهام للنفي.
· "هَٰذَا الَّذِي" : إشارة إلى شخص أو شيء غير معين، والموصول للتبهيم والتعجيز. كأنه يقول: هذا المجهول الذي تزعمون أنه جندكم، من هو؟
· "هُوَ جُندٌ لَّكُمْ" : الجند هم الجنود والأعوان والأنصار. "لكم" أي في زعمكم. المعنى: أين ذلك الجند الذي تتصورون أنه ناصركم؟
.2معنى الجند هنا:
· يشمل كل ما اعتمده المشركون من آلهة (كالأصنام)، أو قبائل وعشائر، أو قوة عسكرية، أو أموال ، أو مكانة اجتماعية. كل هذه كانت جنداً لهم في ظنهم.

المحور الثاني: تحليل {يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ}

.1"يَنصُرُكُم" : النصر هو الإعانة على الخصم، أو الدفع عن المكروه .السؤال: من ينصركم إذا نزل بكم عذاب الله؟
.2"مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ" : "من دون" بمعنى "من غير" أو "من قبل" أو "بدلا ً من" .المعنى: هل من ناصر لكم من غير الله؟ أي هل هناك قوة مستقلة عن الله تستطيع نصركم؟ الجواب قطعاً: لا .لأن كل قوة في الكون مخلوقة ومأذون لها من الله.
.3المناسبة لاسم "الرحمن": عاد اسم "الرحمن" كما في الآية السابقة .النصر الحقيقي من الرحمن، ولكنهم استغنى عن رحمته وطلبوا ناصراً من دونه .وهذا منتهى الغرور.

المحور الثالث: تحليل {إِنِ الكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ}

.1"إِنِ الكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ" : أسلوب حصر .الغرور هو الانخداع بالباطل، والاطمئنان إلى ما لا حقيقة له .والغرور أنواع:
· غرور القوة: يظن أن جنده ينصره.
· غرور الأمن: يظن أنه في مأمن من عذاب الله.
· غرور الإمهال: يظن أن تأخر العذاب يعني رضا الله عنه.
· غرور الشيطان: يزين لهم أنهم على حق.
.2معنى الآية: ما الكافرون إلا في خداع مستمر، يظنون أن لهم ناصراً وليس لهم، وأنهم على شيء وهم على لا شيء .هذا هو أصل ضلالهم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج الغرور (المرض النفسي الأكبر): الغرور هو توقف النمو النفسي. الإنسان المغرور يعتقد أنه مكتفٍ ذاتياً ولا يحتاج إلى الله. الآية تصفعه بالواقع: أنت لست بشيء، من هذا الجند الذي ينصرك؟

هذا السؤال يزرع التواضع والتوكل.
· علاج الاعتماد على المخلوقين (التعلق المرضي): كثير من الناس يعلقون آمالهم على أشخاص (زعيم، قائد، حبيب)، أو على مؤسسات (جيش، بنك، شركة). الآية تحررهم: هؤلاء ليسوا جنداً ينصرونك من دون الله. لا تعلق قلبك بهم. هذا يمنح الاستقلالية النفسية.
· فضح وهم السيطرة المطلقة: الإنسان يشعر أحياناً بأنه يسيطر على حياته (بماله، سلطانه، ذكائه). الآ ية تقول: هذا وهم. فإذا أراد الله بك ضراً، لا يستطيع جندك ولا مالك دفعَه. هذا يرد الإنسان إلى حجمه الطبيعي.
· توليد الشعور بالأمان الحقيقي: الأمان ليس في كثرة الجند، بل في الارتباط بالله. عندما تؤمن أن لا ناصر إلا الله، تتخلص من الخوف من الأعداء، لأنك تعلم أنهم لا ينصرونك ولا يضرونك إلا بإذن الله.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان العقلي على استحالة وجود ناصر دون الله: لو كان هناك ناصر مستقل عن الله، لكان ذلك الناصر إلهاً آخر. ولكنه مخلوق ضعيف. فكيف ينصرك من خالقه؟ العقل السليم يدرك أن كل القوى تابعة لقوة الله. فالقوة العسكرية للدولة، مثلا ً، تفشل إذا أراد الله زوالها (كما حدث لأمم سابقة).
· الرد على من يعتمد على الأسباب فقط (المادية): الآية لا تنفي الأخذ بالأسباب (الجند)، ولكنها تنفي الاعتماد عليها وكأنها تنفع من دون الله. العقل يقول: الأسباب وحدها لا تكفي، فكم من جيش قوي هزم، وكم من جيش ضعيف نصر بقدرة الله.
· نفي الغرور كحالة عقلية: الغرور عكس الحكمة. الآية تعلن أن الكافرين فقدوا رشدهم العقلي فهم في غرور. العاقل من لا يغتر بقوته، بل يعلم أن القوة لله جميعاً.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على التوكل لا على الأسباب فقط: نعلم الطفل أن يأخذ بالأسباب (يدرس، يجتهد)، لكن لا يغتر بذكائه أو بمال أهله. بل يعلم أن النصر والتوفيق من الله.
· تربيتهم على التواضع: نكرر لهم هذا السؤال: "من هذا الجند الذي ينصرك؟" ليكسر غرورهم إذا شعروا بالقوة. نربط بين القوة والمسؤولية أمام الله.
· تربيتهم على عدم الخوف من بطش الآخرين: الطفل قد يخاف من متنمر أو زميل قوي. علمه أن ناصره الحقيقي هو الله، وليس قوته هو ولا قوة أهله. هذا يمنحه شجاعة نفسية.
· تربية النقد لأدوات القوة الزائفة: نعلم الطفل ألا ينخدع بالشعارات البراقة عن الجيوش والعتاد، وأن يفكر فيمن وراء ذلك. القوة الحقيقية بإذن الله وحده.

رابعاً: الرسائل العملية:

· عند الشعور بالقوة أو النصر: لا تغتر، وقل "ما كان من الله وحده، لا بقوتي ولا بجندي". واشكر الله.
· عند مواجهة عدو أو مشكلة كبيرة: لا تخف، وقل "لا ناصر لي إلا الله". وتوكل عليه، مع الأخذ بالأ سباب الممكنة.
· في الدعاء: قل "اللهم أنت ناصري، فلا تحتج إلى جند، وأنت عضدي، فلا أحتاج إلى أحد".
· في التخطيط العسكري أو الأمني: لا تعتمد على العدد والعدة فقط، بل أكثر من الدعاء والاستغفار و التوبة، فإن النصر من عند الله. الآية تحول النظرة من الغرور العسكري إلى التوكل الإلهي.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "جرد الجند": اكتب على ورقة كل ما تعتبره "جنداً لك" في حياتك) مالك، وظيفتك، عائلتك، صحتك، ذكاؤك، أصدقاؤك .(ثم تخلص من الورقة وقل: "هؤلاء ليسوا جنداً ينصروني من دون الله . ناصري هو الله وحده".
.2تمرين "كسر الغرور اليومي": كل صباح، انظر في المرآة وقل لنفسك: "لا تغتر بقوتك، فمن هذا الجند الذي ينصرك؟" .هذا يبقي التواضع حياً.
.3تمرين "اللجوء إلى الرحمن": عند أي أزمة، لا تتصل فورياً بفلان أو فلان .توقف، ارفع يديك، وقل: "يا رحمن، أنت ناصري، لا أحد غيرك" .ثم اتخذ الأسباب.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما تشعر بأنك قوي بمالك أو بمنصبك. تذكر الآية: هذا الجند هل ينصرك إذا أراد الله بك سوءاً؟ كلا. فتواضع.
· الوقفة الثانية: عندما ترى جيشاً عظيماً أو دولة قوية تتعالى على الله. لا تخف، فالآية تخبر أنهم في غرور. فالله قادر على إذلالهم.
· الوقفة الثالثة: عندما يعتدي عليك ظالم وتشعر أنك لا حيلة لك. تذكر أن ناصرك هو الله، وهو أرحم الراحمين. فاطمئن، وادعُ عليه.
· الوقفة الرابعة: عندما تغتر بعملك واجتهادك وتنسى أن النجاح من الله. قل لنفسك: من هذا الجند الذي نصرك؟ أنت بنفسك؟ كلا، فالله هو الذي وفقك.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ" : اسأل نفسك: من هو جندي الحقيقي؟ هل هم الناس الذين أثق بهم؟ أم الله؟ اجعل جوابك: الله.
· عند قراءة "يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ" : اسأل: هل أنا اعتمدت اليوم على شخص أو مال أو وظيفة كأنها تنصرني من دون الله؟ تب من هذا الشرك الخفي.
· عند قراءة "إِنِ الكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ" : اسأل: هل أنا في غرور؟ هل اغتررت بصحتي، شبابي، أهلي، وطني؟ أستغفر الله.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: لا ناصر حقيقي إلا الله.
· التطبيق: في كل شدة، ابدأ باللجوء إلى الله، واجعل الدعاء أول سلاحك.
· الدرس الثاني: الغرور هو صفة الكافرين والمغرورين.
· التطبيق: احذر الغرور في نفسك، ولا تمدح نفسك، بل قل "ما شاء الله، لا قوة إلا بالله".
· الدرس الثالث: القوة العسكرية والمادية زائلة إذا لم تكن بإذن الله.
· التطبيق: لا تخش قوة عدو، ولكن خذ بأسباب القوة المشروعة، مع التوكل على الله.
· الدرس الرابع: الكافر في خداع دائم يظن أن له ناصراً.
· التطبيق: افتح عيون الغافلين بقولك: "من ينصرك إذا أراد الله بك ضراً؟" لعله يتعظ.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من الاعتماد على الذات والآخرين إلى الاعتماد على الله: لن تعتمد على مالك أو وظيفتك كملاذ أخير، بل ستعتمد على الله أولاً وأخيراً.
.2من الغرور إلى التواضع: كل إنجاز ستعلم أنه بتوفيق الله، فستتواضع ولا تتكبر.
.3من الخوف من الأعداء إلى الطمأنينة: لن تخاف من جيوش الدنيا، لأنك تعلم أنها لا تنصر ولا تضر إلا بإذن الله.
.4من الوهم إلى الحقيقة: ستتوقف عن العيش في أوهام القوة الذاتية، وستعيش حقيقة أنك عبد فقير إلى الله.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "تفنيد الغرور" : تحليل مصادر الغرور في النفس وبيان زيفها.
· مهارة "التمييز بين الأسباب والمسبب الحقيقي": معرفة أن الجند (الأسباب) لا تنفع إلا بإذن الله.
· مهارة "النقد العقدي للقوة": قراءة القوة العسكرية والمادية بنقد إيماني.
· المهارات النفسية:
· مهارة "كسر الغرور": تمارين يومية لتذكير النفس بالعجز أمام الله.
· مهارة "تحويل الخوف من الناس إلى الخوف من الله": بدلاً من أن تخاف من جند الناس، تخف من رب الناس.
· مهارة "التوكل العملي": الجمع بين الأخذ بالأسباب وعدم التعلق بها.
· المهارات العملية:
· مهارة "الدعاء عند الخوف": أدعية النصر واللجوء إلى الله.
· مهارة "تقييم القوة": قبل أن تعتمد على أي قوة، اسأل: هل هذه القوة بإذن الله أم تغريني عن

الله؟
· مهارة "إبطال الغرور في المجالس": إذا رأيت شخصاً مغروراً، ذكره بهذه الآية بأسلوب حكيم.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد السياسي (الجيوسياسي): نقد مفهوم "التوازنات العسكرية" و"تحالفات القوى" إذا كانت مستقلة عن الإيمان. القوة الحقيقية بالله، وليس بكثرة السلاح.
· البعد الاجتماعي (النفسي): بيان أن الغرور هو أساس الشرك والطغيان. والمجتمعات المغرورة تسير نحو الهاوية.
· البعد العقدي (التوحيدي): إثبات أن النصر صفة من صفات الله، لا يشاركه فيها أحد. وتفنيد شرك الأسباب.
· البعد التربوي (الأخلاقي): غرس قيمة التوكل والتواضع، ونبذ الكبر والعجب.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة التوكل: الاعتماد على الله وحده.
· قيمة التواضع: نفي الغرور عن النفس.
· قيمة الشجاعة الإيمانية: عدم الخوف من قوة المخلوقين.
· قيمة الحكمة: التفريق بين الغرور والثقة الحقيقية بالله.
· قيمة الإخلاص: نصر الله لا يأتي بجند ولا بمال، بل بالإخلاص والطاعة.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الجند": كل ما يعتمد عليه الإنسان من قوة أو عون غير الله.
· مفهوم "النصر من دون الرحمن": الاعتقاد بأن هناك قوة مستقلة عن الله تنفع أو تضر، وهذا هو الشرك.
· مفهوم "الغرور": حالة نفسية تجعل الإنسان يرى نفسه أكبر مما هي، ويراها مكتفية عن الله.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "تربية التوكل العملي": تعليم الطفل أن يقول "لا حول ولا قوة إلا بالله" عند مواجهة الصعاب.
· مفهوم "تربية النقد الذاتي": تعليم الطفل أن يسأل نفسه: هل أنا مغرور بقوتي؟ ليتواضع.
· نفسياً:
· مفهوم "علاج الغرور بالآية": استخدام هذه الآية كأداة علاجية لكبر النفس.
· مفهوم "الأمان الوجودي التوحيدي": أن تكون آمناً بالله لا بجندك، فيزول القلق.
· فكرياً:
· مفهوم "تفكيك الوهم المادي": أن المادة والقوة ليست هي الحقيقة المطلقة، بل الحقيقة هي قدرة الله.
· مفهوم "نقد الحضارة المادية": الآية تنتقد الحضارات التي تبني قوتها على الجند والسلاح وتنسى الله.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "متوكل لا متواكل، متواضع لا مغرور". إنسان يعرف أن القوة الحقيقية لله، فهو يستخدم قوته في طاعة الله، ولا يغتر بها. هذا هو الإنسان القوي الآمن.
· تنمية المجتمع: مجتمع لا يعتمد فقط على القوة العسكرية أو الاقتصادية، بل يعتمد على قوة الإيمان والتوكل. مجتمع يرى أن النصر من الله، فيسعى لأسباب النصر (إعداد القوة) لكنه لا يغتر بها. هذا المجتمع أقل عرضة للهزيمة النفسية وأكثر استقراراً.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الاعتماد على الجند" إلى عقل "الاعتماد على الله". هذا لا يعني

تعطيل الأسباب، بل إعادة تأهيل النفس لتكون الأسباب في يدها وقلبها معلق بالله.
· نفسياً: بناء إنسان غير مغرور، وغير خائف من جبروت الآخرين. الغرور يوقع في الهزائم، والتواضع والتوكل يمنحان القوة النفسية اللازمة للنهضة.
· فكرياً: تأسيس "فلسفة القوة في الإسلام": القوة الحقيقية هي القوة الإيمانية التي تتحول إلى قوة مادية في خدمة الحق، مع عدم الغرور بها. الفرق بين الحضارة الإسلامية والحضارة المادية: الأولى تشكر الله على قوتها، والثانية تغتر بقوتها فتهلك.
· صناعة النهضة: أي أمة تريد النهضة يجب أن تتخلص من "غرور القوة". فأقوى الجيوش انهارت عندما اعتمدت على نفسها فقط (كالأمم السابقة). والنهضة الحقيقية تبدأ عندما تعلم الأمة أن الناصر هو الله، فتشكر نعمته، وتعمل على إعداد الجند الحقيقي (العقيدة، الإيمان، العلم، الأخلاق) مع عدم الا غترار به. عندها ينصرها الله على من دونها.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "مراجعة قوتنا" على المستوى الفردي والجماعي: هل أغتررنا بقوتنا المادية؟ هل نسينا أن النصر من الله؟
· تدعونا إلى "إعداد جند الله" لا جند الطاغوت: الاهتمام بالقوة الإيمانية والمعنوية أولا ً، مع الأخذ بـ الأسباب المادية.
· تدعونا إلى "كسر الغرور الفردي والجماعي": حملات توعوية عن مخاطر الغرور والكبر.
· تدعونا إلى "الدعاء بالنصر من الله": وعدم الاعتماد على التحالفات الدولية فقط.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند تحقيق نجاح: قل "هذا من فضل ربي، لا بقوتي ولا بجندي".
· عند مواجهة عدو: لا تخف من قوته، وقل "الله أكبر، الله ناصري".
· عند الشعور بالفخر المفرط بنفسك: تذكر الآية وقل "أمّن هذا الجند الذي ينصرك؟".
· عند رؤية مغرور في المجتمع: ادعُ له بالهداية، وتذكر أن الله قد يميته على غروره، فاحذر أن تكون مثله.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدخال "تربية التوكل" في المناهج، وتعليم الطلاب أن القوة العسكرية والاقتصادية ليست غاية، بل وسيلة، وأن النصر الحقيقي من الله. نقد "غرور القوة" في كتب التاريخ.
· في الإعلام: صناعة برامج عن "أمم غرتها قوتها فدمرت" (كعاد، وفرعون، والنازية)، مع ربطها بهذه الآ ية. وعمل حلقات عن "الغرور في الرياضة والمال والسلطة".
· في المساجد: خطب عن "التوكل لا التواكل"، وعن "كيف نكون جنداً لله لا جنداً للغرور". تخصيص دروس عن "آفات الغرور" وعلاجه بهذه الآية.
· في المؤسسات العسكرية: تثبيت هذه الآية على جدران القيادات، لتذكير القادة بأن النصر من الله، فـ لا يغتروا بالعتاد. إدخال برامج توعوية للجنود عن التوكل واللجوء إلى الله قبل المعركة.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

لطالما اعتمدت على جندك. جند المال: فتشعر بالقوة إذا كان في جيبك الكثير، وتشعر بالضعف إذا نقص. جند الصحة: فتشعر بالأمان إذا كان بدنك قوياً، وتجزع إذا اعتل. جند الأهل والأصدقاء: فتشعر بالعز في جمعهم، وبالوحدة في فراقهم. جند الوظيفة والمنصب: فتشعر بالاحترام إذا كان مقعدك عالياً ، وبالذل إذا سقطت.

وجاءتك الآية كالصاعقة: {أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ}

من هذا يا قلب؟ من هذا الذي كنت تعتمد عليه؟ هل هو المال الذي قد يزول في ليلة؟ هل هو الصحة التي قد تتبدل في لحظة؟ هل هم الأهل الذين قد يخذلونك أو يموتون؟ هل هو المنصب

الذي قد تنتهي ولايته؟

لا أحد. لا أحد ينصرك من دون الله.

كل من اعتمدت عليهم، هم عاجزون. هم يحتاجون إلى ناصر مثلهم. فالغني يخاف الفقر، والصحيح يخاف المرض، والقوي يخاف الضعف. فكيف يكونون جنداً لك؟

يا قلب...

أنت في غرور طويل. غرور أنك مستغنٍ بجندك عن الله. غرور أنك قوي بنفسك. غرور أن لك من دون الله ناصراً.

ولكن الحقيقة أنك عارٍ بلا جند، وأنك ضعيف بلا ناصر. إلا أن يتولاك الرحمن.

لهذا قال الله في آخر الآية: {إِنِ الكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ}

الكافرون – والكافر من نسي ربه واعتمد على غيره – ما هم إلا في خداع. يخدعون أنفسهم، يظنون أنهم على شيء، وهم على لا شيء.

يا قلب...

انسحب من هذا الغرور. ارجع إلى الله. قل: "اللهم أنت جندي، وأنت ناصري، لا أحد سواك. لا أغتر بقوتي، ولا أرهب ضعفي. فأنت معي".

عندها سينقلب حالك. لن تخاف من عدو، لأن ناصرك الله. لن تغتر بقوتك، لأنك تعلم أنها من الله. ستكون قوياً، ولكن قوة متواضعة. وستكون ناجحاً، ولكن نجاحاً شكوراً.

هذا هو المؤمن. جنده الله. وناصره الله. وهو في رحمة الله، ليس في غرور.

فاختر اليوم: أن تكون من المغرورين الذين يخدعون أنفسهم بجند زائل، أم من المتوكلين الذين ناصرهم رب العالمين؟

"حسبي الله ونعم الوكيل، لا ناصر لي سواه".

ثالثاً

تفسير قوله تعالى
{أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} (الملك: 21)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

1.ارتباط الآية بما قبلها:

الآيات السابقة كانت سلسلة من الأسئلة التوبيخية المُقرعة للمشركين. الآية 20 سألت: من هذا الجند الذي ينصركم؟ وهذه الآية تنتقل إلى سؤال آخر أكثر قرباً وحاجة: من هذا الذي يرزقكم؟ وكما أنه لا ناصر من دون الله، فكذلك لا رازق إلا الله. الآية السابقة كشفت غرورهم في الاعتماد على القوة، وهذه تكشف غرورهم في الأمن على الرزق. والمنهج واحد: وضعهم أمام حقيقة عجزهم. ثم تأتي الجملة الأخيرة "بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ" لتعلن أنهم ليسوا جاهلين فقط، بل مصرّون على العناد والاستكبار والنفور من الحق.

2.الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (الاستفهام عن الرازق): "أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ" أي من هذا الذي يعطيكم الأرزاق إن منعها الله عنكم؟ إنه استفهام إنكاري يفيد نفي وجود رازق سوى الله.
· الفكرة الثانية (اشتراط إمساك الرزق): "إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ" أي لو أن الله أمسك عنكم المطر والنبات و الغذاء، فمن ذا الذي يستطيع أن يأتيكم به؟
· الفكرة الثالثة (وصف حال المشركين): "بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ" أي بل أصرّوا واستكبروا على الحق، ونفروا وبعدوا عنه.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: ترسيخ توحيد الربوبية في باب الرزق، وإثبات أن الله وحده هو الرزاق، وأن قدرة غيره معدومة إذا أمسك الله فضله.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على اليقين بأن الرزق بيد الله، فلا يخاف من فواته، ولا يطمئن إلى غيره، ويشكر الله على كل لقمة.
· الهدف النفسي: علاج قلق الرزق المرضي (وسواس الفقر)، وتوليد الطمأنينة بأن الذي يمسك الرزق هو نفسه الذي يبسطه. وعلاج العناد (اللجاج) والنفور من الحق.
· الهدف المعرفي (المنهجي): إقامة البرهان على أن الأسباب المادية للرزق ليست مستقلة عن إرادة الله، فمن خلق الأسباب هو الممسك والرازق.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ}

.1تحليل الألفاظ:
· "أَمَّنْ" : مثل الآية السابقة، "أم" المنقطعة بمعنى بل مع همزة الاستفهام، أي بل من هذا؟ وهو استفهام إنكاري.
· "هَٰذَا الَّذِي" : إشارة إلى مبهم مجهول، للتحقير والتعجيز، أي هذا الشخص المزعوم الذي تتصورونه.
· "يَرْزُقُكُمْ" : الرزق هو كل ما ينتفع به من طعام وشراب ومال وصحة وغيرها، وهو فعل مستمر.
· "إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ" : الإمساك هو المنع والحبس. "رزقه" أي رزق الله الذي عنده، أو رزقه الذي جرت العادة بنزوله. المعنى: لو أن الله منع عنكم المطر أو النبات أو الطعام.
.2الأسئلة التقريرية المتسلسلة:
· الآية 16 سألت عن الأمن من العذاب (الخسف).
· الآية 17 سألت عن الأمن من الحاصب.
· الآية 20 سألت عن الجند الناصر.
· الآية 21 تسأل عن الرازق بعد إمساك الرزق.
· كلها تثبت أن لا معين ولا مانع ولا ناصر ولا رازق إلا الله.

المحور الثاني: تحليل {بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ}

.1"بَل" : حرف إضراب وانتقال، أي ليس الأمر أنهم غافلين فقط، بل هم متمادون في عنادهم.
.2"لَّجُّوا" : من اللجاج، وهو التمادي في الخصومة والإصرار على الباطل مع قيام الحجة.
.3"فِي عُتُوٍّ" : العتو هو التكبر والاستكبار عن الحق، وهو أشد من الكبر.
.4"وَنُفُورٍ" : النفور هو البغض والانصراف عن الحق كراهية، وعدم الميل إليه .جمعوا بين العتو) تكبر (والنفور) بغض.(
.5المعنى الإجمالي: بل هم مصرون على التمادي في كفرهم، متكبرون على آيات الله، نافرون من الرسل والقرآن، لا يريدون سماع الحق ولا قبوله.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج "وسواس الفقر" (قلق الرزق المرضي): أكثر ما يقلق الإنسان هو لقمة العيش. الآية تضرب هذا القلق في مقتل: من يرزقك؟ الله. لو أمسك رزقه، من يستطيع أن يأتيك به؟ لا أحد. إذاً، لماذا تخاف ؟ اطمئن، فالذي أنشأك هو الذي يرزقك. هذا العلاج النفسي الأسمى لمرض القلق المالي.
· علاج "التعلق بالأسباب" (الشخص الذي يظن أن رزقه من وظيفته أو تجارته فقط): الآية تحررك من عبودية الوظيفة أو البنك أو الزبائن. هم مجرد أسباب، والمسيطر الحقيقي هو الله. هذا لا يعني ترك العمل، بل يعني عدم الخوف من فقدان الأسباب.
· علاج "اللجاج والعناد" (التمادي في الخطأ): الإنسان المعاند يصر على رأيه الفاسد حتى لو تبين خطؤه. الآية تشخص هذا المرض باسمه "لجوا". العلاج هو الرجوع إلى الحق، والتواضع، وترك الإصرار على الغلط.
· علاج "النفور من الحق" (كراهية النصيحة): كثيرون ينفرون إذا سمعوا كلمة الحق، خاصة إذا خالفت هواهم. الآية تكشف هذا الداء، وتدعو إلى محبة الحقيقة ولو كانت مرة.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان العقلي على أن الرازق هو الله: لو أن الله أمسك المطر، فمن يستطيع أن ينزله؟ لو أمسك النبات، فمن يستطيع أن ينبته؟ لو أمسك الصحة، فمن يستطيع أن يعافي؟ العقل السليم يدرك أن لا قدرة لأحد على الإتيان بالرزق إذا منعه الله. إذاً، الرازق الحقيقي هو الله وحده.
· الرد على من يظن أن الرزق من كسبه فقط: يقول الإنسان "أنا تعبت وأنا أكلت". الآية ترد: والتعب نفسه من أين؟ والصحة التي تمكنك من التعب من أين؟ والمواد الخام التي عملت بها من أين؟ كلها من رزق الله. لو أمسك الله العقل أو القوة، لما استطعت أن تعمل شيئاً.
· بيان أن الإصرار على الباطل مع قيام الحجة هو ضلال عقلي: "لجوا" تعني أنهم رأوا الحق وأبصروه، لكنهم أصروا على خلافه بدافع الكبر والعناد. هذا ليس جهلاً، بل هو فساد أخلاقي وإرادي.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على أن الرزق من الله، مع العمل: نعلم الطفل: اعمل واجتهد، ولكن لا تخف من المستقبل. فالرازق هو الله، وهو لم يمسك رزقه عنك. هذا يمنعه من البخل والخوف المرضي على المال.
· تربيتهم على ترك اللجاج والعناد: إذا أخطأ الطفل، نعلمه أن يعترف بالخطأ ولا يتمادى فيه. اللجاج صفة مذمومة، والتواضع والرجوع إلى الحق شجاعة.
· تربيتهم على محبة الحق والنفير من الباطل (عكس الآية): بدلاً من أن يكونوا من النافرين من الحق، نربيهم على أن ينفروا من الباطل والفواحش.
· تربية الشكر على الرزق في كل وقت: قبل الأكل وبعده، نربط الطفل بقول "الحمد لله الذي أطعمني وسقاني وجعلني من المسلمين". نشكره على الرزق الذي لم يمسكه عنا.

رابعاً: الرسائل العملية:

· عند الخوف من الفقر أو فقدان الوظيفة: اقرأ هذه الآية، وقل: "اللهم إنك أنت الرزاق، لا أتعلق بوظيفتي ولا بمالي، بل بك. ارزقني من حيث لا أحتسب".
· عند الشعور باللجاج والإصرار على الرأي الخاطئ: قل لنفسك: "أنا لست من اللاجين في عتو ونفور. لي الحق في أن أتراجع، فالتواضع خير من اللجاج".
· عند سماع كلمة حق تكرهها نفسك: لا تنفر، بل قل: "رب زدني علماً، وأعوذ بك من النفور من الحق".
· في الدعاء للرزق: أكثر من الدعاء باسم الله "الرزاق"، وقل "اللهم لا تمسك رزقي، واسقني من فضلك".

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "تذكر إمساك الرزق": تخيل أن السماء أغلقت ثلاث سنوات، والأرض لم تنبت، والبحر لم يصطد .من يستطيع أن يأتيك برغيف خبز؟ لا أحد إلا الله .هذا التمرين يزرع شكر النعمة الحاضرة.
.2تمرين "مراجعة اللجاج اليومي": كل مساء، اسأل نفسك: في أي موقف لججت اليوم) أصررت على رأي خاطئ(؟ وكيف كان نتيجته؟ عاهد نفسك على ترك اللجاج.
.3تمرين "استقبال الحق": عندما يأتيك نقد أو نصيحة، لا تنفر فوراً .قل: "سأستمع، فربما كان الحق مع غيري" .هذا علاج للنفور.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما تأكل لقمة خبز، توقف وتأمل: هذه اللقمة لم تأتِ من جيبك أو من السوق فقط، بل الله هو الذي أنزل المطر وأنبت الحصاد، وسخر البائع، وأعطاك المال. لو أمسك الله أي حلقة من هذه الحلقات، لما وصلت إليك. فاشكره.
· الوقفة الثانية: عندما ترى جائعاً أو محروماً، لا تظن أن الله ظلمه، بل تذكر أن الله هو الرزاق، وأن الإمساك لحكمة، وأن العبد مطالب بالسعي لا بالنتيجة.
· الوقفة الثالثة: عندما تشتد حاجتك إلى المال أو الفرج، تذكر هذه الآية. لا تيأس، فالذي يمسك الرزق هو الذي يبسطه. ادعُه أن يفرج عنك.
· الوقفة الرابعة: عندما تجادل أحداً في مسألة دينية وتلح في رأيك حتى لو تبين خطؤك، تذكر "لجوا

في عتو". اترك اللجاج، وقل "ربنا اغفر لنا".

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ" : اسأل نفسك: هل أنا متوكلة على الله في رزقي حقاً، أم أن قلبي متعلق بفلان أو بعلان؟ تخلص من التعلق.
· عند قراءة "إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ" : اسأل: إذا أمسك الله عني المطر أو الصحة أو الفرصة، من الذي يرزقني؟ لا أحد. إذاً، أشكر الله على كل نفس لا يمسكه.
· عند قراءة "بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ" : اسأل: هل أنا لاجّ معاند مع زوجي، مع أبنائي، مع أصدقائي؟ هل أنفر من الحق إذا خالف هواي؟ أستغفر الله.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: الرزق كله بيد الله، فاطمئن ولا تخف.
· التطبيق: لا تترك العمل بحجة التوكل، ولا تغتر بعملك فتنكر فضل الله. اجمع بين السعي والتوكل.
· الدرس الثاني: تأخر الرزق أو إمساكه ليس معناه حرماناً، بل اختباراً.
· التطبيق: عند ضيق الرزق، أكثر من الاستغفار والصدقة والدعاء، وتيقن أن الفرج قريب.
· الدرس الثالث: اللجاج والعناد صفات ذميمة تخرج صاحبها من الحق.
· التطبيق: تدرب على قول "أخطأت" و"تراجعت"، فهذه شجاعة لا ضعف.
· الدرس الرابع: النفور من الحق داء خطير يؤدي إلى الكفر.
· التطبيق: احرص على سماع النصيحة حتى لو كانت قاسية، ولا تكن من الذين إذا ذكروا الله نفرت قلوبهم.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من القلق إلى الطمأنينة: سيزول الخوف من الفقر والجوع، لأنك تيقنت أن الرازق هو الله.
.2من البخل إلى الكرم: عندما تعلم أن الرزق من الله، ستجود بما في يديك، لأنك تعلم أن ما أنفقته يخلفه الله.
.3من العناد إلى التواضع: ستترك اللجاج والتمادي في الخطأ، وستصبح أكثر مرونة وتقبلا ً للحق.
.4من النفور إلى الإقبال على الحق: ستستمتع بسماع كلمة الله وآياته، وستبحث عن الحقيقة أينما كانت.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "التفريق بين السبب والمسبب": تعلم أن الأسباب ظواهر، والمسبب الحقيقي هو الله.
· مهارة "تحليل حالات العناد": القدرة على تشخيص اللجاج في النفس والآخرين وعلاجه.
· مهارة "قراءة النعمة": استخراج الرزق في كل شيء حولك.
· المهارات النفسية:
· مهارة "إدارة قلق الرزق": تمارين الطمأنينة والتوكل.
· مهارة "كسر اللجاج": تعلم الاعتراف بالخطأ والتراجع عنه.
· مهارة "تطويع النفور": تحويل النفور من الحق إلى حب الحقيقة.
· المهارات العملية:
· مهارة "الدعاء عند الحاجة": الدعاء بأدعية الرزق والفرج.
· مهارة "شكر النعمة": قول الحمد لله في كل لقمة.
· مهارة "الحوار بدون لجاج": تعلم فن الحوار الهادئ البعيد عن الإصرار والعناد.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد الاقتصادي (المالي): وضع مفهوم الرزق في الإطار التوحيدي، مما يؤثر في النظرية الاقتصادية (الرزق من الله، والسعي واجب، والإنفاق عبادة).
· البعد النفسي (السلوكي): تحليل داء اللجاج والنفور كأمراض نفسية سلوكية، ووصف العلاج بالإيمان.
· البعد العقدي (التوحيدي): إثبات صفة الربوبية في الرزق، والرد على من يزعم أن للأصنام أو للطبيعة قدرة على الرزق.

· البعد التربوي (الأخلاقي): غرس قيمة التوكل والشكر، ونبذ العناد والكبرياء.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة التوكل: الاعتماد على الله في الرزق.
· قيمة الشكر: الاعتراف بأن كل نعمة من الله.
· قيمة التواضع: ترك اللجاج والعتو.
· قيمة حب الحق: وعدم النفور منه.
· قيمة الأمان المالي النفسي: عدم الخوف من الفقر.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الرازق": أنه الله وحده، مهما تنوعت الأسباب.
· مفهوم "إمساك الرزق": أنه قد يحدث لحكمة، والله لا يمسك ظلماً بل اختباراً.
· مفهوم "اللجاج": الإصرار على الباطل مع العلم به، وهو من صفات الكافرين.
· مفهوم "العتو": الكبر والاستكبار عن قبول الحق.
· مفهوم "النفور": البغض والانصراف، وهو أشد من الكراهية.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
  · مفهوم "تربية التوازن المالي": تعليم الطفل ألا يخاف من الفقر، ولا يبخل، وأن الله هو الرزاق.
  · مفهوم "تربية الاعتراف بالخطأ": تعليم الطفل أن يقول "أخطأت" دون لجاج.
· نفسياً:
  · مفهوم "علاج اللجاج بالتفكر": التفكر في عواقب العناد والإصرار يقلل منه.
  · مفهوم "تحويل النفور": يمكن تحويل النفور الطبيعي (من المؤلمات) إلى نفور من المعاصي.
· فكرياً:
  · مفهوم "نقد العقل العنيد": أن العناد ليس دليلا ً على قوة الشخصية، بل على ضعفها.
  · مفهوم "حرية الإرادة والرزق": الإنسان يختار السعي، ولكن النتيجة من الله.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "متوكل شكور" لا "قلق لاج". إنسان يعمل بجد، لكن قلبه معلق بالله. إنسان إذا أخطأ يعترف ولا يلج، وإذا سمع الحق لا ينفر منه. هذا هو الإنسان المستقر نفسياً والمنتج اجتماعياً.
· تنمية المجتمع: مجتمع لا يعاني من قلق الفقر المرضي، وبالتالي يقل فيه الجشع والبخل والفساد المالي. مجتمع يحترم الرأي الآخر ولا يلج في الخصومات. مجتمع يقبل الحق ولو كان من خصمه. هذه هي مجتمعات النهضة الأخلاقية.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل الاقتصادي من "عقل الندرة والخوف" إلى "عقل الثقة بالله". الإنسان الذي يخاف من الفقر يتصرف بعنف وجشع. والإنسان الذي يثق بالله يتصرف بحكمة وكرم. هذه الثقة أساس الابتكار والاستثمار.
· نفسياً: بناء إنسان "غير لاجج" و"غير نافر". اللجاج يضيع الوقت والطاقة في صراعات عقيمة، و النفور يمنع التعلم من الآخرين. التخلي عنهما يفتح آفاقاً واسعة للتعاون والتطور.
· فكرياً: تأسيس "نظرية الرزق في الإسلام": لا تعارض بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله. النهضة تحتاج إلى مجتمع يعمل بجد (أخذ بالأسباب) ويطمئن بالله (لا قلق من النتيجة).
· صناعة النهضة: الأمة التي تعاني من "قلق الرزق" ستهدر طاقتها في تخزين المال والبخل، ولن تستثمر في العلم والإنتاج. والأمة التي تعاني من "اللجاج والنفور" ستنشغل بالصراعات الداخلية عن بناء الحضارة. تخلصك من قلق الرزق يحرر طاقتك للإبداع، وتخلصك من اللجاج يحرر وقتك للعمل البناء.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "الثقة بالله في الرزق" مع العمل الجاد، لا إلى الكسل أو اليأس.
· تدعونا إلى "إنفاق المال في سبيل الله" بدلا ً من اكتنازه خوفاً من الفقر.
· تدعونا إلى "ترك اللجاج" في الخلافات الشخصية والسياسية والاجتماعية.
· تدعونا إلى "فتح القلب للحق" وعدم النفور من النصيحة أو العلم.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند الاستيقاظ: احمد الله أنك لا تزال ترزق نفساً جديداً، ولم يمسك عنك الرزق.
· عند الأكل: قل "بسم الله" وتذكر أن الله هو الذي أطعمك.
· عند الخوف من الفقر: تذكر الآية، وقل "اللهم ارزقني من فضلك، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين".
· عند الجدال: توقف قبل أن تلج، وقل "رب أوزعني ألا ألج في الباطل".
· عند سماع رأي مخالف: لا تنفر، بل استمع، وقل "رب زدني علماً".

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: تدريس مفاهيم "الرزق والتوكل" ضمن مناهج الاقتصاد المنزلي والتربية الدينية. تدريب الطلاب على حل الخلافات بطرق سلمية لا لجاج فيها.
· في الإعلام: صناعة برامج عن "ثقافة الاعتراف بالخطأ" و"ترك اللجاج" كقيمة حضارية. برامج توعوية عن "قلق الرزق" وعلاجه بالإيمان.
· في المساجد: خطب عن "التوكل لا التواكل"، وعن "آفة اللجاج والنفور". دروس في "الأخلاق الإسلا مية" تركز على التواضع وترك العناد.
· في العلاقات الزوجية والعائلية: تعليم أن اللجاج يدمر العلاقات، وأن الرجوع إلى الحق فضيلة. وأن النفور من النصيحة يزيد المشاكل.
· في السياسة والقيادة: تشجيع ثقافة الحوار وقبول الرأي الآخر، وعدم الإصرار على الخطأ. وبناء سياسات اقتصادية تعزز الثقة بالله أولا ً.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

تعبت من الخوف. تخاف من الغد، من نقص الرزق، من فقدان الوظيفة. تنام وهم الفقر معك، وتصحو وهو في صدرك. كل يوم تحسب كم بقي في جيبك، وكم ستحتاج غداً. تعبت يا قلب.

ثم تأتي هذه الآية لتصرخ في أذنك: {أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ}

من هذا الذي سيعطيك إذا منع الله؟ من هذا الذي سيملأ جوفك إذا جفت الأرض؟ من هذا الذي سيعافيك إذا مرضت وأمسك الله صحتك؟

لا أحد. لا إنسان، ولا بنك، ولا وظيفة، ولا ولي. لا أحد.

إذن، لماذا تخاف؟ ومن تخاف؟ أتخاف أن يمسك الله رزقه؟ وهو أرحم بك من أمك. أتظن أنه يمسك رزقه عبثاً أو ظلماً؟ كلا، إنه الرحمن الرحيم.

يا قلب...

أنت لست في خطر. الخطر كله في أن تعتمد على غير الله. الخطر في أن تظن أن رزقك بيدك أو بيد الناس. أما إذا تيقنت أن الله هو الرزاق، فسيهون عليك كل شيء.

ولكن الآية لا تتوقف عند الرزق. إنها تتهمك بشيء آخر: {بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ}

نعم، أنت أحياناً تلج وتصر على رأيك الخاطئ، وتتعالى على الحق إذا خالف هواك، وتنفر من النصيحة لأنها توجع. هذا هو داؤك الآخر.

يا قلب...

الرزق بيد الله، فلا تقلق.
والحق واضح، فلا تتعال عليه.
والتواضع خير، فلا تلج.
والنصيحة دواء، فلا تنفر.

اجعل هذه الآية نصب عينيك.
عندما يهمك الفقر، اقرأ: "أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ".
عندما تحتد في جدال، تذكر: "لُجُوا".
عندما تشمئز من الحق، تذكر: "نُفُورٍ".

وقل بقلب صادق:
"اللهم أنت رزاقي، فلا أخاف. وأنت هاديّ، فاستعملني بالحق. اللهم لا تجعلني من اللاجين النافرين، بل اجعلني من التوابين المتواضعين المحبين للحق."

عندها ستطمئن، وترضى، وتنطلق في الحياة كالمؤمن القوي.

فاسترح يا قلب... فالرازق هو الله.

رابعا

تفسير قوله تعالى

{أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (الملك: 22)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

1.ارتباط الآية بما قبلها:

بعد أن حاججت الآيات السابقة المشركين في قضايا كبرى: النصر (20)، والرزق (21)، والعذاب (16-17)، والطير (19)، تأتي هذه الآية لتضرب لهم مثلا ً بصريا ً حسيا ً يقرع العقل ويخاطب الفطرة. إنها تنتقل من الحجاج النظري إلى التصوير العملي. الآيات السابقة ناقشت "ماذا لو أمسك الله رزقه؟" أو "من ينصركم؟"، وهذه الآية تسأل سؤالا ً مباشرا ً عن "الهدى" ذاته: أي الفريقين أسعد وأهدى؟ الذي يمشي منكوسا ً على وجهه لا يرى شيئا ً، أم الذي يمشي معتدلا ً على طريق واضح؟ وهو مثل بديع لحال المؤمن والكافر، أو المهتدي والضال. فهي تختصر الصراع بين الإيمان والكفر في صورة حركية بصرية.

2.الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (المشهد الأول: المكب على وجهه): وصف حال من يمشي منحنيا ً، وجهه إلى الأرض، لا يبصر طريقه، يتعثر في كل خطوة، لا يدري أين يتجه.
· الفكرة الثانية (المشهد الثاني: السوي على الصراط المستقيم): وصف حال من يمشي معتدلا ً منتصبا ً، بصره أمامه، على طريق واضح مستقيم، آمن الخطى.
· الفكرة الثالثة (السؤال التقريري المقارن): "أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا... أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا؟" أي هل يستويان؟ وهل يمكن أن يكون المكب على وجهه أكثر هداية وإصابة للطريق من السوي المعتدل؟

3.أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: ترسيخ أن الهدى الحقيقي هو اتباع الصراط المستقيم (الإسلام)، والضلال هو العيش منكوسا ً على الوجه (الكفر والشرك). وأن المقارنة بينهما واضحة كوضوح الشمس.
· الهدف التربوي: تدريب المؤمن على "النظر إلى العواقب" وليس إلى المظاهر. الكافر قد يتمتع في الدنيا، لكنه كالمشي على وجهه، والمؤمن قد يتعب لكنه على صراط مستقيم.
· الهدف النفسي: علاج "انقلاب الموازين" حيث يظن الضال أنه مهتدٍ، والمهتدي أنه ضال. الآية تقدم معيارا ً بسيطا ً للتمييز: من هو السوي ومن هو المكب.
· الهدف المعرفي (المنهجي): تأسيس منهج "التمثيل البصري" للأفكار المجردة. فمفاهيم الهدى والضلال تصور في مشهد حسي محسوس، مما يسهل الفهم والإقناع.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ}

1.تحليل الألفاظ:
· "أَفَمَن" : الهمزة للاستفهام التقريري (أي هل يستوي؟)، والفاء للعطف، و"من" اسم موصول بمعنى "الذي".
· "يَمْشِي" : المشي هنا مجاز عن سير الحياة وتصرفات الإنسان وتوجهاته.
· "مُكِبًّا" : من الإكباب، وهو الانحناء والانكباب على الوجه، كأنه يغطي وجهه بجسده. وهو أقبح أنواع المشي.
· "عَلَىٰ وَجْهِهِ" : أي يسقط على وجهه، أو يمشي معتمداً على وجهه بدلا ً من رجليه. هذا مشهد مأساوي، فلا يرى أمامه، ولا يستطيع أن يتجنب الحفر والعقبات.
2.ماذا يمثل "المشي على الوجه"؟
· يمثل الكافر الذي عكس فطرته: جعل رأسه (مكان العقل والبصيرة) في الأسفل، وأتبع هواه وعماه.
· يمثل من لا يبصر الحق، بل يعيش في ظلمات الجهل والتقليد والضلال.
· يمثل من يتعثر في كل خطوة بذنب، ولا يرى هدفه، فهو تائه.

المحور الثاني: تحليل {أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}

1.تحليل الألفاظ:
· "أَمَّن" : أم المتصلة، أو المنقطعة للتفصيل.
· "يَمْشِي سَوِيًّا" : السوي هو المعتدل القائم، لا اعوجاج فيه. مشيه معتدل، رأسه مرفوع، بصره أمامه، خطواته واثقة.
· "عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" : الطريق الواضح الموصل إلى الهدف (وهو الإسلام والقرآن). المستقيم لا حفر فيه ولا انحرافات.
2.ماذا يمثل "السوي على الصراط المستقيم"؟
· يمثل المؤمن الذي استقام على أمر الله، فطرته سليمة، قلبه منير.
· يمثل من يرى الحق واضحاً أمامه، فلا يحيد عنه يميناً ولا شمالا ً.
· يمثل من يعيش ببصيرة، يتعرف على العقبات فيتجنبها، ويسير بثبات نحو الجنة.

المحور الثالث: دلالة الاستفهام {أَهْدَىٰ}

· الاستفهام للتقرير والإنكار، أي "أهذا المكب على وجهه هو الأهدى؟" والجواب بطبيعة الحال: لا. بل ا لأهدى هو السوي على الصراط المستقيم.
· الآية لا تترك مجالا ً للشك: فالفرق بين الطريقين واضح كالفرق بين المشي على الوجه والمشي على الرجلين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية):

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج "انقلاب الموازين" (الضال يظن نفسه مهتدياً): أكثر الناس ضلالا ً قد يكون واثقاً من هدايته. الآية تقدم له اختباراً بسيطاً: هل أنت كمن يمشي مكباً على وجهه؟ هل حياتك تعثرات متتالية، وتخبط، وأزمات بلا حل؟ إذاً، أنت لست على هدى. هذه الصورة تصدمه لعله يصحو.
· علاج "الشعور بالضياع والتشتت": الإنسان الذي يعيش بلا هدف، يتخبط في قراراته، يشعر بالقلق وا لاكتئاب. الآية تقول له: هذا لأنك تمشي على وجهك. ارفع رأسك، اسأل عن الصراط المستقيم، ستجد الهدى والطمأنينة.
· علاج "التقليد الأعمى": من يمشي مكباً لا يرى أين يتجه، فهو يتبع الآخرين دون بصيرة. الآية تدعوه ليكون "سوياً" أي معتمداً على بصيرته وعقله، متبعاً الدليل لا الناس.
· توليد "الثقة والطمأنينة للمؤمن": المؤمن قد يرى الكافر غنياً قوياً فيظن أن الضال أفضل منه. الآية تطمئنه: لا تقارن نفسك به، فأنت تمشي سوياً على صراط مستقيم، وهو كمن يمشي على وجهه. أنت الأهدى والأسعد.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان بالبداهة (الحس المشترك): الآية تحتكم إلى العقل البشري الفطري. أي عاقل يرى رجلا ً يمشي على وجهه وآخر يمشي معتدلا ً، يقول فوراً: المعتدل أهدى. هذا برهان لا يحتاج إلى فلسفة. فكذلك في الدين: الحق واضح، والباطل واضح.
· تفنيد النسبية الأخلاقية (التي تقول: كلٌ على صواب): الآية ترفض فكرة أن جميع الطرق تؤدي إلى الله، أو أن الضلال والهدى سواء. هي تقول: هناك فرق جوهري بين من يستقيم ومن ينكب على وجهه. الحق واحد.
· إثبات أن الهدى مرتبط بالاستقامة والبصيرة: الهدى ليس مجرد شعور داخلي، بل هو سلوك عملي واضح: مشي سوياً على طريق مستقيم. هذا يقضي على الغموض.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على "البصيرة" لا "التقليد": نعلم الطفل ألا يمشي وراء القطيع أعمى، بل يرفع رأسه ويسأل: ما هو الطريق المستقيم؟ ويبحث عن الدليل.
· تربيتهم على "النظر إلى العواقب": نعلمهم أن يتخيلوا عاقبة من يمشي على وجهه (سيسقط، يتعب، يضيع)، وعاقبة من يمشي سوياً (يصل، ينتصر). هذا ينمي التفكير طويل المدى.
· تربيتهم على "وضوح الحق": نعلمهم أن الحق واضح كوضوح الصراط المستقيم، وأن الباطل قبيح كقبح المشي على الوجه. فلا تلتبس الأمور عليهم.
· تربية القدوة: "كن سوياً أمام أولادك" : الأب والأم يمشون على صراط مستقيم، فيراه الأبناء فيتعلمون الاستقامة.

رابعاً: الرسائل العملية:

· عند الشعور بالحيرة والضياع: قف، واسأل نفسك: "هل أنا أمشي مكباً على وجهي أم سوياً؟" راجع ع لاقتك بالله، واسأل عن الطريق المستقيم.
· عند رؤية فساد المجتمع: لا تحسد أهل الباطل على متاعهم الدنيوي، بل انظر إليهم كمن يمشي على وجهه، مهما زينوا مشيتهم، فإن عاقبتهم السقوط.
· في الدعوة إلى الله: استخدم هذا المثل البصري مع من يكذبون. قل لهم: "هل تظنون أن الذي يعيش بلا هدى كمن يمشي على وجهه؟ ألا ترون أنفسكم؟"
· في توجيه الذات يومياً: ابدأ يومك بنية المشي على الصراط المستقيم. انو ألا تنحرف، وألا تنكب على وجهك في شهواتك.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "تصوير المشي": أغمض عينيك وتخيل رجلا ً يمشي على وجهه: كم مرة سيصطدم، كم مرة يسقط، كم هو قبيح منظره .ثم تخيل آخر يمشي معتدلا ً واثقاً .واسأل قلبك: أي المشهدين تختار لنفسك؟
.2تمرين "مراجعة الطريق": كل مساء، راجع خطوات يومك: هل مشيت اليوم "سوياً" على صراط مستقيم، أم انحنيت) أخطأت (و"أكببت" على وجهك) انغمست في شهوة(؟ تب واستقم.
.3تمرين "رفع الرأس": عندما تشعر باليأس أو الضياع، ارفع رأسك حقيقة) انظر إلى السماء (ومجازاً)ارفع همتك(، وقل: "اللهم اجعلني من السويين على صراطك المستقيم".

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما ترى شخصاً يعيش بلا هدف، يتخبط في العلاقات المحرمة، في المال الحرام، في الشهوات. اعلم أنه يمشي على وجهه. ادعُ له بالهداية، ولا تحسده.
· الوقفة الثانية: عندما تمر بأزمة وتفكر في الانحراف عن دينك ظناً أنه سيريحك. تذكر أن الانحراف هو "إكباب على الوجه". سيزيدك تعقيداً، لا حلا ً.
· الوقفة الثالثة: عندما ترى مستقيماً على أمر الله، رغم فقره أو محنته. اعلم أنه يمشي سوياً على صراط مستقيم. وإن تعثر، سيصل.
· الوقفة الرابعة: عندما تدرس سيرة النبي ﷺ وأصحابه، وكيف كانوا ثابتين رغم الأذى. تأمل مشيتهم

السوية. واستلهم.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ" : اسأل نفسك: هل حياتي تشبه هذا؟ هل أتخذ قراراتي وأنا أعمى؟ هل أنا أسير وراء كل ناعق دون تفكير؟ أستغفر الله.
· عند قراءة "أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" : اسأل: هل أنا من هذا الفريق؟ هل طريقي واضح؟ هل أواظب على الصلاة والذكر وأسأل الهدى كل يوم؟ أحمد الله إن كنت كذلك، وأسأله الثبات.
· عند قراءة "أَهْدَىٰ" : قل بقلبك: اللهم اهدني للطريق الأهدى، واجعلني من السويين.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: الهدى والضلال ليسا أمرين خفيين، بل هما واضحان كالمشي على الرجلين أو على الوجه.
· التطبيق: لا تعذّب نفسك بالشكوك، فالحق واضح، والصلاة والدعاء والقرآن هي الصراط المستقيم.
· الدرس الثاني: المؤمن يمشي سوياً (معتدلا ً) في حياته، لا غلو ولا تفريط.
· التطبيق: كن وسطياً في عبادتك، في إنفاقك، في تعاملك مع الناس. لا تكن مكباً (غالياً) في الدنيا ، ولا مكباً في الزهد المبتدع.
· الدرس الثالث: البصيرة (العلم النافع) هي التي تجعلك ترى الطريق.
· التطبيق: اطلب العلم الشرعي، وتدبر القرآن، فهو نور يبصرك الصراط المستقيم.
· الدرس الرابع: عاقبة المكب على وجهه السقوط والعناء، وعاقبة السوي الوصول والكرامة.
· التطبيق: اختر أن تتعب قليلا ً في الاستقامة اليوم، لترتاح غداً في الجنة.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من العشوائية والتخبط إلى الهدف والوضوح: ستتوقف عن العيش بدون خريطة .سيكون لديك "صراط مستقيم" تسير عليه، مهما كان بطيئاً.
.2من حسد الكفار على متعهم إلى الشفقة عليهم: لن تغبط أحداً على معصية، بل ستراه كمن يمشي على وجهه، مهما كان مرتدياً أفخر الثياب.
.3من التقليد الأعمى إلى التفكير النقدي: ستسأل قبل أن تتبع أي شخص أو أي فكرة: هل هذا على الصراط المستقيم أم هو مكب على وجهه؟
.4من اليأس والضياع إلى الأمل والاتجاه: ستعرف أن حياتك لها معنى، وأن هناك طريقاً واضحاً يؤدي إلى الله والجنة.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "التمثيل البصري للمفاهيم المجردة": تحويل فكرة الهدى إلى صورة مشي.
· مهارة "المقارنة بين مسارين": تقييم أي خيارات الحياة أوضح وأسلم.
· مهارة "تمييز الصراط المستقيم" من الطرق المتعرجة.
· المهارات النفسية:
· مهارة "تحديد الاتجاه" : تحديد هدف الحياة (رضا الله والجنة) والسير نحوه بوضوح.
· مهارة "الثبات" :الحفاظ على الاستقامة حتى لو واجهتك عقبات.
· مهارة "التخلص من الحيرة": اتخاذ القرارات بناءً على معيار "هل هو على الصراط المستقيم؟"
· المهارات العملية:
· مهارة "التقييم الذاتي اليومي": كل ليلة، قيم: هل مشيت اليوم سوياً أم انحرفت؟
· مهارة "تصحيح المسار": إذا اكتشفت أنك تنحني (تخطئ)، فعد فوراً إلى الصراط.
· مهارة "القدوة الحسنة": كن أنت نموذجاً للسوي المستقيم أمام الآخرين.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد الحركي (السلوكي): تصوير الهدى والضلال كحالتين حركيتين (المشي)، مما يجعلهما قابلا ً للم لاحظة والقياس.

· البعد النفسي (البصري): استخدام حاسة البصر (مشهد المشي) لتوصيل رسالة روحية، وهذا من أقوى طرق التأثير.
· البعد العقدي (الهداية): إثبات أن الهداية من الله، ولكنها تأتي لمن يرفع رأسه ويطلب الصراط المستقيم.
· البعد التربوي (الاستقامة): غرس قيمة الاستقامة والاعتدال، ونبذ الانحراف والتطرف.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة الهدى: طلب الحق واتباعه.
· قيمة الاستقامة: الثبات على الطريق الصحيح.
· قيمة البصيرة: النظر إلى العواقب.
· قيمة التواضع (بمعنى عدم الكبر، وليس الانحناء): السوي معتدل لا متكبر ولا منحط.
· قيمة التمييز بين الحق والباطل.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "المشي مكباً": الضلال، التخبط، العمى الروحي، اتباع الهوى.
· مفهوم "المشي سوياً": الاستقامة، الوعي، الرؤية الواضحة، الاتزان.
· مفهوم "الصراط المستقيم": الإسلام، القرآن، السنة، الطريق الموصل إلى الله.
· مفهوم "الأهدى": الأسلم، الأوصل إلى الهدف.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
  · مفهوم "التربية بالتصوير": استخدام الصور الحسية (المشي على الوجه) لترسيخ القيم المجردة.
  · مفهوم "تربية الاختيار": أن الإنسان مخير بين مشيتين، فعليه أن يختار بوعي.
· نفسياً:
  · مفهوم "الصورة الذاتية": كيف ترى نفسك؟ كمن يمشي سوياً أم مكباً؟ تؤثر على سلوكك.
  · مفهوم "إعادة التوجيه": إعادة النظر في حياتك كطريق وليس كحالة ثابتة.
· فكرياً:
  · مفهوم "وضوح الحق": أن الحق ليس غامضاً، بل هو كالصراط المستقيم، أظهر من أن يخفى.
  · مفهوم "معيارية الإسلام": الإسلام هو الميزان الذي يحدد من هو السوي ومن هو المكب.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "سوي مستبصر" لا "مكب مقلد". إنسان يرى طريقه بوضوح، يمشي بثقة، لا يتعثر بالشبهات ولا بالشهوات. هذا هو الإنسان القائد لا التابع.
· تنمية المجتمع: مجتمع يسير على صراط مستقيم في جميع مجالاته: اقتصاد مستقيم (لا ربا)، سياسة مستقيمة (لا ظلم)، تعليم مستقيم (لا إلحاد)، اجتماع مستقيم (لا فاحشة). المجتمع السوي هو المجتمع القوي المتماسك.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الحيرة والتخبط" إلى عقل "الرؤية الواضحة". النهضة تحتاج إلى رؤية. الأمة التي لا تعرف صراطها المستقيم ستظل تتخبط.
· نفسياً: بناء إنسان "واثق" لأنه يعلم أنه على حق. الثقة تنبع من الاستقامة. الأمة السوية على دينها لا تعاني من عقدة الخوف من الآخرين.
· فكرياً: تأسيس "منهجية المقارنة الواضحة" في الفكر الإسلامي: دائماً قارن بين الحق والباطل بصور واضحة (مثل هذا المثل). هذا يمنع اللبس والغموض.
· صناعة النهضة: النهضة تبدأ عندما ترفع الأمة رأسها (سوياً) وترى الصراط المستقيم، وتتوقف عن المشي على وجهها (التقليد الأعمى للغرب، التخبط الفكري، اتباع كل ناعق). الآية دعوة لاستقلالية الرؤية ووضوح الهدف. أمة تعرف صراطها المستقيم هي أمة تصنع نهضتها بنفسها.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "طلب الهدى" بصيغة "اهدنا الصراط المستقيم" في كل ركعة.
· تدعونا إلى "مراجعة مسار حياتنا" بشكل دوري: هل نحن على الصراط أم انحرفنا؟
· تدعونا إلى "الاستقامة" بعدم الغلو والتفريط، وبالاعتدال في كل شيء.
· تدعونا إلى "نقد الذات" قبل نقد الآخرين: هل مشيتي سوياً أم مكباً؟

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند الاستيقاظ: انو أن تمشي اليوم سوياً على صراط مستقيم.
· عند اتخاذ قرار صعب: اسأل: أي الخيارين يجعلني أسير سوياً (مستقيماً) وأيهما يجعلني أنحرف (أكب على وجهي)؟
· عند رؤية من ينحرف: لا تسخر، بل ادعُ له بالهداية، وتذكر أنك كنت كذلك لولا هدى الله.
· عند الشعور بالثبات: احمد الله وقل "رب زدني هدى وثباتاً".
· عند الشعور بالتعب من الاستقامة: تذكر أن عاقبة السوي الوصول، وعاقبة المكب السقوط.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: تصميم مناهج تهتم بـ"تحديد مسار الحياة" للطلاب، وربطها بهذه الآية. تدريس "مهارات اتخاذ القرار" على أساس الصراط المستقيم.
· في الإعلام: صناعة برامج عنوانها "الصراط المستقيم" تقدم نماذج إيجابية لأشخاص سويين، وأخرى سلبية لأشخاص "مكبين" مع التعليق.
· في المساجد: خطب تركز على "الاستقامة" و"الاعتدال"، وتحذر من "الإكباب على الوجه" بمعنى التطرف أو الانحلال.
· في الإرشاد الأسري والنفسي: استخدام هذا المثل لعلاج حالات الحيرة والضياع: ارسم للمريض خطاً مستقيماً (صراطاً) وقل له: هذه حياتك، أين أنت الآن؟
· في القيادة المجتمعية: وضع "رؤية مستقيمة" للمجتمع، يقيس بها الجميع أداءهم: هل نحن نمشي سوياً نحو الأهداف أم مكبين؟

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

كم تعبت من الحيرة. كل يوم تسمع آراء متضاربة، وتُدعى إلى عشرات الطرق. يقول لك هذا: "هذا هو الحق"، ويقول لك ذاك: "بل هذا". كلهم واثقون، وأنت تائه. تنام وتصحو وأنت لا تدري إلى أين أنت سائر.

ربما ظننت أن المشكلة في كثرة الخيارات. لكن الحقيقة غير ذلك. الحقيقة أنك تمشي مكباً على وجهك.

نعم، أنت تمشي على وجهك يا قلب.
وجهك إلى الأرض، لا ترى أمامك. أنت تتعثر بالتفاصيل الصغيرة، تسقط خلف كل شهوة، تضيع في كل شبهة. أنت تشكو الضياع، ولكنك لم ترفع رأسك بعد.

ثم تأتي هذه الآية كيد حنون ترفع رأسك قسراً: {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}

أيها القلب... انظر.
انظر إلى الفرق.
من يمشي على وجهه مهما زينوا له، فإنه يتعب، ويتألم، ويسقط.
ومن يمشي سوياً معتدلاً، وإن كان بطيئاً، فإنه يرى الطريق، ويتجنب الحفر، ويصل.

يا قلب...

ارفع رأسك. ارفع بصرك عن التراب. انظر إلى الصراط المستقيم. إنه واضح. واضح كوضوح الشمس. إنه دين الله، كتابه، سنة نبيه. إنه الاستقامة على أمره، في السر والعلن.

لا تقل: "الطرق معقدة، والحقائق نسبية". كلا. الحق واحد، والباطل واحد. والمقارنة بينهما كالمقارنة بين مشي السوي ومشي المكب. لا يخفى على ذي عقل.

يا قلب...

قرر اليوم. أي المشيتين تختار؟
هل تختار أن تظل مكباً على وجهك، تتعثر بكل ذنب، وتضيع في ظلمات الحياة؟
أم تختار أن تكون سوياً، ترفع رأسك، وتمشي على صراط مستقيم، وإن تعثرت مرة، فستنهض وتكمل ؟

صلّ الصلاة. اقرأ القرآن. اسأل الله الهدى. ستجد نفسك فجأة ترى الطريق واضحاً. ستشعر بالطمأنينة مكان الحيرة، وبالقوة مكان الضعف.

دعني أخبرك سراً: أنت لست تائهاً. الطريق موجود. أنت فقط لم ترفع رأسك.

ارفع رأسك الآن.
قل: "اللّهم اهدني الصراط المستقيم. اللّهم اجعلني من السويين الذين يمشون على صراطك، ولا تجعلني من المكبين على وجوههم."
وسترى النور.

فاستقم... ولا تلتفت.
فالسوي وحده هو الذي يصل.
القسم الخامس
اولا
تفسير قوله تعالى
{قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} (الملك: 23)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

بعد أن ضربت الآية السابقة (22) المثل البصري للحق والباطل (المشي على الوجه مقابل المشي على الصراط المستقيم)، تأتي هذه الآية لتذكر المشركين والمكذبين بنعمة الوجود نفسها، وبأعظم الآلات التي تميز الإنسان: السمع والأبصار والأفئدة. الآية السابقة كانت سؤالا ً عن "من الأهدى؟" وهذه الآية تأتي بالجواب من خلال التذكير بالمنعم. فكيف يزعمون أنهم على هدى وهم يستخدمون هذه الأعضاء التي خلقها الله لهم في غير طاعته، بل في الكفر به؟ وهي دعوة صريحة للشكر، وتوبيخ على قلة الشكر. وكما أن من يمشي على وجهه لا يستخدم عينيه، فالكافر لا يستخدم سمعه وبصره وفؤاده الا ستخدام الصحيح.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (الأمر بالقول): "قُلْ" أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين.
· الفكرة الثانية (الإقرار بالخلق): "هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ" أي الله وحده هو الذي خلقكم وأوجدكم من العدم.
· الفكرة الثالثة (عد النعم): "وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ" أي جعل لكم أدوات الإدراك: السمع للأ صوات، والأبصار للمبصرات، والأفئدة (القلوب) للتعقل والتفقه.
· الفكرة الرابعة (توبيخ قلة الشكر): "قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" أي أنتم قليلا ً ما تشكرون الله على هذه النعم العظيمة.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات أن الله هو الخالق وحده، وأنه المتفضل على عباده بهذه الآلات الإدراكية، مما يستوجب توحيده وشكره.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على الشكر الدائم لله على نعمه الظاهرة والباطنة، وخاصة نعمة الحواس والقلب.
· الهدف النفسي: علاج "الجحود" و"نكران الجميل" الذي هو مرض نفسي، وتحويل الإنسان من نظرة العُجب بنفسه إلى نظرة الشكر لخالقه.

· الهدف المعرفي (المنهجي): تأسيس منهج أن "المعرفة" تبدأ بالحواس (السمع، البصر) ثم يعقلها القلب (الفؤاد)، وأن هذه الأدوات هي آيات الله التي يجب شكرها.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ}

1."قُلْ" : أمر للنبي ﷺ، وفيه توجيه له ولأمته من بعده بأن يبلغوا هذه الحقيقة .الخطاب للمشركين.
2."هُوَ الَّذِي" : حصر، أي الله وحده وليس غيره.
3."أَنشَأَكُمْ" : الإنشاء هو الإيجاد والخلق بعد العدم .والإشارة إلى بدء الخلق: من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى إنسان كامل .وهذه النعمة العظمى ينساها الناس.

المحور الثاني: تحليل {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ}

1.ترتيب الحواس في الآية:
· "السَّمْعَ" : مقدم لأنه أول حاسة تعمل في الجنين، ولأنه أكثر الحواس تلقياً للعلم (الوحي، اللغة، التعليم). السمع هو باب المعرفة الأول.
· "الْأَبْصَارَ" : تأتي بعده لأنها حاسة التفصيل والمشاهدة، تؤكد ما يسمعه.
· "الْأَفْئِدَةَ" : جمع فؤاد وهو القلب. يذكر بعد السمع والبصر لأنه هو العاقل المدبر، الذي يفهم ويدبر ويعقل. فالسمع والبصر آلات، والفؤاد هو المفسّر والمخزن.
2.دلالة الجمع بينهما:
· الإنسان لا يكتمل إدراكه إلا بهذه الثلاثة: يسمع الآيات، ثم يبصر الدلائل، ثم يعقل بقلبه. من فقد واحداً منهم فقد نقصاً كبيراً.
· الكافر وإن كانت هذه الأعضاء سليمة جسدياً، فهو أعمى وأصم بقلبه، فهو لم يستخدمها في شكر الله.

المحور الثالث: تحليل {قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ}

1."قَلِيلًا" : نعت لمصدر محذوف، أي شكراً قليلا ً .أو هي للتقليل.
2."مَّا" : زائدة للتوكيد، أو نكرة موصوفة.
3.المعنى: أنتم - أيها الناس - قليلا ً ما تؤدون شكر هذه النعم .أكثركم لا يشكر، أو شكركم قليل بـ النسبة لعظمة النعمة .فلو شكرتم ساعة واحدة من النهار على نعمة السمع والبصر والفؤاد، لكان قليلا ً .فكيف وأنتم لا تشكرون إلا نادراً؟

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج "جحود النعمة" (الامتنان): أكثر الأمراض النفسية سببها عدم الشعور بالامتنان. الإنسان الذي لا يشعر بقيمة عينيه وأذنيه وقلبه يعيش في نكد دائم. الآية تذكره بهذه النعم الأساسية، فتنفتح عيناه على حجم العطاء الإلهي، فيشعر بالامتنان، وهذا الامتنان هو أساس الصحة النفسية والسعادة.
· علاج "العُجب بالنفس" : الذي يقول "أنا نجحت بذكائي، وأنا تفوقت بقوتي". الآية تقول: من خلق عقلك؟ من جعل عينيك تبصران؟ من جعل قلبك ينبض؟ إنه الله. فتزول النرجسية، ويحل التواضع.
· علاج "فقدان المعنى": من لا يشكر يعيش حياة فارغة. الآية تربط بين وجودك (أنشأكم) وبين أدواتك (السمع والبصر) وبين غايتك (الشكر). تمنح الحياة معنى: لقد خلقت لتشكر.
· علاج "الشعور بالنقص" (بسبب فقد حاسة): قد يشعر الأعمى أو الأصم بالنقص. الآية تعطيه قيمة عظيمة: أنت مخلوق، ولك قلب (فؤاد) تشكر به. النعمة الباقية هي القلب الذي يعقل، وهو أعظم. هذا يعزز تقدير الذات.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان على وجود الخالق من خلال الحواس: الآية تقدم حجة عقلية مبهرة: أنت لديك سمع وبصر وفؤاد. هل هذه الأجهزة الدقيقة المعقدة خلقت نفسها بنفسها؟ أم هي نتاج صدفة؟ العقل السليم يقول: لا بد من خالق مدبر. وهو الله. فاستخدام حواسك يقودك إلى الإيمان.

· الرد على المادية والإلحاد: المادي ينكر وجود الروح والعقل المجرد. الآية تثبت "الأفئدة" كمركز للإ دراك والتفكر، وهو ما يعرف بالقلب المعنوي. هذا يثبت أن الإنسان ليس مجرد آلة.
· إثبات أن قلة الشكر هي مشكلة عقلية وأخلاقية: "قليلا ً ما تشكرون" تعني أن القاعدة في البشر الجحود إلا من رحم ربي. العقل السليم يدفع إلى شكر المنعم، فمن لم يشكر، ففيه خلل عقلي أو أخ لاقي.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على "الشكر العملي" منذ الصغر: عندما يسمع الطفل، نقول له "الحمد لله الذي أعطاك أذنين". عندما يرى، نقول "الحمد لله الذي أعطاك عينين". عندما يفهم، نقول "الحمد لله الذي أعطاك قلبا". نربطه بالشكر في كل لحظة.
· تربيتهم على استخدام الحواس في طاعة الله، لا في المعصية: الأذن تسمع القرآن، لا الغيبة. العين تنظر إلى كتاب الله، لا إلى الحرام. القلب يعقل ويتدبر، لا يحسد ويكيد. هذه تربية مباشرة من الآية.
· تربية "النظر إلى النعم" وليس إلى النِقم: أكثر الناس ينظرون إلى ما نقص، والآية تعلمهم أن ينظروا إلى ما أعطوا: السمع والبصر والفؤاد. هذا أصل التفكير الإيجابي.
· تربية المبادرة: "قل" : الأمر "قل" يعلم المؤمن أن يكون مبادراً في تبليغ الحق وذكر النعم.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في بداية اليوم: قل "الحمد لله الذي ردّ عليّ سمعي وبصري وفؤادي، وأحياني بعد ما أماتني".
· عند استخدام كل حاسة: عندما تسمع صوتاً جميلا ً، قل "الحمد لله". عندما ترى منظراً بديعاً، قل "الحمد لله". عندما تفكر فكرة صائبة، قل "الحمد لله الذي علّمني".
· في الدعاء: قل "اللّهم إني أشكرك على نعمة السمع والبصر والفؤاد، فلا تحرمني إياها، واستعملها في طاعتك".
· عند رؤية أعمى أو أصم: اشكر الله على نعمتك، وادعُ له بالشفاء، ولا تغتر فالنعمة قد تزول.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "جرد النعم": امسك ورقة واكتب: نعمة السمع) كم صوتاً تسمع؟(، نعمة البصر) كم لوناً ترى؟(، نعمة الفؤاد) كم مشكلة تحل؟ .(ثم قل "الحمد لله" لكل نعمة .هذا التمرين يقتل الجحود.
.2تمرين "شكر الحواس": اختر ساعة في اليوم، مع كل منبه) سمع(، ومع كل ضوء) بصر(، ومع كل شعور) فؤاد(، قل "الحمد لله".
.3تمرين "تذكرة النشأة": تذكر أنك كنت لا شيئاً، ثم خلقك الله .هذا يزرع التواضع والذل لله.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما تفتح عينيك في الصباح، توقف لحظة، وتأمل: كم إنساناً أمسى أعمى لا يبصر هذا الضوء؟ وأنت تبصر، فمن أعطاك هذا؟ اشكره.
· الوقفة الثانية: عندما تسمع أذان الفجر، تذكر أن هناك أصماً لا يسمع هذا الصوت العذب. اشكر الله على سمعك.
· الوقفة الثالثة: عندما تفكر في أمر معقد وتتوصل إلى حل، تذكر أن عقلك (فؤادك) هو نعمة، وأن كثيراً من الناس فقدوا رشدهم أو عقلهم. اشكر الله.
· الوقفة الرابعة: عندما ترى إنساناً غافلا ً يستخدم سمعه وبصره في المعصية، اعلم أنه لم يشكر الله على هذه النعم، فسلب بركتها.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "قُلْ هُوَ الذِي أنشَأكُم" : اسأل نفسك: هل تذكرت اليوم أنك مخلوق لله؟ أم عشت كما لو أنك خالق نفسك؟ تب وارجع إلى ربك.
· عند قراءة "وَجَعَلَ لَكُمُ السَمْعَ..." : توقف وافحص حواسك: هل سمعي سليم؟ هل بصري سليم؟ هل عقلي سليم؟ احمد الله، وكن مستعداً لاستخدامها في طاعته.
· عند قراءة "قَلِيلًا مَا تشْكُرُونَ" : اسأل: كم مرة شكرت الله اليوم؟ هل تجاوزت عدد أصابع اليد

الواحدة؟ أستغفر الله وأشكره الآن.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: نعمة الوجود نفسها أعظم من أي نعمة أخرى.
· التطبيق: لا تحزن على ما فاتك من مال أو جاه، فأنت حي، تسمع، تبصر، تعقل. هذه كنوز.
· الدرس الثاني: الحواس والقلب أمانة عندك، ستسأل عنها.
· التطبيق: احفظ سمعك وبصرك وقلبك من المعاصي، واستخدمها في طاعة الله.
· الدرس الثالث: الشكر يكون بالقلب (اعترافا)، واللسان (حمدا)، والجوارح (طاعة).
· التطبيق: لا تكتفِ بقول "الحمد لله"، بل أطع الله بجوارحك.
· الدرس الرابع: أكثر الناس لا يشكرون، فكن أنت من القلة الشاكرة.
· التطبيق: اكتب كل يوم نعمة واحدة على الأقل تشكر الله عليها، وسترى كيف تزيد النعم.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من الشعور بالفقر الدائم إلى الشعور بالغنى الحقيقي: غناك ليس في مالك، بل في سمعك وبصرك وعقلك .هذه هي الثروة الحقيقية.
.2من نكران الجميل إلى الامتنان الدائم: ستصبح حياتك كلها شكرا: شكرا على الطعام، شكرا على الشراب، شكرا على النوم، شكرا على كل نبضة قلب.
.3من الغفلة عن الله إلى ذكره الدائم: كلما استخدمت حاسة، تذكرت الله الذي أعطاك إياها .فيصبح ذكرُ الله ملء حياتك.
.4من العُجب بالنفس إلى التواضع: ستعلم أن ما تملكه من قدرات هو عطاء إلهي، فلا تتكبر على الخلق.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "عد النعم": القدرة على حصر النعم الظاهرة والباطنة.
· مهارة "الربط بين النعمة والمنعم": كل حاسة تذكرك بالله.
· مهارة "التفكر في خلق الإنسان": الإعجاز في خلق السمع والبصر والفؤاد.
· المهارات النفسية:
· مهارة "الامتنان" : تدريب النفس على الشكر اليومي.
· مهارة "تقدير الذات الإيجابي": تقدير الذات على أنها نعمة من الله، لا على أساس التفاخر.
· مهارة "تحويل الجحود إلى شكر": تمارين يومية لعلاج عدم الامتنان.
· المهارات العملية:
· مهارة "الشكر العملي": استخدام الجوارح في طاعة الله.
· مهارة "حفظ الحواس": تجنب الغيبة والنظر الحرام واستماع الباطل.
· مهارة "الدعاء بحفظ النعم": قول "اللهم لا تحرمني سمعي وبصري وفؤادي".

رابعا: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد التشريحي (الفيزيولوجي): الإشارة إلى أعظم أجهزة الإدراك في جسم الإنسان. الآية تحفز على دراسة علم الأعصاب والحواس.
· البعد النفسي (الروحي): ربط الصحة النفسية بالشكر، والجحود بمرض روحي.
· البعد العقدي (التوحيد): إثبات أن الخلق والإيجاد صفة خاصة بالله وحده.
· البعد التربوي (الأخلاقي): غرس قيمة الشكر كأصل من أصول الدين.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة الشكر: أساس العبودية.
· قيمة التواضع: الاعتراف بأن كل النعم من الله.
· قيمة الوعي: استخدام العقل والقلب في التفكر.
· قيمة المسؤولية: تحمل مسؤولية استخدام الحواس فيما يرضي الله.
· قيمة الحياة: تقدير نعمة الوجود ذاتها.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الإنشاء": الخلق من العدم، وهو خاص بالله، في مقابل "التكوين" أو "التطور".
· مفهوم "السمع": أداة تلقي العلم، وأول باب للمعرفة.
· مفهوم "الأبصار": أداة المشاهدة واليقين.
· مفهوم "الأفئدة": مركز التعقل والتفقه والإيمان.
· مفهوم "قلة الشكر": طبع البشر الأصلي، يحتاج إلى مجاهدة ليصبح من القليلين الشاكرين.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "تربية الحواس": تدريب الطفل على الاستخدام الصحيح للحواس (سماع خير، نظر خير، تفكر خير).
· مفهوم "تربية الشكر": جعل الشكر عادة يومية تبدأ من الفطرة.
· نفسياً:
· مفهوم "الامتنان العلاجي": استخدام تمارين الشكر لعلاج الاكتئاب والقلق.
· مفهوم "إعادة التأطير الإيجابي": النظر إلى النعم الموجودة بدلاً من النعم المفقودة.
· فكرياً:
· مفهوم "الإدراك التوحيدي": أن معرفة الله تكون من خلال ما أعطاه من حواس.
· مفهوم "النقد الذاتي": أن تعترف أنك من القليلين الشكر، فتبذل جهداً لتزيد شكرك.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "شكور" ليس "كفوراً". شكوره ليس باللسان فقط، بل بجوارحه. يستخدم سمعه وبصره وفؤاده في طاعة الله، وفي تعلم العلم، وفي خدمة المجتمع. هذا الإنسان هو الإنسان المتكامل.
· تنمية المجتمع: مجتمع شاكر لنعم الله، يعمر الأرض، ويستخدم حواسه وعقله في الإبداع والابتكار، لا في التدمير. المجتمع الشاكر تزيد نعمه، والمجتمع الجحود ينزع الله نعمه.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الغفلة عن النعم" إلى عقل "اليقظة الدائمة بها". الذي يدرك أنه يسمع ويبصر ويعقل بنعمة الله، يقدّر هذه النعم فيستخدمها أفضل استخدام.
· نفسياً: بناء إنسان "امتناه"، وهذا الامتنان هو مفتاح السعادة والرضا النفسي. المجتمعات الشاكرة أقل عرضة للاكتئاب والانهيارات النفسية.
· فكرياً: تأسيس "نظرية المعرفة الإسلامية": المعرفة تبدأ بالسماع، ثم البصر، ثم التعقل (الفؤاد). هذه المنهجية يجب أن تكون أساس التعليم: استمع (تلقي العلم)، ثم انظر (تأمل وتدبر)، ثم اعقل (استنتج وطبق).
· صناعة النهضة: إذا استخدم الناس أسماعهم في استماع العلم النافع، وأبصارهم في قراءة الكتب ومشاهدة التجارب، وأفئدتهم في التفكير والإبداع، ستتقدم أمتهم. أما إذا استخدموا هذه الأعضاء في اللهو والغيبة والنظر الحرام والتفكير التافه، فتتخلف الأمم. الآية تحدد معادلة النهضة: (سمع + بصر + فؤاد) شاكرة = تقدم وحضارة.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "نظام الشكر اليومي": تخصيص وقت في الصباح والمساء لذكر نعم السمع والبصر و الفؤاد.
· تدعونا إلى "الصيانة الروحية للحواس": حماية الأذن من سماع الحرام، والعين من النظر الحرام، و القلب من الأمراض.
· تدعونا إلى "توجيه التعليم": أن يكون التعليم قائماً على تنمية السمع (الاستماع الجيد)، والبصر (الملا حظة)، والفؤاد (التفكير النقدي).
· تدعونا إلى "علاج الجحود": من خلال حملات توعوية بنعم الله الأساسية.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند الاستيقاظ: قل: "الحمد لله الذي رد علي سمعي وبصري وعقلي، وأحياني بعد موتي".
· عند الوضوء: عند غسل الأذن، قل "اللّهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه". عند غسل العين، قل "اللّهم نور بصري بالقرآن". عند مسح الرأس، قل "اللّهم ثبت فؤادي على دينك".
· عند سماع خبر: استخدم سمعك في استماع الخير فقط.
· عند النظر إلى مشهد: استخدم بصرك في النظر إلى آيات الله، وتجنب النظر الحرام.
· عند التفكير: استخدم فؤادك في تدبر القرآن والتفكر في خلق الله.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدخال منهج "تنمية الحواس" في رياض الأطفال: تدريب الأطفال على الشكر العملي لكل حاسة. تدريس "نظرية المعرفة الإسلامية" في الجامعات: كيف نعرف الله من خلال السمع والبصر و الفؤاد.
· في الإعلام: صناعة برامج توعوية عن "نعم الله التي ننساها" (السمع، البصر، العقل). إنتاج أناشيد وأفلام قصيرة عن الشكر للأطفال.
· في المساجد: تخصيص خطب عن "الشكر" و"نعمة السمع والبصر والفؤاد". دورات لتعليم "فقه الحواس": ما يجوز وما لا يجوز سماعه ورؤيته وتفكيره.
· في الرعاية الصحية: برامج توعوية لمرضى فقدان الحواس لتعزيز تقدير الذات من خلال الشكر على ما تبقى (الفؤاد).
· في تنمية المجتمع: حملات "شكر النعمة" الاجتماعية: تذكير الناس بالنعم الأساسية ليزيد الله منهم.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

كم مرة استيقظت وفتحت عينيك، ولم تفكر للحظة في أن هناك من لا يفتح عينيه أبداً؟ كم مرة سمعت صوتاً جميلا ً، ولم تدر أن هناك من سقط في بئر الصمت الأبدي؟ كم مرة فكرت فكرة، وحللت مشكلة، وشعرت بالدهشة، ونسيت أن هناك من فقد عقله، أو أطفئ نعمة التفكير في قلبه؟

هذه الآية تأتيك اليوم لتقرع جدار غفلتك: {قلْ هُوَ الذي أنشَأكُم}

لقد خلقك من لا شيء. كنت عدماً، فجعل منك إنساناً. هذا وحده يستحق منك شكراً لا ينقطع.

{وَجَعَلَ لكمُ السّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ}

أعطاك أذناً تسمع بها آياته، وأذناً تسمع بها شكوى المظلوم، وأذناً تسمع بها نصيحة الحبيب. هل شكرته ؟

أعطاك عيناً ترى بها جمال خلقه، وعيناً تقرأ بها كتابه، وعيناً تدمع من خشيته. هل شكرته؟

أعطاك قلباً يعقل، وقلباً يحب، وقلباً يخاف، وقلباً يرجو. أعطاك أغلى ما فيك. هل شكرته؟

ثم يقول لك: {قلِيلًا مّا تشْكرُونَ}

قليلا ً. قليلا ً جداً. أنت تشكر على المال، وتشكر على الصحة، وتشكر على الطعام. ولكن هل شكرت على سمعك اليوم؟ هل شكرت على بصرك؟ هل شكرت على فؤادك؟

لو شكرت ساعة واحدة فقط، لقل الشكر. فكيف وأنت لا تذكر هذه النعم إلا حين تفقدها؟

يا قلب...

اليوم، قبل أن تنام، جرب شيئاً. أغمض عينيك. تخيل الظلام الدامس. ثم افتحهما. اشعر بالنور. قل: "الحمد لله".

سد أذنيك بأصابعك. تخيل الصمت المطبق. ثم أزلهما. اسمع صوت المروحة، صوت أنفاسك، صوت أي

شيء. قل: "الحمد لله".

فكر في أصعب مشكلة واجهتها اليوم. كيف حليتها؟ بعقلك. تخيل أنك لا تستطيع أن تفكر. ارتعب. ثم قل: "الحمد لله على الفؤاد".

يا قلب...

أنت غني. أغنى الأغنياء. تملك كنوزاً لا تشترى بمال: عينين ترى، وأذنين تسمع، وقلباً يعي. فلا تضيعها في معصية الله. استخدمها في شكره وطاعته.

اجعل شعارك اليوم وغداً: "الحمد لله على السمع والبصر والفؤاد".
ستشعر بسعادة لم تشعر بها من قبل.
وستدرك أن قلة الشكر هي الجحود، وكثرة الشكر هي الحياة.
ثانيا
تفسير قوله تعالى

{قُلْ هُوَ الذي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (الملك: 24)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآية السابقة (23) كانت تذكيراً بالنعم العظمى (السمع والأبصار والأفئدة) وتوبيخاً على قلة الشكر. وهذه الآية تأتي لتذكرهم بنعمتين أخريين: نعمة "الذرء في الأرض" (الإكثار والتكثير والانتشار) ونعمة "الحشر إليه" (وهي نعمة اللقاء بعد الموت، وإن كانت تحمل في طياتها وعيداً). الآية السابقة دعت إلى شكر الله على ما أعطى من آلات الإدراك، وهذه تدعو إلى إدراك حقيقة المصير. كما أن الآية السابقة كانت توبيخاً على نسيان المنعم، وهذه توبيخ على نسيان المصير. وهي جواب عما كان المشركون يسألونه من استعجال العذاب، يقول لهم: لا تستعجلوا، فالله هو الذي خلقكم ونشركم في الأرض، وإليه ترجعون وتحشرون، فسيجازيكم بأعمالكم.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (الأمر بالقول): "قلْ" أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين المخاطبين.
· الفكرة الثانية (الذرء في الأرض): "هُوَ الذي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ" أي الله وحده هو الذي خلقكم وأكثَركم ونشركم في أرجاء الأرض.
· الفكرة الثالثة (الحشر إليه): "وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" أي إليه وحده ترجعون بعد الموت للحساب والجزاء، وليس إلى آلهتكم.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات أن الله هو الخالق البارئ الذارئ، وأنه وحده المالك ليوم الحشر، فيجب توحيده في العبادة والخوف والرجاء.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على الشعور بالمسؤولية تجاه أفعاله، لأنه سيُحشر إلى الله، فيستعد لذلك اليوم.
· الهدف النفسي: علاج "الاستعجال" و"التهور" اللذين يدفعان الإنسان إلى طلب العذاب قبل أوانه. وعلا ج "الغفلة عن الآخرة" التي تجعل الإنسان يعيش كأنه لا يبعث.
· الهدف المعرفي (المنهجي): إقامة الحجة بأن الذي قدر على خلقكم وتكثيركم ونشركم في الأرض، قادر على إعادتكم وحشركم. فالبداءة أبلغ من الإعادة.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {قلْ هُوَ الذي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ}

.1"قُلْ" : أمر للنبي ﷺ وللأمة من بعده، بالتبليغ والإعلان.
.2"هُوَ الَّذِي" : حصر، أي الله وحده.
.3"ذَرَأَكُمْ" : من الذرء، وهو الخلق والإيجاد مع معنى الكثرة والانتشار والتفريق .الفعل "ذرأ" يدل على: الخلق) أوجدكم من عدم(، والتكثير) أكثر أعدادكم(، والنشر) فرقكم في الأرض، أجيالا ً وأمماً وقبائل.(
· الذرء أشمل من مجرد الخلق، فهو خلق مع تناسل وتكاثر وامتداد في البقاع.
.4"فِي الْأَرْضِ" : أي على ظهرها، في جميع أرجائها .من أقصاها إلى أقصاها.

المحور الثاني: تحليل {وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

.1"وَإِلَيْهِ" : الواو للعطف، و"إليه" تفيد الانتهاء والمصير .الحشر يكون إلى الله وحده، لا إلى غيره.
.2"تُحْشَرُونَ" : الحشر هو الجمع والضم بعد التفرق .يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين من كل مكان في صعيد واحد.
· الفعل بصيغة المضارع المرفوع "تحشرون" لاستحضار الصورة، وكأنه يحدث الآن.
· وهو فعل مبني للمجهول: أنتم محشورون، أي أن الله هو الذي يحشركم، وليس لكم خيار.

المحور الثالث: العلاقة بين الذرء والحشر

· استدلال بالبداءة على الإعادة: من قدر على أن يخلقكم من نطفة، ثم ينشركم في الأرض شعوباً وقبائل، فإنه قادر على أن يجمعكم بعد موتكم. فالذي خلق أول مرة أقدر على خلق الثانية.
· الرد على منكر البعث: كما قال تعالى في آية أخرى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} (الروم: 27). هذه الآية من أقوى الحجج العقلية على البعث.
· معنى تربوي: الذي فرقكم في الأرض سيجمعكم، فلا تظنوا أنكم تفلتون منه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج "الاستعجال" (الذي يسأل عن العذاب استهزاءً): كان المشركون يقولون "متى هذا الوعد؟". الآية تقول: لا تستعجلوا، فالحشر إليه لا محالة، وهو أعظم من عذاب الدنيا. هذا يهدئ من روع المؤمن، ويزعزع أمن الكافر المستعجل.
· علاج "الشعور بالضياع في كثرة البشر": عندما ترى البشر يتكاثرون ويتفرقون في الأرض، قد تشعر بأنك حبة رمل لا قيمة لها. الآية تؤكد أن الذي ذرأكم (أكثركم ونشركم) هو الذي سيحشركم، أي أن كل فرد مهم ومحاسب. هذا يعيد قيمة الذات.
· علاج "الخوف من الموت والوحدة بعد الموت": قد يخاف الإنسان من أن يموت وحيداً، أو أن يضيع جسده. الآية تطمئنه: الله الذي جمعك في رحم أمك، ونشرك على الأرض، سيجمعك مرة أخرى. لست تائهاً بعد الموت.
· توليد "الشعور بالمسؤولية": إذا تيقنت أنك محشور إلى الله، صرت أكثر حرصاً على عملك، وأقل استهانة بالذنوب. يتحول الخوف من الموت إلى خوف من المساءلة.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان العقلي على البعث (من الذرء إلى الحشر): هذا برهان قوي: هل يصعب على الله أن يعيد جمع ما فرقه، وهو قادر على أن يخلق من العدم وينشر الأمم؟ العقل السليم يقول: المبدأ أعظم من ا لإعادة. فإذا صدقتم بالخلق الأول فصدقوا بالإعادة.
· الرد على المادية والقول بفناء الإنسان: المادي يقول: الإنسان يموت ويتلاشى. الآية ترد: الذي ذرأكم في الأرض بقدرته، سيحشركم بقدرته. المادة ليست هي نهاية المطاف.
· إثبات أن الحشر صفة من صفات الله الفعلية: الله هو الذي يحشر، لا أحد غيره. والأدلة العقلية و النقلية تؤكد أن الحشر حق.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على فكرة "البعث والحساب" منذ الصغر: نعلم الطفل أنه كما أن الله خلقه ونشره مع الناس، فإنه سيجمعهم جميعاً يوم القيامة. نربط بين وجوده الآن وحضوره يوم الحساب.
· تربيتهم على "تقدير التنوع البشري": "ذرأكم في الأرض" يعني أن الله خلق الناس مختلفين ألواناً

وألسنة وأعراقاً. هذا يعلم الطفل احترام الاختلاف، وأن الجميع سيحشرون إلى الله، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.
· تربيتهم على "عدم الاستهانة بالآخرين": كل إنسان مهما كان وضعه، هو مخلوق لله وسيحشر إليه. فلا يحقرن أحداً.
· تربية "النظر إلى العواقب": كل سلوك اليوم له جزاء يوم الحشر. نربط بين العمل والعقاب / الثواب.

رابعاً: الرسائل العملية:

· في الحج والعمرة (مشهد الحشر): عندما ترى ملايين الناس مجتمعين في صعيد واحد (عرفة، مزدلفة، منى)، تذكر أن هذا مشهد مصغر ليوم الحشر. قل: "اللهم حشرنا مع الأبرار".
· عند رؤية الزحام والتجمعات البشرية: تذكر أن الله سيجمع الناس أكبر من هذا الجمع. استعد.
· في الدعاء: قل "اللهم إنك ذرأتنا في الأرض، فاجمعنا في جنتك برحمتك. ولا تحشرنا مع الظالمين".
· عند الشعور بالغربة أو الوحدة في بلد بعيد: تذكر أن الله الذي ذرأك في هذا المكان سيجمعك إليه وإلى أحبابك المؤمنين.

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "التفكر في الذرء": تأمل كيف خلق الله آدم، ثم منه ذرأ البشر وتكاثروا حتى ملؤوا الأرض . انظر إلى اختلاف أشكالهم وألوانهم .أليس الله بقادر على أن يحشرهم؟ قل "سبحان القادر على البدء والإعادة".
.2تمرين "تخيل الحشر": أغمض عينيك وتخيل أنك في أرض المحشر، مع كل الناس، عراة حفاة، تنتظر الحساب .استشعر الهول، ثم قل "اللهم إني أعوذ بك من أهوال يوم القيامة".
.3تمرين "النظر إلى الكثرة": عندما ترى زحاماً، أو طوابير، أو ازدحاماً في موسم، تذكر أن الله هو الذي أنشأ هذه الكثرة، وهو الذي سيحشرها .هذا يبقي الآخرة حاضرة.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما ترى اختلاف الأجناس والألوان في الشارع أو في العمل. توقف وقل: "هذا من ذرء الله في الأرض. كلهم مخلوقون، وكلهم محشورون". هذا يزيل التعصب.
· الوقفة الثانية: عندما تشعر بالكثرة والازدحام (مثل: مترو، مطار، موسم حج). تذكر: "هذه صورة صغيرة من الحشر، فكيف بيوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين؟" استعد.
· الوقفة الثالثة: عندما تسمع عن هجرة أو تنقل أو انتشار لمجموعة بشرية. تذكر أن الله هو الذي يذرأهم وينشرهم لحكمة.
· الوقفة الرابعة: عندما تقع في معصية وتظن أنك لن تحاسب. تذكر: "وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ". ستحاسب. ارتدع.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ" : اسأل نفسك: هل أنا ممتن لله على أن جعلني ضمن هذا البشر المنتشر؟ هل أستخدم نعمة التنقل والسفر في طاعته؟
· عند قراءة "وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" : اسأل: هل أنا مستعد للحشر؟ هل عملي يشفع لي أم يشهد علي؟ لابد أن أتوب وأستعد.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: الله هو الخالق الذارئ، فلا تشرك به أحداً في الخلق أو الرزق.
· التطبيق: احذر من الشرك الخفي: أن تعتقد أن شخصاً أو قوة طبيعية هي التي تخلق أو تنشر أو تفرق.
· الدرس الثاني: الله سيجمع الناس جميعاً يوم القيامة، فلا تغتر بكثرة قومك أو ضعفهم.
· التطبيق: اهتم بعملك الصالح، ولا تعلق أملك بكثرة الأتباع أو الأنصار.
· الدرس الثالث: التنوع البشري آية من آيات الله، فيجب احترامه.
· التطبيق: لا تتعصب لقوميتك أو عرقك، بل اعتبر أن الجميع من ذرء الله.
· الدرس الرابع: من دلائل قدرة الله على البعث، بدء الخلق وتكثيره ونشره.
· التطبيق: إذا سمعت من ينكر البعث، فاستدل عليه بهذه الآية: من قدر على بدء الخلق فهو قادر

على إعادته.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من الشعور بأن الحياة فوضى وكثرة لا معنى لها إلى الشعور بأن لكل إنسان حساباً: الكثرة البشرية قد تخلق شعوراً باللامعنى، لكن الآية تعطي لكل فرد قيمة وقضية: سيحشر إليه.
.2من الغفلة عن الآخرة إلى استحضارها الدائم: كلما رأيت تجمعاً بشرياً، تذكرت الحشر، فيصبح استحضار الآخرة عادة.
.3من التعصب القبلي والعنصري إلى الأخوة الإنسانية: الكل من ذرء الله، والكل محشور إليه .هذا يزيل الحواجز الوهمية.
.4من الخوف من الموت إلى الاستعداد له: سأحشر إليه، فأعمل لما بعد الحشر.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "الاستدلال بالبداءة على الإعادة": القدرة على بناء حجة عقلية للبعث.
· مهارة "قراءة آيات الانتشار البشري": فهم الحكمة من اختلاف الأجناس والألسنة.
· مهارة "تمييز الذرء من الخلق": الفرق بين الإيجاد والتكثير والنشر.
· المهارات النفسية:
· مهارة "تحويل الاستعجال إلى صبر": عدم الاستعجال في طلب العذاب أو الجزاء.
· مهارة "احترام التنوع": تقبل الآخر المختلف لأنه من ذرء الله.
· مهارة "استحضار الحشر": تدريب النفس على التفكر في يوم القيامة.
· المهارات العملية:
· مهارة "الدعاء بحسن الحشر": قول "اللهم حشرنا في زمرة الصالحين".
· مهارة "التأمل في مشاهد الزحام": استخدام التجمعات البشرية كتذكير بالآخرة.
· مهارة "التعايش بين الأمم": لأن الجميع من ذرء الله ومحشور إليه.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد الأنثروبولوجي (البشري): الحديث عن ذرء البشر في الأرض، وتنوعهم، وانتشارهم، مما يحفز على دراسة علم الأنساب والهجرات البشرية.
· البعد الجغرافي (الديموغرافي): الإشارة إلى أن الأرض هي مكان التكاثر والانتشار، ثم الحشر إلى مكان آخر.
· البعد العقدي (الإلهي): إثبات صفة الخلق والذرء، وصفة البعث والحشر.
· البعد التربوي (الاجتماعي): غرس قيمة المسؤولية الجماعية والفردية، واحترام التنوع البشري.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة التوحيد: إفراد الله بالخلق والحشر.
· قيمة المسؤولية: لأنك محشور إلى الله.
· قيمة التسامح: لأن الناس جميعاً من ذرء الله.
· قيمة الأمل: لأن الحشر يمكن أن يكون إلى جنة.
· قيمة الاستعداد: أخذ العدة ليوم الحشر.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الذرء" : الخلق مع التكثير والانتشار، وليس مجرد الإيجاد فقط.
· مفهوم "الأرض" : مكان الامتحان والنشر والتناسل، وليست دار قرار.
· مفهوم "الحشر" : الجمع للحساب، وهو من صفات الله الفعلية.
· مفهوم "تحشرون" : بصيغة المبني للمجهول، إشارة إلى أن الإنسان ليس له خيار في الحشر، فهو واقع لا محالة.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "تربية الوعي بالآخرة": تعليم الطفل أن كل إنسان سيجمع يوم القيامة.
· مفهوم "تربية المواطنة العالمية": الإنسان من ذرء الله في الأرض، والأرض كلها لله، فلا عصبية عمياء.
· نفسياً:
· مفهوم "الرد على القلق الوجودي": الإنسان قلق من الفناء، والحشر يمنحه أملا ً في البقاء.
· مفهوم "التسامح العقدي" (مع غير المسلمين): هم من ذرء الله، وسيحشرون إليه، وأمرهم إلى الله.
· فكرياً:
· مفهوم "الاستدلال بالغائب على الشاهد": الدنيا مشهد مصغر للحشر.
· مفهوم "حتمية البعث": الإيمان بالبعث هو أصل من أصول الإسلام.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "مستعد للحشر" وليس "غافلا ً عنه". إنسان يعمل للدنيا كأنه يعيش أبداً، ويعمل للآخرة كأنه يموت غداً. هذا الإنسان المتوازن هو محور النهضة.
· تنمية المجتمع: مجتمع يوقن بالحشر، فتقل فيه الجريمة والظلم، لأنه يعلم أن كل شيء سيُحشر ويُحاسب. مجتمع لا يظلم أبناءه لأنه يعلم أن الله سيجمعهم جميعاً يوم القيامة. مجتمع يهتم بالعدل والمساواة لأن الجميع محشورون.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الغفلة عن البعث" إلى عقل "استحضار الحشر". هذا يمنع الفساد الأخلاقي، لأن مراقبة يوم الحشر هي أشد رادع.
· نفسياً: بناء إنسان لا يخاف من كثرة العدو ولا يغتر بكثرة حزبه، لأنه يعلم أن الجميع محشورون إلى الله، والحكم لله. هذا يمنحه شجاعة نفسية عالية.
· فكرياً: تأسيس "فلسفة التاريخ" الإسلامية: بدء الخلق (الذرء) ونهايته (الحشر) تحت إرادة الله. التاريخ له بداية ونهاية، وهذا يعطي معنى لتطور البشرية.
· صناعة النهضة: أي نهضة حضارية تحتاج إلى "رؤية للمستقبل" (الحشر) لتوجيه الحاضر. الأمة التي تؤمن بأنها محشورة إلى الله ستعمل لتحقيق رضاه في الدنيا، فتسعى للعدل والعلم والقوة. الأمة التي تنكر الحشر ستعمل فقط للمتعة العاجلة فتفسد. الآية تضع البوصلة: "وإليه تحشرون" هو الخط النهائي الذي يجب أن تقاس به كل الأعمال.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "استحضار يوم الحشر" في كل قرار كبير وصغير.
· تدعونا إلى "احترام التنوع البشري" لأن الجميع من ذرء الله.
· تدعونا إلى "العمل للآخرة" مع العيش في الدنيا.
· تدعونا إلى "الدعاء بحسن الختام وحسن الحشر".

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند الاستيقاظ: قل "الحمد لله الذي ذرأني في الأرض، وسيحشرني إليه، فاجعل حشري إلى جنانك".
· عند رؤية تجمع بشري (مطار، ملعب، حج): تذكر الآية، وقل "هكذا نحشر، اللهم سهل حشرنا واجعلنا مع الصالحين".
· عند السفر: تذكر أن الله هو الذي ذرأك وسيحشرك، فاستغل سفرك في طاعته.
· عند التعامل مع من يخالفك في العرق أو الدين: تذكر أنه من ذرء الله، وسيحشر إليه. عامله بـ العدل.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: تدريس مفهوم "البعث والحشر" كحقيقة علمية وعقدية، وربطها بالعلوم (الفيزياء، الكيمياء، الأحياء) لإثبات إمكانية الإعادة. تدريس "التنوع البشري" كآية من آيات الله تستوجب الشكر والتسامح.
· في الإعلام: صناعة أفلام وثائقية عن "مشاهد الحشر" بتقنيات بصرية مؤثرة، لترسيخ الإيمان باليوم

الآخر. برامج تسافر حول العالم لترى التنوع البشري وتقول: هؤلاء من ذرء الله.
· في المساجد: خطب عن "الاستعداد ليوم الحشر"، وعن "الوحدة الإنسانية" لأن الجميع من ذرء الله. دروس في "الإيمان بالآخرة" وعلاقته بالسلوك.
· في السياسة والمجتمع: تصميم سياسات تعزز التعايش بين الأعراق والثقافات انطلاقاً من أن الجميع مخلوقون لله ومحشورون إليه. محاربة العنصرية والتعصب القبلي.
· في المحاكم والنظام القضائي: تذكير القضاة والمحامين بأن الناس سيُحشرون إلى الله، فلا يظلموا أحداً.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

لطالما شغلتك الدنيا بأعدادها وكثرتها. نظرت إلى البشر يتزاحمون، يتنقلون، يتكاثرون، وتساءلت: ما معنى هذه الكثرة؟ لماذا كل هؤلاء؟ وأين يذهبون بعد الموت؟ هل يضيعون؟ هل ينتشرون في الأرض فلا يجمعهم جامع؟

الآية تهمس في أذنك: {قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ}

هو الذي بدأ الأمر. هو الذي أخرجكم من صلب آدم كالذر، ثم كثركم حتى ملأتم الأرض. هو الذي جعل منكم شعوباً وقبائل، وألواناً وألسنة. هو الذي وضعك أنت هنا، وهو الذي وضع غيرك هناك. ليس الأمر فوضى، بل هو خلق وتدبير وتفريق لحكمة.

ثم تقول: {وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

لا تضيعون. لا تتبخرون. لا تصبحون تراباً لا معنى له. بل ستعودون إليه. إليه وحده. سيجمعكم كما فرقكم. سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد. ستقفون بين يديه، كل هؤلاء البشر الذين رأيتهم، سيكونون هناك. أنت أيضاً.

يا قلب...

هذه الآية تجيب عن سؤالين أساسيين في حياتك: من أين جئت؟ (ذرأكم في الأرض) وإلى أين أنت ذاهب؟ (وإليه تحشرون).

إذا عرفت الإجابة، تغيرت حياتك. لن تعيش عابثاً. ستعلم أن لك خالقاً ذرأك، وأن لك معاداً ستحشر إليه.

يا قلب...

لا تنظر إلى الناس بازدراء، فهم من ذرء الله مثلك. لا تنظر إليهم بخوف، فهم محشورون إلى الله مثلك. لا تظلمن أحداً، فستلقاه يوم الحشر. لا تغفلن عن عملك، فسيُعرض عليك يوم الحشر.

استعد اليوم.
توب الآن.
واستقبل الموت بقلب سليم.
فالموت ليس نهاية، بل هو بوابة الحشر.

اللهم إنا نؤمن بأنك ذرأتنا في الأرض، وإليك تحشرنا.
فارحمنا يوم الحشر برحمتك، وأدخلنا جنتك مع الأبرار، ولا تفضحنا بين يدي الخلائق.
يا من يجمع الخلق ليوم لا ريب فيه، اجمعنا في زمرة محمد ﷺ.
آمين.
ثالثاً
تفسير قوله تعالى
{وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (الملك: 25)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآيات السابقة كانت سلسلة من الحجج والبراهين على قدرة الله ووحدانيته وعلمه ورحمته وحشر الخلق إليه. الآية 23 ذكرت نعمة السمع والأبصار والأفئدة، والآية 24 ذكرت أن الله هو الذي ذرأهم في الأرض وإليه يحشرون. وهذه الآية (25) تأتي لتحكي اعتراض المشركين المستفز والمتكرر: "متى هذا الوعد؟". فهم كانوا يسألون عن موعد العذاب أو الساعة استهزاءً وإنكاراً. والآيات التالية سترد عليهم بأن العلم بوقت ذلك عند الله وحده. هذا الأسلوب في القرآن كثير: يذكر البراهين، ثم يحكي تعنت المعاندين. والآية تربط ما قبلها (الحشر) بما بعدها (جواب السؤال عن وقته).

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (حال المشركين القولي): "وَيَقُولُونَ" أي من عادتهم وشأنهم أنهم يقولون.
· الفكرة الثانية (سؤالهم عن وقت الوعد): "مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ" أي متى يأتي هذا العذاب الذي تعدنا به يا محمد؟ أو متى تقوم الساعة التي تخوفنا بها؟
· الفكرة الثالثة (تهمة النبي والمؤمنين بالكذب): "إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" أي هاتوا وقت العذاب إن كنتم صادقين في دعواكم.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات أن علم الساعة وغيب المستقبل لا يعلمه إلا الله، وأن استعجال المشركين للعذاب هو من الجهل والغرور.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على الصبر أمام استفزازات المشركين، وألا ينشغل بردودهم الجدلية العقيمة.
· الهدف النفسي: علاج ظاهرة "الاستعجال" و"التهكم" و"طلب الآيات حسب أهواء المعاندين"، وتدريب النفس على الإيمان بالغيب دون الحاجة إلى تحديد زمني دقيق.
· الهدف المعرفي (المنهجي): وضع حدّ للعلم البشري: هناك أمور استأثر الله بعلمها، فلا يحق لأحد أن يسأل عن وقتها على سبيل التحدي.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {وَيَقُولُونَ}

.1الفعل المضارع "يَقُولُونَ" : يدل على الاستمرار والتكرار .ليس قولا ً مرة واحدة، بل هو ديدنهم وعادتهم في كل مجلس .فهو يصور حالة نفسية مستمرة من الاستهزاء والعناد.
.2الواو في أوله: للاستئناف أو العطف على ما سبق، كأنه يقول: بعد كل هذه الآيات والبراهين، هم مستمرون في قولهم هذا.

المحور الثاني: تحليل {مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ}

.1"مَتَىٰ" : اسم استفهام عن الزمان المستقبلي .وهم يسألون به على وجه التهكم والإنكار، وليس طلباً للعلم الحقيقي.
.2"هَٰذَا الْوَعْدُ" : الإشارة بـ "هذا" للتقريب والتحقير، كأنهم يقولون: هذا الوعد الذي تهددنا به - أي عذابٍ أو ساعةٍ هذا؟ - متى وقوعه؟ وهو أسلوب يبين استبعادهم له.
· الوعد: قد يكون وعداً بالعذاب للمكذبين، أو وعداً بالساعة والبعث.

المحور الثالث: تحليل {إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}

.1"إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" : هذا شرط تعجيزي وتحدٍ .أي هاتوا وقت هذا الوعد إن كنتم صادقين في دعواكم أن العذاب واقع أو أن الساعة آتية.
.2مغزى التحدي: هم يعلمون أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، وأن الله لم يطلعه على وقت الساعة . فيستخدمون هذا التحدي ليزعزوا صدقه لدى الضعفاء .وهذا من أساليبهم المعروفة: "لولا أنزل علينا الم لائكة" و"لولا نزلت عليه آية".

المحور الرابع: إجمال المعنى

هؤلاء المشركون يقولون للنبي والمؤمنين على سبيل الاستهزاء والاستعجال: متى سيأتي هذا العذاب أو القيامة التي تهددوننا بها؟ أعلنوا لنا عن الوقت المحدد إن كنتم صادقين في دعواكم أن العذاب سيحل بنا.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج "ظاهرة الاستعجال السلبي" (التهكم الاستعجالي): كثير من الناس عندما يسمعون بالعذاب أو العقاب يقولون: "ومتى سيحدث؟ أين هو؟" هذا السؤال ليس بحثاً عن العلم، بل تهرب من الإيمان. الآ ية تفضح هذه الحالة النفسية وتسميها: إنكاراً واستهزاءً. فالمؤمن لا يستعجل العذاب، بل يخافه.
· علاج "عقدة التحدي الفارغ": المشكك يظن أنه إذا استطاع أن يجد نقطة لا يعلمها العالم (مثل وقت الساعة) فقد أثبت عدم صدقه. الآية تنبه إلى أن هذا التحدي جاهل، لأن وقت الساعة لا يعلمه إلا الله، وعدم علم النبي بها دليل على صدقه، لأنه لا يدعي علم الغيب.
· توليد "الصبر النفسي" للمؤمن: عندما يواجه المؤمن مستهزئاً يسأل "متى هذا الوعد؟" لا ينزعج، ولا يحاول أن يتفلسف بإجابة، بل يتذكر أن هذا أسلوب المشركين القدماء، فيرد كما أمره الله.
· فضح "النفاق الفكري": الذين يطلبون آيات محددة بشروطهم، ليسوا طلاب حق، بل هم معاندون. الآ ية تجعل المؤمن حذراً من هؤلاء، فلا ينشغل بإرضائهم.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان على أن الاستفهام عن وقت الساعة لا معنى له: العقل السليم يدرك أن هناك أموراً غيبية لا يعلمها إلا الله. فسؤال الكافر عنها كسؤال طفل صغير عن موعد وفاته. هو سؤال لا يمكن الإجابة عنه ، وليس في عدم الإجابة عليه دليل على كذب الوعد.
· الرد على منطق "إن كنت صادقاً فأخبرني بالغيب": الآية تثبت أن الصدق ليس معناه معرفة كل الغيب. النبي صادق في تبليغ الوعد، لكن علم الوقت عند الله. فمنطق المشركين معكوس: هم الذين كذبوا بالوعد نفسه، وليسوا صادقين في طلب العلم.
· إثبات أن الغيب من اختصاص الله: هذه الآية تؤسس قاعدة عقلية مهمة: لا يمكن للبشر أن يطالبوا الأنبياء بمعرفة كل شيء. الغيب لله وحده.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على عدم الاستهزاء بما لا يعلمون: نعلم الطفل ألا يسأل بسخرية عن أمور غيبية، وألا يتعجل في طلب النتائج. الصبر من الإيمان.
· تربيتهم على أن الإيمان بالغيب لا يحتاج إلى توقيت: نعلمهم أننا نؤمن بالساعة والجنة والنار، حتى لو لم نعرف متى بالضبط. هذا يقوي إيمانهم بالغيب.
· تربيتهم على حسن السؤال: أن يسألوا طلباً للعلم، لا تحديًا واستهزاءً. وأن يعلموا أن هناك حدوداً للعلم البشري.
· تربية "النقد البناء" وليس "النقد الهدام": المشركون كانوا ناقدين لكن نقدهم هدام. نربي أبناءنا على أن النقد يكون لبناء وليس لهدم.

رابعاً: الرسائل العملية:

· عند سماع سؤال متعنت عن وقت العذاب أو الساعة: لا تحاول أن تتكلف إجابة، وقل كما أمر الله: "إنما العلم عند الله، وأنا نذير مبين".
· عند الشعور بالاستعجال لرؤية نتيجة عمل صالح أو عقاب ظالم: تذكر هذه الآية، واعلم أن الله له حكمة في تأخير الوعد، وأن استعجالك لا يفيد شيئاً.
· في الحوار مع الملحدين: إذا سألوك "لماذا لم يعذب الله فرعون فوراً؟" أو "متى يأتي العذاب؟"، فهذه فرصة لتعلّمهم أن علم الغيب عند الله، وأن الاستعجال ليس دليلا ً على الكذب.
· في الدعاء: قل "اللّهم لا تعجل علينا بذنوبنا، وأخر عنا العذاب إلى وقت معلوم عندك، وارحمنا".

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "تعرف على الاستعجال في نفسك": راقب نفسك: هل تستعجل أحياناً في طلب العقاب لمن أساء إليك؟ هل تقول في نفسك "متى سينتقم الله منه؟" تذكر أن الله لا يستعجل، وتوكل عليه.
.2تمرين "تفويض علم الغيب": عندما تمر بك مسألة لا تعرف إجابتها، أو تسأل عن وقت حدث مستقبلي لا تعرفه، قل: "الله أعلم بوقته" .هذا التمرين يرسخ التوكل والتفويض.
.3تمرين "رد السخرية بالحكمة": إذا سخر منك أحد وسألك "متى يحدث كذا؟"، تدرب على أن ترد بهدوء: "العلم عند الله، وأنا فقط أبلغ ما أمرت به".

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما ترى شخصاً يسأل عن أمور غيبية بسخرية (مثل: متى تقوم الساعة؟ متى يأتي المهدي؟). لا تنزعج، فهذا أسلوب قديم. تذكر الآية، وادعُ له بالهداية.
· الوقفة الثانية: عندما تتأخر استجابة دعائك، أو يتأخر نصر الله، ولا ترى نتيجة عملك الصالح. تذكر أن المشركين كانوا يستعجلون العذاب، واستعجالهم لم يغير شيئاً. فاصبر.
· الوقفة الثالثة: عندما تكون في حوار مع منكر للدين، ويطلب منك "دليلاً مادياً" على وجود الجنة أو النار. تذكر أن السؤال عن "متى" و"كيف" بالتفصيل ليس شرطاً للإيمان.
· الوقفة الرابعة: عندما يأسف المؤمنون على تأخر نصر الله. تذكر أن فرعون قال لموسى "متى هذا الوعد؟" وجاءهم العذاب حين لم يتوقعوا. فلا تستعجل.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ" : اسأل نفسك: هل أنا من هؤلاء الذين يستعجلون علامات الساعة أو العذاب؟ أم أنني خائف منه وأعمل له؟ غيّر استعجالك إلى خوف وعمل.
· عند قراءة "إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" : اسأل: هل أنا أطلب الحق أم أطلب التعجيز؟ إذا كنت صادقاً في طلب الهدى، فاسأل عما ينفعك، لا عن وقت الغيب.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: الكفار والمشركون لهم أسلوب ثابت في الاستهزاء بالأنبياء: طلب تعيين وقت العذاب.
· التطبيق: إذا سمعت أحداً يفعل ذلك، فلا تندهش، فهذه سنة كونية. تعامل معه كما تعامل النبي.
· الدرس الثاني: عدم العلم بوقت الشيء لا يعني عدم وجوده.
· التطبيق: لا تقل "لم أر العذاب إذاً لا عذاب". غيب الساعة لا يعلمه إلا الله.
· الدرس الثالث: التحدي بـ "إن كنت صادقاً" هو تحدٍ باطل، لأن الصدق لا يعني معرفة كل شيء.
· التطبيق: لا تسمح لأحد أن يحرجك بأسئلة عن توقيت أمور غيبية. قل: "الله أعلم".
· الدرس الرابع: المؤمن لا يستعجل العذاب على المكذبين، بل يدعو لهم بالهداية.
· التطبيق: ادعُ لمن يسخر من دينك، ولا تقل "اللهم عجّل بعذابهم".

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من الاستعجال إلى الصبر: ستتوقف عن استعجال النتائج) سواء خير أو شر .(ستعلم أن لكل أجل كتاباً.
.2من الانشغال بالردود الجدلية إلى التركيز على التبليغ: لن تهتم كثيراً بأسئلة المتعنتين، بل ستركز على إيصال الحق كما أمرك الله.
.3من التعلق بمعرفة الغيب إلى التفويض لله: سترتاح نفسياً لأنك لم تعد ملزماً بمعرفة كل شيء . علم الغيب عند الله، وهذا يريح بالك.
.4من الشعور بالإحباط لتأخر النصر إلى الاطمئنان: النصر آتٍ لا محالة، ولو تأخر، فلكل وعد وقت عند الله.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "تمييز السؤال الجاد من السؤال التهكمي": القدرة على معرفة من يريد الحق ممن يريد التعجيز.
· مهارة "تحديد حدود العلم البشري": معرفة أن هناك غيباً لا يعلمه إلا الله.
· مهارة "فهم السنن النفسية للمكذبين": أن الاستعجال والتحدي من صفاتهم الثابتة.

· المهارات النفسية:
· مهارة "الصبر على الاستفزاز": عدم الغضب من الأسئلة المتعنتة.
· مهارة "تفويض الغيب لله": تدريب النفس على قول "الله أعلم".
· مهارة "عدم الانجراف وراء الجدل العقيم": توفير الطاقة النفسية للأهم.
· المهارات العملية:
· مهارة "الحوار الهادف": تجنب الأسئلة التي لا تفيد، وتوجيه الحوار إلى ما ينفع.
· مهارة "الإجابة على الأسئلة الصعبة بأسلوب حكيم": مثل "أنا لا أعلم وقتها، ولكن أعلم أنها حق".
· مهارة "الدعوة بالحكمة": عدم الانشغال بالرد على كل متعنت.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد النفسي (السلوكي): تحليل ظاهرة الاستعجال والتهكم كحالات نفسية مركبة.
· البعد الحجاجي (الجدلي): بيان أساليب الخصوم في إبطال الحق، وكيفية التعامل معها.
· البعد العقدي (الإلهي): إثبات أن علم الساعة والغيب من خصائص الربوبية.
· البعد التربوي (الأخلاقي): غرس قيمة الصبر، وترك التعنت، واحترام الغيب.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة الصبر: عدم استعجال الوعد.
· قيمة الحكمة: التفريق بين الأسئلة الجادة والتهكمية.
· قيمة الإيمان بالغيب: الإيمان بما لا نرى.
· قيمة التواضع: الاعتراف بأن علم الإنسان محدود.
· قيمة الثبات: عدم الالتفات إلى الاستفزازات.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الوعد": في الآية يشمل وعد العذاب للمكذبين، ووعد الساعة.
· مفهوم "الاستفهام عن الوقت": إذا كان للتحدي والاستهزاء فهو مذموم، وإذا كان للعلم النافع فهو مباح.
· مفهوم "الصدق": الصدق لا يعني علم الغيب، بل يعني مطابقة الخبر للواقع في وقت حدوثه.
· مفهوم "أسلوب الكفار": التكذيب مع طلب البرهان بشروط تعجيزية.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "تربية الصبر على الأذى اللفظي": تعليم الطفل ألا ينزعج إذا سخر منه أحد.
· مفهوم "تربية تحديد الأولويات": ألا ننشغل بأسئلة لا تفيد.
· نفسياً:
· مفهوم "علاج التحدي المرضي": من يريد دائماً أن يحرج الآخرين بأسئلة لا إجابة لها.
· مفهوم "القبول بالحدود المعرفية": السلام النفسي يأتي من قبول أنك لا تعرف كل شيء.
· فكرياً:
· مفهوم "نقد منهجية المشككين": أنهم يخلطون بين الصدق وعلم الغيب.
· مفهوم "الغيب كأصل إيماني": أن الغيب جزء من الإيمان، وليس عيباً في الدين.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "صائب التوجه" لا يستهلك طاقته في الإجابة عن أسئلة متعنتة، ويوجه جهوده للعمل الصالح. إنسان يعلم حدوده، فلا يتجاوزها، ويتوكل على الله في غيبه.
· تنمية المجتمع: مجتمع يحترم الغيب، ولا ينشغل بالأسئلة الجدلية التي توقفه عن التقدم. مجتمع يقدر العلماء الذين يقولون "لا أعلم" في ما لا يعلمون، بدلاً من أن يتكلفوا الإجابة.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الاستعجال والتحدي" إلى عقل "الصبر والتفويض". الأمة التي

تستعجل النتائج تفشل، والأمة التي تصبر وتعمل تنجح.
· نفسياً: بناء إنسان لا يستفز بالأسئلة التهكمية، فيحافظ على طاقته النفسية للإبداع، لا للرد على كل طاعن.
· فكرياً: تأسيس "منهجية التعامل مع الأسئلة التعجيزية": لا نضيع وقتنا في الإجابة عن "متى الساعة ؟" بل نعمل لها. هذا يركز الجهد على ما ينفع.
· صناعة النهضة: لا يمكن لأمة أن تنهض وهي مشغولة بالرد على كل سؤال ساخر عن "متى النصر؟ متى العذاب؟ متى الفرج؟". النهضة تتطلب تركيزاً على العمل، وليس على الجدل حول توقيت النتائج.
الآية تعلمنا ألا ننشغل بطلب الوقت، بل بالإعداد للوقت.
--

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "عدم الانشغال بتحديد زمان الغيب" كالساعة والموت والنصر.
· تدعونا إلى "الصبر في الدعوة" وعدم اليأس من تكرار الأسئلة المستفزة.
· تدعونا إلى "التمييز بين الباحث عن الحق والمستهزئ".
· تدعونا إلى "تفويض علم الأوقات لله" والتركيز على ما كلفنا به.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند سماع سؤال متعنت: لا تغضب، وقل "الله أعلم بوقته".
· عند تأخر النصر: لا تقل "متى هذا الوعد؟" بل قل "ربنا أخرت وعدك لحكمة، فزدنا صبراً".
· عند الجدال مع ملحد: لا تنشغل بسؤاله "متى يوم القيامة؟" بل قل له "هل أنت مستعد له إذا جاء ؟".
· عند تربية الأولاد: علمهم ألا يسألوا أسئلة مستفزة، وأن يطلبوا العلم بأدب.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: تدريس "آداب السؤال" في المناهج، والفرق بين السؤال النافع والسؤال التعجيزي. تدريب الطلاب على قول "لا أعلم" دون حرج.
· في الإعلام: توعية الجمهور بعدم الانسياق وراء الأسئلة الاستفزازية حول توقيت الأحداث الغيبية. برامج تحلل سيكولوجية "المستهزئ المستعجل".
· في المساجد: خطب تذكر بأساليب المشركين في الاستهزاء، وتعليم المؤمنين كيفية الرد. دروس في "أسماء الله الحسنى" مثل "العليم" و"الخبير" وعلاقتها بالغيب.
· في الحوارات العامة: وضع قواعد للحوار: لا يسأل أحد عن توقيت شيء لا يعلمه إلا الله، ولا يتهم بالكذب من لا يعرف الغيب.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

لطالما سمعت السخرية. ربما من نفسك أحياناً، أو من غيرك. تقول: "أين العذاب الذي تهددون به؟ أين النصر الذي تعدون به؟ لقد طال الانتظار، فمتى يحدث؟"

وتشعر بالضيق، وبأنك تحت ضغط أن تثبت صدق وعد الله، وأن تجيب عن "متى".

ثم تأتي هذه الآية لترفع عنك هذا الضغط: {وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}

يا قلب...
هذا ليس سؤال من يريد الحق. هذا هو سؤال المستهزئين عبر التاريخ. سألوه نوحاً، وموسى، ومحمداً صلى الله عليهم وسلم. يريدون أن يحرجوك، أن يوقعوك في مأزق، أن يقولوا لك: "ها أنت لا تعلم متى، إذاً أنت كذاب".

لكنك تعلم الحقيقة: لا أحد يعلم متى إلا الله. والصدق ليس أن تعلم متى، بل أن تؤمن بأنه سيأتي لا محالة، وأن تعد العدة له.

يا قلب...

لا تنشغل بـ "متى". انشغل بـ "ماذا أعددت؟".
لا ترهق نفسك بالرد على كل متعنت. كل ما عليك أن تقول: "آمنت بالله ورسله، وأعلم أن الوعد حق ، ووقته عند الله، وأنا مستعد".

هذه هي الصفعة التي تسكت كل مستهزئ: الاستعداد لا السؤال عن الوقت.

يا قلب...

إذا سمعت من يقول لك: "متى ينتقم الله من الظالمين؟" فقل: "لعل الساعة قريباً، وأنا أخافها، فتب أنت أيضاً".
وإذا سمعت من يقول: "متى يدخل هؤلاء الجنة؟" فقل: "أرجو لهم الرحمة، وأسأل الله أن يجعلني وإياهم من أهلها".

دع عنك "متى". فلا فائدة ترجى منها.
اشغل نفسك بـ "كيف أكون صادقاً في إيماني، صبوراً في انتظاري، مستعداً للقاء ربي".

اللهم إنا نؤمن بوعدك ولا نستعجله، ونعلم أنك لا تخلف الميعاد. فأمهلنا برحمتك ولا تعجل علينا بعقوبتك، وأجرنا من عذابك يوم تبعث من في القبور.

رابعا

تفسير قوله تعالى

{قُلْ إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} (الملك: 26)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآية السابقة (25) حكت عن المشركين سؤالهم المستفز والمتكرر: {مَتَىٰ هَٰذَا الوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}. كانوا يسألون عن وقت العذاب أو الساعة على سبيل التحدي والاستهزاء. وهذه الآية (26) هي الجواب الإلهي المباشر، أمر الله لنبيه ﷺ أن يرد عليهم بما يقطع الجدل ويضع حداً للأسئلة التعجيزية. فالآية السابقة كانت سؤالهم، وهذه جوابه. وهي تحدد بدقة: من يعلم وقت الوعد (الله وحده)، وما هي مهمة النبي (النذارة المبينة، لا علم الغيب). وهكذا ترد الآية على منطقهم الفاسد، وتؤسس لفصل واضح بين علم الله ورسالة الرسول.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (الأمر بالقول): "قُلْ" أي قل يا محمد رداً عليهم.
· الفكرة الثانية (العلم مختص بالله): "إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللهِ" أي علم وقت الساعة والوعد ليس عندي و لا عند أحد، بل هو عند الله وحده.
· الفكرة الثالثة (تحديد مهمة الرسول): "وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ" أي مهمتي ليست تحديد الأوقات، بل إنذاركم وإبلاغكم بالعذاب القادم بشكل واضح لا لبس فيه.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات أن علم الغيب المطلق (خاصة وقت الساعة) من خصائص الله وحده، لا يشاركه فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على احترام الحدود بين علم الله وعلم البشر، وعدم التعدي عليها، و التسليم بأن ما استأثر الله به لا يسأل عنه.
· الهدف النفسي: علاج "الفضول المرضي" الذي يدفع الإنسان للسؤال عن أمور لا تعنيه، وعلاج "القلق من المجهول" بتفويض علمه إلى الله. وتحرير النبي ﷺ من ضغط المشركين وإحراجهم.

· الهدف المعرفي (المنهجي): تأسيس منهجية واضحة في الدعوة: لا تنشغل بالإجابة عن أسئلة الغيب التعجيزية، بل ركز على الإنذار والتبشير، ورد علم الغيب إلى الله.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {قُلْ إِنَّمَا العِلمُ عِنْدَ اللهِ}

1."قُلْ" : أمر للنبي ﷺ، وهو تعليم له ولأمته كيف يردون على أمثال هذه الأسئلة.
2."إِنَّمَا" : أداة حصر وقصر .تفيد أن العلم المذكور) علم وقت الوعد (محصور عند الله، لا عند غيره.
3."العِلمُ" : العلم هنا منصرف إلى علم وقت الساعة والوعد، وهو من الغيب الذي استأثر الله به .قال تعالى:} إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلمُ السَّاعَةِ) {لقمان: .(34 وليس كل علم، بل علم هذا الغيب الخاص.
4."عِنْدَ اللهِ" : أي في علمه وخزائنه، لا يعلمه أحد سواه .وهذا تأكيد لاستئثار الله به.

المحور الثاني: تحليل {وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ}

1."وَإِنَّمَا" : حصر آخر، يفيد أن مهمة النبي ﷺ محصورة في النذارة، وليست في علم الغيب.
2."أَنَا نَذِيرٌ" : النذير هو المنذر المخوف .وظيفته إنذار الناس وخوفهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا.
3."مُبِينٌ" : صفة مشددة، تفيد الوضوح والبيان والإيضاح .أي أنه ينذر إنذاراً واضحاً لا غموض فيه، ويبين لهم الطريقين بوضوح .فهو ليس نذيراً عابثاً، بل نذير يبين السبيل.

المحور الثالث: دلالة الآية

· تحديد المسؤوليات: الله يتولى علم الغيب، والرسول يتولى البلاغ المبين. وليس من حق أحد أن يطالب الرسول بما ليس في مهمته.
· الرد على التحدي: المشركون قالوا "إن كنتم صادقين فأخبرونا بالوقت". والجواب: الصدق لا يتطلب معرفة الوقت، بل يتطلب صفة النذارة، وقد قمت بها.
· القطع للجدل: لا مجال للجدل بعد هذا البيان. فإما أن تصدقوا بالنذير، وإلا فأنتم في عناد.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج "القلق من الغيب" : الإنسان يخاف مما لا يعلمه، ويكثر السؤال عن موعد الأحداث (الموت، الساعة، الكوارث). الآية تضع حلا ً جذرياً: علم هذا الغيب عند الله، لا عندك، فلا داعي للقلق منه. وظيفتك أن تكون نذيراً لنفسك (أي تخوفها) وأن تستعد، لا أن تعرف التوقيت.
· علاج "الشعور بالضغط لإرضاء المستفزين": النبي ﷺ كان يشعر بضغط من أسئلة المشركين المتكررة. الآية تريحه: لا تحاول أن ترضيهم بعلم الغيب، فليس هذا دورك. هذا يريح المؤمن أيضاً الذي يحاول إقناع كل معاند بمعجزات حسية أو معلومات غيبية.
· علاج "فضول السؤال عن التوقيت": كثير من الناس يضيعون أوقاتهم في السؤال عن "متى تقوم الساعة؟" أو "متى يأتي المهدي؟" أو "متى يكون النصر؟". الآية تردعهم: هذا العلم عند الله، فلا تشغل نفسك به. انشغل بالإنذار والعمل.
· توليد "الرضا والتسليم" لله: عندما تؤمن أن الله وحده هو عالم الغيب، تهدأ نفسك. تتفوض الأمر إليه. يزول التوتر والاستعجال. ترضى بحكمته في توقيت الأمور.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان على الفرق بين النبوة وعلم الغيب المطلق: العقل السليم يفرق بين من يبلغ رسالة ومن يعلم كل شيء. النبي بشر يبلغ عن الله، والله هو العليم بكل شيء. فالسؤال عن وقت الساعة للنبي هو سؤال في غير محله.
· الرد على منطق المشركين المعكوس: هم طلبوا من النبي أن يعلم الغيب كدليل على صدقه. والآية تثبت أن هذا المنطق فاسد. فالنبي صادق في ما أخبر به عن الغيب الذي أوحاه الله إليه (كوجود الجنة والنار والساعة)، لكنه لا يعلم توقيتها. عدم علمه بالتفاصيل لا ينفي علمه بأصل الخبر.
· إثبات أن النذارة المبينة هي أقصى ما يمكن أن يقدمه الرسول: بعد أن أنذر وبين ووضح، لم يبق عليه شيء. فإن كذبوا بعده، فهذا عناد منهم، وليس قصوراً منه.
· حصر العلم بالغيب في الله: هذه قاعدة عقلية إيمانية مهمة: لا يعلم الغيب إلا الله. فمن ادعى علم الغيب (ككهان أو عراف)، فهو كذاب. هذا يغلق باب الشعوذة والدجل.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على قول "لا أعلم" دون خجل: نعلم الطفل أن من علامات العلم أن تعترف بحدود علمك، وأن تقول "لا أعلم" عندما لا تعلم. النبي ﷺ نفسه قال "إنما العلم عند الله"، أفلا نقتدي به؟
· تربيتهم على التركيز على ما ينفع، وترك ما لا يعنيهم: السؤال عن "متى" لأمور غيبية لا يعنيهم. نربيهم على أن يسألوا أسئلة عملية: "ماذا أفعل لأكون مستعداً للساعة؟" لا "متى تقوم الساعة؟".
· تربيتهم على فهم الأدوار: لله دور (علم الغيب، تدبير الكون) وللرسول دور (البلاغ)، وللمؤمن دور (التصديق والعمل). لا يخلط بين الأدوار.
· تربية "النذير المبين" في كل مؤمن: كل مؤمن مطالب بأن يكون نذيراً لقومه وأهله، يخوفهم بالله وينذرهم من عذابه، ويبين لهم الطريق، دون أن يتكلف علم الغيب.

رابعاً: الرسائل العملية:

· عند سؤالك عن أمر غيبي لا تعرفه: قل بثقة "الله أعلم". لا تحاول أن تتكلف الإجابة فتقع في الخطأ.
· عند دعوتك للناس: ركز على "الإنذار المبين"، أي وضح لهم العواقب، وخوفهم بالله، واترك علم الغيب لله. لا تنشغل بأسئلة "متى" و"كيف" التعجيزية.
· عند مراجعة نفسك: لا تضيع وقتك في التساؤل عن موعد موتك أو موعد قيام الساعة. بل اسأل: هل أنا نذير لنفسي؟ هل أنا مستعد؟
· في الدعاء: قل "اللهم إني أؤمن بأن علم الغيب عندك، فلا تكلني إلى نفسي، وأعني على أن أكون نذيراً مبيناً لنفسي ولأهلي".

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "تفويض الغيب": كل يوم، اجلس دقيقة وتخيل أنك لا تعلم متى ستموت، ولا متى تقوم الساعة، ولا متى سيأتي النصر .ثم قل: "اللهم إني أفوّض إليك علم الغيب، وأسألك أن توفقني للعمل الصالح" .هذا يريح القلب.
.2تمرين "التركيز على النذارة": اسأل نفسك يومياً: "من أنذرته اليوم؟ من خوّفته من عذاب الله بأسلوب مبين؟" قد تكون زوجك، أولادك، أصدقائك .اجعل النذارة شعارك.
.3تمرين "كسر عادة السؤال عن متى": إذا وجدت نفسك تسأل "متى يحدث كذا؟") مثل متى يتحسن الاقتصاد؟ متى يفرج الله؟(، قاطع نفسك وقل: "العلم عند الله، ووظيفتي أن أعد العدة وأعمل".

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما تمر بأزمة ولا تعرف متى تنتهي. تذكر هذه الآية. لا تعذب نفسك بسؤال "متى". سل نفسك: هل أنا أنذرت نفسي؟ هل استعديت؟
· الوقفة الثانية: عندما تسمع أحداً يسأل عن وقت الساعة، أو عن علاماتها بتفصيل ممل. تذكر أن النبي ﷺ نهى عن ذلك، وأن هذه الآية تردع عنه.
· الوقفة الثالثة: عندما تحاول أن تقنع شخصاً عنيداً بالإسلام، ويقول لك "أرني معجزة حسية" أو "أخبرني بما سيحدث غداً". تذكر أن مهمتك هي النذارة المبينة، وليست إثبات علم الغيب.
· الوقفة الرابعة: عندما تشعر بالحيرة من كثرة التكهنات حول المستقبل (في السياسة، الاقتصاد، المناخ). تذكر أن الغيب عند الله، وأن ما عليك إلا أن تعمل بواجبك.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ" : اسأل نفسك: ما هي الأمور الغيبية التي أشغل بها نفسي ولا طائل من ورائها؟ هل أستطيع أن أتوقف عن السؤال عنها وأفوضها لله؟
· عند قراءة "وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ" : اسأل: هل أنا أنذر من حولي وأخوفهم بالله؟ وهل إنذاري واضح مبين أم فيه غموض؟ أجعل من نفسي نذيراً لأهلي.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: علم وقت الساعة والغيب المطلق مختص بالله وحده.
· التطبيق: لا تصدق من يدعي علم الغيب من الكهان والعرافين ومن يقرأ الطالع، وتبرأ منهم.
· الدرس الثاني: مهمة الرسل هي الإنذار والتبشير، وليس علم الغيب التفصيلي.
· التطبيق: في دعوتك إلى الله، لا تركز على الجدل حول توقيت الأحداث الغيبية، بل ركز على وضوح الرسالة والخوف من الله.
· الدرس الثالث: الجواب الحاسم على الأسئلة التعجيزية هو رد العلم إلى الله.
· التطبيق: تعلم أن تقول "الله أعلم" و"لا أعلم" دون حرج، فهذا من تمام العلم والإيمان.
· الدرس الرابع: الإنذار يجب أن يكون مبيناً واضحاً، لا غموض فيه.
· التطبيق: كن واضحاً في نصحك للآخرين، لا تلمح ولا تورّي، واذكر العواقب بوضوح.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من الانشغال بالغيب إلى الانشغال بالعمل: ستتحول نظرتك من "متى تقوم الساعة؟" إلى "كيف أستعد لها؟" .من "متى يأتي النصر؟" إلى "كيف أكون نذيراً حتى يستحق النصر؟"
.2من القلق والتوتر إلى الطمأنينة والتفويض: ستتوقف عن تعذيب نفسك بأسئلة "متى" و"لماذا الآن؟ " .ستفوض علم الزمان والمكان إلى الله.
.3من التكلف في الإجابة إلى التواضع في العلم: ستتعلم أن تقول "لا أعلم" بكل راحة، وهذا يوفر عليك عناء التخمين والكذب.
.4من محاولة إرضاء المعاندين إلى أداء الواجب: لن تحاول أن تقنع كل من يسألك بسخرية بمعجزات تناسب أهواءهم، بل ستؤدي دورك) النذارة (وتترك الهداية لله.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "تمييز الغيب الذي استأثر الله به": معرفة ما لا يعلمه إلا الله (وقت الساعة، ما في الأرحام ، الغد...).
· مهارة "تفويض العلم": عدم الخوض في ما لا يعلمه الإنسان.
· مهارة "التمييز بين النذارة المبينة والتنجيم".
· المهارات النفسية:
· مهارة "تحويل الفضول السلبي إلى فضول إيجابي": بدل السؤال عن متى، اسأل عن كيف أستعد.
· مهارة "تحمل ضغط الأسئلة المستفزة": الرد بهدوء بـ "العلم عند الله" و"أنا نذير فقط".
· مهارة "الرضا بالحدود المعرفية": الاعتراف بقصور العلم البشري.
· المهارات العملية:
· مهارة "الإجابة عن الأسئلة الصعبة": أسلوب "رد العلم إلى الله" ثم التركيز على دورك.
· مهارة "الإنذار المبين": التحدث بوضوح عن عواقب الذنوب والمعاصي.
· مهارة "صرف السائل إلى ما ينفعه": عندما يسأل أحد عن وقت الساعة، قل له "ما أعددت لها؟"

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد المعرفي (الإبستمولوجي): تحديد حدود العلم البشري مقابل العلم الإلهي. وتأسيس مبدأ "استئثار الله بالغيب".
· البعد الدعوي (التبليغي): تحديد منهجية الدعوة: التركيز على الإنذار المبين، وليس على الخوض في الغيبيات التعجيزية.
· البعد النفسي (العلاجي): علاج الاستعجال والقلق من المجهول.
· البعد التربوي (الأخلاقي): غرس التواضع العلمي، وترك الفضول المذموم.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة التوحيد: إفراد الله بعلم الغيب.
· قيمة التواضع: الاعتراف بأن الإنسان لا يعلم كل شيء.
· قيمة الوضوح: النذارة المبينة.
· قيمة الصدق: عدم ادعاء علم ما لا تعلم.

· قيمة الرضا بقضاء الله وقدره.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "العلم عند الله": إقرار بأن هناك علماً محجوباً عن البشر لا يعلمه إلا الله.
· مفهوم "النذير المبين": الشخص الذي يخوّف بالعذاب ويوضح الطريق بوضوح، دون غموض.
· مفهوم "حصر المهمة": لله دور، وللرسول دور، فلا تخلط.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "تربية التواضع الفكري": تعليم الطفل أن يقول "لا أعلم" و"الله أعلم".
· مفهوم "تربية التركيز على الواجب": لا تشتغل بما ليس من شأنك.
· نفسياً:
· مفهوم "القبول بالحدود": قبول أن هناك أموراً لا يمكن معرفتها.
· مفهوم "تحويل الطاقة الذهنية": من محاولة معرفة الغيب إلى العمل الصالح.
· فكرياً:
· مفهوم "منهجية التعامل مع الأسئلة التعجيزية": الرد بتحديد المهمة، لا بالخوض في التفاصيل.
· مفهوم "الفرق بين النذارة والنبوءة الزمنية": النبي ينذر بالعذاب، لكنه لا يعطيك جدولا ً زمنياً.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "واقعي متواضع" لا "فضولي متعنت". يعرف حدوده العلمية، ويؤدي دوره (النذارة) بدلا ً من أن ينشغل بالغيبيات. هذا الإنسان أكثر إنتاجية، لأنه لا يضيع وقته في المستحيل.
· تنمية المجتمع: مجتمع يوجه أسئلته نحو العلم النافع والعمل البناء، لا نحو التكهنات الغيبية. مجتمع لا يستهلك طاقته في التنبؤات والتنجيم. مجتمع يحترم العلماء الذين يقولون "لا أعلم" في ما لا يعلمون.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الانشغال بالغيب" إلى عقل "الانشغال بالعمل". النهضة تتطلب تركيزاً على الأسباب الواقعية، لا على انتظار علامات غيبية.
· نفسياً: بناء إنسان "مطمئن" لأنه فوض علم الغيب لله، و "مسؤول" لأنه يعرف أنه نذير. لا توجد عقدة الخوف من المستقبل المجهول.
· فكرياً: تأسيس "منهجية البحث العلمي" الإسلامية: ادرس الأسباب الظاهرة، واترك الغيب لله. لا تخلط بين الإيمان بالغيب والتكهن به.
· صناعة النهضة: النهضة الحقيقية لا تصنعها أمم مشغولة بالسؤال عن "متى تقوم الساعة؟" أو "متى يأتي المهدي؟" بل تصنعها أمم ترد العلم إلى الله، وتقوم بواجب النذارة والإنذار، وتعمل لدنياهم كأنهم يعيشون أبداً، ولآخرتهم كأنهم يموتون غداً. الآية تحرر الأمة من الجمود والانتظار السلبي، وتدفعها إلى العمل الواضح المبين.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "الكف عن تحديد تواريخ الأحداث الغيبية" (كموت شخص، أو قيام الساعة، أو نزول المهدي).
· تدعونا إلى "تربية أنفسنا على قول 'لا أعلم'".
· تدعونا إلى "التركيز في الدعوة على الإنذار الواضح، لا على الترهيب المبهم".
· تدعونا إلى "تفويض الغيب لله والانشغال بالواجبات".

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند سؤال أحدهم "متى تموت؟" أو "متى تقوم الساعة؟": قل: "لا يعلم ذلك إلا الله، وأنا أعمل لما بعد الموت".

· عند قراءة الأخبار عن تكهنات "نهاية العالم" في تاريخ معين: لا تصدق، وتذكر أن العلم عند الله.
· عند شعورك بالقلق من تأخر شفاء مريض أو فرج مكروب: قل "العلم عند الله، وهو أعلم بالوقت المناسب".
· عند نصح شخص عاص: كن نذيراً مبيناً، قل له بوضوح: "هذا الذنب يغضب الله، وعاقبته وخيمة". و لا تحاول أن تحدد متى سيأتيه العذاب.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: تدريس "حدود العلم البشري" في المناهج. تدريب الطلاب على المنهج العلمي الذي يعترف بالجهل في كثير من المسائل، ويقول "لا أعلم". تخصيص حصص ل-"آداب السؤال" و"الفضول المذموم".
· في الإعلام: صناعة برامج توعوية تحذر من "دجالين الغيب" (العرافين، من يقرؤون الطالع، الذين يحددون مواعيد الكوارث). برامج تربط بين هذه الآية وبين السلامة النفسية.
· في المساجد: خطب عن "أنواع الغيب: ما استأثر الله به وما أطلع عليه رسله". تذكير الناس بأن لا يسألوا عن وقت الساعة، بل عن علاماتها (كأشراط الساعة الصغرى والكبرى) دون تحديد زمني.
· في وسائل التواصل الاجتماعي: نشر هذه الآية للرد على كل من يروج لتوقعات دقيقة لنهاية العالم أو لكوارث مستقبلية. تعليم الناس أن يقولوا "الله أعلم" رداً على مثل هذه الادعاءات.
· في التوجيه الروحي: علاج حالات "وسواس الساعة" حيث يظن بعض الناس أن الساعة قد قامت أو ستقوم في وقت قريب جداً، باستخدام هذه الآية.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

لطالما أتعبتك الأسئلة. أسئلتهم وأسئلتك أنت أيضاً. "متى يحدث هذا؟ متى يتحقق ذاك؟ متى ننتصر؟ متى يشفى المريض؟ متى يرزقني الله؟"

تسأل وتنتظر، وتتعب نفسك بالتكهنات. وتحاول أحياناً أن تجيب على من يسألك، فتشعر بالضغط لأ نك لا تعلم.

ثم تأتي هذه الآية لترفع عنك حملا ً ثقيلا ً: {قُلْ إِنَّمَا العِلمُ عِنْدَ اللهِ}

يا قلب...
العلم بالغيب، علم التوقيت الدقيق، ليس عندك. ليس عند أحد. هو عند الله وحده. في لوح عنده، لا يطلع عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضى من رسول، وما أطلع عليه إلا ما شاء.

فلماذا تعذب نفسك بسؤال "متى"؟ لماذا تضيع وقتك في البحث عن أجوبة ليست عند بشر؟

{وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ}

هذا هو دورك. لست ملزماً بأن تعلم متى. أنت ملزم فقط بأن تكون نذيراً مبيناً. لنفسك أولا ً، ثم لمن حولك.

يا قلب...
أنذر نفسك: خوّفها من عذاب الله. بيّن لها الطريق بوضوح.
أنذر أهلك: لا تتركهم في غفلة.
أنذر من تقدر عليه: قل لهم كلمة حق، واترك الهداية لله.

لا تنشغل ب- "متى". لا تجادل في توقيت الغيب.
انشغل بالإنذار. انشغل بالبيان. انشغل بالعمل.

عندها ستشعر بالراحة. لن يضغط عليك أحد بأسئلة "متى"، لأنك ستجيب بكل ثقة: "العلم عند الله، وأنا فقط أنذركم".
وعندها ستتحرر من القلق، لأنك فوضت الأمر لمن يعلم.

اللهم إنا نؤمن بأن علم الغيب عندك، فاغفر لنا تقصيرنا، واجعلنا من النذر المبينين لأنفسنا ولأهلينا.

اللّهم لا تكلنا إلى أنفسنا، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وارزقنا الاستعداد ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتاك بقلب سليم.

خامسا

تفسير قوله تعالى

{فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ} (الملك: 27)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآيات السابقة (25-26) حكت عن سؤال المشركين المستعجل والمستهزئ: "متى هذا الوعد؟" وأمر الله نبيه أن يرد عليهم بأن علم وقت الوعد عند الله وحده، وأن مهمته هي النذارة المبينة. وهذه الآية (27) تأتي لتصوير مشهد يوم القيامة أو لحظة نزول العذاب بهم، حيث يُكشف لهم الغيب الذي كانوا يستعجلونه ويسخرون منه. الآية تنتقل من الجدال في الدنيا إلى المشاهدة في الآخرة. إنها إجابة عملية على سؤالهم "متى؟" ولكن ليس بالكلام، بل بالعذاب نفسه. سيرونه عياناً "زُلْفَةً" (أي قريباً)، فحينئذ تسوء وجوههم، ويقال لهم توبيخاً: هذا هو الذي كنتم به تطلبون وتستعجلون.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (رؤية الوعد قريباً): "فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً" أي عندما رأوا العذاب الذي كانوا يستعجلونه قريباً منهم لا محيد عنه.
· الفكرة الثانية (تغير الوجوه): "سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا" أي اسودت وكئبت وتغيرت من شدة الخوف والحسرة.
· الفكرة الثالثة (التوبيخ الإلهي): "وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ" أي يقال لهم على سبيل التقريع: هذا هو العذاب أو الساعة التي كنتم تستعجلونها وتطلبونها وتدّعون أنها لن تأتي.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات أن وعد الله آت لا محالة، وأن استعجال الكفار له لا يمنعه، وأنهم سيرونه ويرونه قريباً. وتصوير حالهم يومئذ ليكون عبرة وعظة.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على اليقين بأن العذاب واقع بالكافرين، والحث على العمل قبل فوات الأوان، وعدم الاغترار بضحكات الكفار اليوم.
· الهدف النفسي: علاج ظاهرة "التهكم والاستعجال" برسم عواقبها النفسية المروعة (سوء الوجوه). وتوليد الخوف المحمود في قلب المؤمن، والرهبة من يوم تسوء فيه الوجوه.
· الهدف المعرفي (المنهجي): بيان أن الجزاء من جنس العمل: كما كانوا يسألون عن الوعد استهزاءً، يقال لهم يوم القيامة توبيخاً: هذا ما كنتم تدّعون به. وكما استعجلوه، رأوه قريباً.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً}

.1"فَلَمَّا" : الفاء للسببية، و "لمّا" ظرفية بمعنى "حين" .أي فحين رأوه.
.2"رَأَوْهُ" : الضمير يعود على "الوعد") العذاب أو الساعة .(رؤية عين، لا رؤية خبر.
.3"زُلْفَةً" : مصدر بمعنى القرب، أو ظرف بمعنى قريباً .أي رأوه قريباً منهم أو رأوا العذاب قد دنا منهم .قال المفسرون: عندما يشرفون على النار يرونها زلفة .والزلفة التقرب، أي صار العذاب قريباً منهم متدنياً.

المحور الثاني: تحليل {سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

.1"سِيئَتْ" : مأخوذة من السوء والمساءة والقبح .أي قبّحت، واسودت، وتكدرت، وظهر فيها الغم و الحزن والخزي.
.2"وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا" : الوجه هو أشرف ما في الإنسان ومحل نظره وسمته، وسوء الوجه دليل سوء الباطن .والكفار هم المعنيون بالعذاب.
.3وصف الحال: يتغير لون الوجه من البياض إلى السواد أو الاصفرار، وتنقبض الملامح، وتذرف

الدموع) دموع الحسرة .(إنه مشهد جامد يصور الرعب.

المحور الثالث: تحليل {وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ}

.1"وَقِيلَ" : القائل هو الله أو الملائكة أو خزنة النار، على سبيل التقريع والتوبيخ.
.2"هَٰذَا الَّذِي" : إشارة إلى العذاب أو الساعة التي رأوها.
.3"كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ" : "تدّعون" أصله "تتدرعون" أو "تتداعون"، أي تطلبونه دعاء وتستعجلونه وتقولون "متى هذا الوعد؟" .والمعنى: هذا هو العذاب الذي كنتم تستعجلونه وتطلبونه استهزاءً، ها قد جاءكم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج "الاستهزاء المبكر" (التهاون بالعقوبات): الذين يستعجلون العذاب ساخرين، الآية تريهم نتيجة استهزائهم: ستتحول ضحكاتهم إلى عبوس، وألسنتهم التي كانت تسأل "متى؟" ستخرس يوم يرونه. هذا يخلق رادعاً نفسياً عن الاستخفاف بالوعيد.
· علاج "الإنكار المبني على التأخير" (التكذيب بسبب الغيب): الكافر يظن أن تأخر العذاب دليل على عدم وجوده. الآية تصدمه: إذا جاء العذاب ولو بعد حين، ستتغير نفسيته كلياً من الأمن إلى الرعب. هذا يزرع القلق في قلبه في الدنيا (إن كان عاقلا ً) لأنه يعلم أن العذاب قادم لا محالة.
· توليد "الخوف العميق" لدى المؤمن: رؤية سوء وجوه الكافرين يوم القيامة تذكر المؤمن بنعمة الله عليه في الدنيا والآخرة، فتزيده خشية وشكراً. ويصبح خائفاً لأجل إخوانه الكفار أو لأجل نفسه إن قصّر.
· معالجة "الظلم البصري" (أن نرى الكافر منتعشاً): المؤمن قد يحزن لرؤية الكفار في نعيم الدنيا. الآية ترده: لا تحسدهم، فوجوههم ستسوء يوم القيامة، وعندها سينقلب الحال. هذا يعزز ثبات المؤمن ويقلل حسرته على زينة الدنيا.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان على أن الاستعجال لا يغير حقيقة العذاب: العقل يقول: تأخر الشيء لا يعني عدمه. كما أن الطفل قد يستعجل موعد الامتحان، لكنه يأتي لا محالة. الآية تثبت أن حقيقة العذاب قائمة مهما استهزأوا.
· البرهان على أن الجزاء من جنس العمل: طلبهم للعذاب استهزاءً جعل توبيخهم يوم القيامة بهذه الصيغة "هذا الذي كنتم به تدّعون". إنها عدالة إلهية دقيقة.
· إثبات مشاهد القيامة الحسية: الآية تصور مشهداً بصرياً (رؤية العذاب زلفة، سوء الوجوه، القول التوبيخي). العقل يدرك أن هذه المشاهد حق، لأن الله أخبر بها، وهي ليست مستحيلة.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على عدم الاستهزاء بالوعيد الإلهي: نعلمهم أن الله جاد في وعيده، وأن الذين يسخرون من النار أو العذاب سينقلب ضحكهم بكاء. نربط في أذهانهم بين "الاستهزاء" و"سوء الوجه".
· تربيتهم على مراقبة الوجه كمرآة للقلب: نعلمهم أن الوجوه الصالحة تكون منيرة، والوجوه الكافرة تكون مسوءة. هذا يحفزهم على صلاح الباطن لأن أثره يظهر على الوجه يوم القيامة.
· تربيتهم على عدم استعجال نتائج العقوبات: الله قد يؤخر العقوبة لحكمة. الطفل الذي يرى ظالماً و لا يعاقب فوراً، نذكره بهذه الآية: "سيأتي يوم يراه فيه زلفة ويسوء وجهه".
· تربية "التذكير بالمشهد الأخير" في كل خطيئة: إذا هم العبد بمعصية، فليتذكر مشهد سوء وجهه يوم القيامة. هذا رادع تربوي قوي.

رابعاً: الرسائل العملية:

· عند سماع أحد يسأل "متى العذاب؟" استهزاءً: لا تجادل، اقرأ عليه هذه الآية، وقل له: "ستعلم إذا رأيته زلفة".
· عند الشعور بالأمان من مكر الله: تذكر سوء وجوه الكافرين، وتب إلى الله.
· عند مرورك بآيات الوعيد في القرآن: توقف وتخيل هذا المشهد، وقل "اللهم لا تجعل وجهي مسوءاً يوم القيامة".
· في الدعاء: قل "اللهم بيّض وجهي يوم تسود وجوه الظالمين، وأجرني من عذابك يوم يقال للكافرين: هذا الذي كنتم به تدّعون".

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "تخيل المشهد": أغمض عينيك وتخيل أنك ترى العذاب قريباً زلفة (أمام عينيك .تخيل وجوه الكفار وقد اسودت وعبست .ثم قل: "اللّهم إني أعوذ بك من أن أكون منهم، وأسألك أن تبيّض وجهي يوم تبيض وتأسوّ وجوه".
.2تمرين "تذكير الوجه يومياً": كل يوم عندما تنظر في المرآة، قل: "اللّهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي، ولا تسؤ وجهي يوم القيامة" .واجعل هذا التمرين يمنعك من المعاصي التي تشوه الوجه المعنوي.
.3تمرين "مراجعة الاستعجال": هل تستعجل شيئاً من العقوبات على الظالمين؟ قل لنفسك: "لعل الله يؤخر ليتوبوا، وإلا فسيرونه زلفة .لا تستعجل عليهم، وتفرغ لعبادتك".

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما ترى من يكذب بيوم الدين، ويقول "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين". لا تغضب، بل توقع في قلبك هذا المشهد، وادعُ له بالهداية، فإن لم يهتد فسيرى.
· الوقفة الثانية: عندما تمر بأزمة وتقول "متى فرج الله؟" وتستبطئ النصر. تذكر أن تأخر النصر ليس إهمالا ً، بل لعله قريب (زلفة). فلا تيأس، واسأل الله أن يريك النصر قريباً.
· الوقفة الثالثة: عندما تقع في معصية وتظن أنها لا تؤثر. تذكر "سوء الوجوه" يوم القيامة. فكل ذنب يترك أثره على وجهك المعنوي. تب الآن.
· الوقفة الرابعة: عندما ترى شخصاً مغروراً بماله وقوته، ويسخر من الدين. اعلم أن وجهه سيسوء لا محالة، فاشفق عليه، وادعُ له.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً" : استحضر أن كل وعد الله قريب، ولو بعد ألف سنة. فلا تأمن مكره.
· عند قراءة "سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا" : اسأل نفسك: هل أنا من الذين قد تسوء وجوههم؟ إن كان في عملك نقص فتب. واحمد الله على نعمة الإسلام.
· عند قراءة "وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ" : تذكر أن الله لا يخلف الميعاد. واجعلها زاجراً لك عن الاستهزاء بأي وعيد إلهي.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: الاستهزاء بالوعيد الإلهي من أشد الذنوب، وصاحبه سينقلب ضحكه بكاءً.
· التطبيق: احترم كل آيات الوعيد، ولا تستهن بها، ولا تقل "النار بعيدة" أو "العذاب ليس شديداً". بل خذها بجدية.
· الدرس الثاني: تأخر العذاب لا يعني إلغاءه، بل هو إمهال لحكمة.
· التطبيق: إذا رأيت ظالماً أو كافراً يعيش في نعيم، لا تحسده، وتذكر أن العذاب قد يكون قريباً منه غداً أو بعد سنوات، وسيسوء وجهه.
· الدرس الثالث: الوجه يعبر عن الباطن، وسوء الوجه يوم القيامة علامة الخزي والعار.
· التطبيق: حافظ على وجهك بالإيمان والعمل الصالح، حتى يبيض يوم تبيض وجوه المؤمنين.
· الدرس الرابع: الجزاء من جنس العمل: كما دعوا العذاب، قيل لهم "هذا ما كنتم به تدّعون".
· التطبيق: كن حريصاً على أن تدعو إلى الخير، ولا تدعُ على نفسك أو على غيرك بالعذاب استهزاءً ، فقد يستجاب عليك.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من الاستهتار بالوعيد إلى الجدية المطلقة: لم تعد تنظر إلى النار أو العذاب كأمر بعيد أو غير حقيقي، بل ستراه قريباً زلفة.
.2من الحسد للكافرين على زينة الدنيا إلى الشفقة عليهم: ستراهم كمن يمشي إلى حتفه وهو يضحك، فستشفق عليهم وتدعو لهم بالهداية.
.3من الغفلة عن اليوم الآخر إلى استحضاره الدائم: كل شيء في الدنيا أصبح له علاقة بهذا المشهد . ستبني قراراتك على أساس أن وجهك لن يسوء.
.4من استعجال العقوبة على الظالمين إلى التسليم لله: لن تقلق إذا لم ير الظالم عقابه فوراً، لأنك

تعلم أن له يوماً ستسوء فيه وجوههم.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "التصور البصري للآخرة": القدرة على تخيل مشاهد القيامة كما وردت في القرآن.
· مهارة "التمييز بين الإمهال والإهمال": أن تأخر العذاب ليس إلغاءه.
· مهارة "الربط بين الجريمة والعقاب" (الجزاء من جنس العمل).
· المهارات النفسية:
· مهارة "تحويل الضحك الاستهزائي إلى عبرة": استخراج العبر من سخرية الكفار.
· مهارة "الشفقة الإيمانية": أن تشفق على الكافر ولا تحسده.
· مهارة "استحضار يوم البعث": تدريب النفس على تخيل أهوال القيامة لتزجرها عن المعصية.
· المهارات العملية:
· مهارة "الدعاء ببياض الوجه": أدعية تقال في الصباح والمساء.
· مهارة "رد التوبيخ الإلهي إلى النفس": أن تتصور أن القول "هذا الذي كنتم به تدّعون" يمكن أن يقال لي لو قصّرت.
· مهارة "الوعظ بالنظر إلى وجوه الناس": ليس الحكم عليها، بل التفكر في حالها يوم القيامة.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد البصري (الفني): تصوير دقيق لحالة الكفار يوم القيامة من خلال تغير الوجوه، وهو من أقوى أساليب القرآن في التأثير.
· البعد الزمني (النفسي): الانتقال من "متى؟" (استبعاد في الحاضر) إلى "رأوه زلفة" (مشاهدة في المستقبل القريب). إبطال مفهوم "تأخر العذاب".
· البعد العقدي (الإلهي): إثبات صفة العدل الإلهي في المعاقبة، وإثبات أن وعد الله حق.
· البعد التربوي (السلوكي): غرس قيمة الخوف من الله، والبعد عن الاستهزاء، والتسليم بواقع الجزاء.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة اليقين بوعد الله: مهما تأخر، فهو آت.
· قيمة الخوف من عذاب الله: الذي يدفع إلى العمل.
· قيمة التواضع: ألا نستعجل العقوبة للغير.
· قيمة الشفقة: على الكفار الذين يسخرون وهم لا يعلمون.
· قيمة الاستعداد: للحظة رؤية العذاب زلفة.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "زلفة": القرب الشديد، يدل على أن العذاب أقرب مما يظنون.
· مفهوم "سوء الوجوه": علامة الخزي والعار والحسرة والخوف.
· مفهوم "تدّعون": الطلب والدعاء، ولكن على سبيل الاستهزاء والتكذيب.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "التربية بالتصوير المخيف" في مراحل معينة: لتخويف النفس من العذاب.
· مفهوم "الربط بين القول والعقاب": من قال "متى هذا الوعد" استهزاءً سيرد عليه بهذا القول توبيخاً.
· نفسياً:
· مفهوم "الخوف الواقعي" :الخوف من شيء سيحدث حتماً، وليس من وهم.
· مفهوم "الصدمة البصرية": رؤية العذاب بأم العين أشد تأثيراً من مجرد السماع.
· فكرياً:
· مفهوم "نقد منطق الاستعجال": الاستعجال لا ينفي الوقوع.

· مفهوم "الجزاء العادل": إظهار الندم على الاستهزاء يوم لا ينفع الندم.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "خائف خاشع" من عذاب الله، لا "ساخر مستهزئ". الإنسان الذي يعيش في رهبة من "سوء الوجه" يوم القيامة هو إنسان يعمل لآخرته، فلا يضيع وقته في السخرية والاستهزاء.
· تنمية المجتمع: مجتمع يقدّر آيات الوعيد، فيه رادع قوي من الفساد. إذا انتشرت ثقافة "سوء الوجوه" و"العذاب الزلفة"، يقل الاستهتار بالحدود والآداب. المجتمع المؤمن بهذه الآية أكثر التزاماً واستقامة.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الاستبعاد" إلى عقل "اليقين". عندما يتأكد الإنسان أن العذاب آتٍ لا محالة، يصبح أكثر جدية في عمله وأخلاقه، وهذا أساس النهضة.
· نفسياً: بناء إنسان "متزن" لا يصيبه اليأس من تأخر النصر، ولا يصيبه الغرور بتأخر العقاب. يعلم أن كل مؤجل سيأتي "زلفة".
· فكرياً: تأسيس فكرة "الموازنة بين الرجاء والخوف" في المنهج الإسلامي. لا نخاف خوفاً يشلنا، ولا نرجو رجاءً يغرنا. هذه الآية تزيد الخوف ليكون دافعاً، لا مثبطاً.
· صناعة النهضة: أمة توقن أن العذاب سيحل بأعدائها وإن تأخر، هي أمة صابرة قوية. لا تستعجل النتائج، ولكنها تعد العدة. والنهضة تحتاج إلى صبر استراتيجي، والآية تعلمنا أن النصر (أو العقاب) قد يأتي "زلفة" أي قريباً في نظر الله، فلا نيأس.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "تصديق الوعيد الإلهي" تصديقاً جازماً.
· تدعونا إلى "عدم الاستهانة بآيات الوعيد" لا في القرآن ولا في السنة.
· تدعونا إلى "التوقف عن استعجال العذاب على الظالمين" والتركيز على إصلاح النفس.
· تدعونا إلى "العمل ليوم تسوء فيه وجوه الكافرين" وتكون وجوهنا مبيضة.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند سماع من يقول "أين العذاب؟": قل له "ستعلم إذا رأيته زلفة" ولكن بلطف.
· عند النظر في المرآة: ادعُ الله أن يبيض وجهك يوم تسود الوجوه.
· عند مشاهدة مسلسل أو فيلم يصور الكفار وهم يضحكون: تذكر هذه الآية، ولا تغبطهم.
· عند الشعور بالضيق من طول فترة البلاء: قل "لعل الفرج زلفة، والله لا يخلف وعده".

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدخال مناهج تصور مشاهد القيامة (مثل هذه الآية) بأسلوب فني وتربوي، لترسيخ الخوف من الله في نفوس النشء، مع الموازنة بالرجاء. تدريس أن الاستهزاء بالآيات يؤدي إلى سوء العاقبة.
· في الإعلام: صناعة أفلام وثائقية (رسوم متحركة أو مؤثرات بصرية) لمشاهد القيامة بناءً على الأوصاف القرآنية، مع الحفاظ على الأدب، لتكون تذكيراً للناس. برامج تبين عاقبة المستهزئين عبر التاريخ.
· في المساجد: خطب تهز القلوب بهذه الآية، تصف حال الكفار يوم يرون العذاب زلفة. تذكير المصلين بأن لا يكونوا من المستهزئين بأي وجه من الوجوه.
· في التوعية النفسية: استخدام هذه الآية لعلاج حالات "الاستهتار بالعقوبات" لدى المراهقين أو الشباب، بشرح أن تأخر العقاب لا يعني عدمه، وأن يوماً ستسوء فيه وجوههم إن استمروا.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

لطالما سمعت أصوات المستهزئين. في مجالسهم، على وسائل التواصل، في أفلامهم. يقولون: "أين عذاب الله؟ أين جهنم التي تخوفوننا بها؟ إذا كان العذاب حقاً فلماذا نعيش في نعيم؟"

ربما تأثرت بهم أحياناً. ربما قلت في نفسك: "لعلهم على حق، لعل العذاب بعيد، لعل النار ليست حقيقية".

ثم تأتي هذه الآية لتصفعك بالحقيقة المرة التي سيراها كل أحد عياناً: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً}

سيرونه. سيرون العذاب قريباً، قريباً جداً. أقرب مما يظنون. ليس بعد آلاف السنين، بل في لحظة الموت، أو في مشهد القيامة، أو عند نزول العذاب بهم. سيرونه بأعينهم، وليس بأخبار.

{سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

ستتغير وجوههم. ذلك الوجه الذي كان يضحك مستهزئاً، سيصبح عابساً مكفهراً. تلك الابتسامة التي كانت تزدري آيات الله، ستتحول إلى دمعة حسرات. ذلك الوجه الناضر بالنعيم، سيصبح أسوداً كالحاً من شدة الخوف.

{وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ}

سيقال لهم: هذا هو العذاب الذي كنتم تسألون عنه مستعجلين ساخرين. ها هو ذا. هل تمنيتموه؟ هل كنتم تظنون أنه لن يأتيكم؟ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون.

يا قلب...

لا تكن من أولئك. لا تستهن أبداً بوعيد الله. لا تقل "لعل عذاب الله ليس بشديد". لا تقل "لعل النار بعيدة".

اجعل هذه الآية نصب عينيك.
إذا مر بك مستهزئ، فلا تتأثر به. اعلم أن له يوماً ستسوء فيه وجهه.
إذا أردت أن تعصي الله، تذكر سوء وجهك يوم القيامة.
إذا غبطت كافراً على نعيمه، تذكر أن وجوههم ستسوء.

وقل دائماً:
"اللهم بيّض وجهي يوم تسود وجوه الكافرين والمنافقين.
اللهم أجرني من عذابك يوم يقال للظالمين: هذا الذي كنتم به تدّعون.
اللهم اجعلني من الذين يخافون وعيدك قبل أن يروه، فيعملون بطاعتك.

فاستقم يا قلب...
ولا تلتفت إلى المستهزئين.
فالعذاب قريب، والرؤية قريبة، والندم لا ينفع يومها.

سادسا

تفسير قوله تعالى
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (الملك: 28)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

الآيات السابقة (25-27) حكت عن سؤال المشركين المستعجل والمستهزئ "متى هذا الوعد؟"، ثم أمر النبي ﷺ بأن يرد بأن علم الغيب عند الله، وأن مهمته النذارة المبينة، ثم صور الله مشهد يوم القيامه رأوا العذاب زلفة وساءت وجوههم. وهذه الآية (28) تأتي لتنتقل من الحديث عن العذاب الأخروي إلى الحديث عن قدرة الله المطلقة في الدنيا، وإفهام المشركين أن مصير النبي والمؤمنين بيد الله، وأن ذلك لا يغير شيئاً من حقيقة عذاب الكافرين. الآية تضع المشركين أمام خيارين أحلاهما مر: إما أن يهلك الله النبي والمؤمنين (وهو أمر ليس في أيديهم)، وإما أن يرحمهم. وفي كل الأحوال، من

يستطيع أن يجيرهم (الكافرين) من عذاب الله؟ الجواب: لا أحد. وهي ترد على قولهم: "إن كان محمد صادقاً فليأتنا بالعذاب الذي يهددنا به"، أو "إن مات محمد فقد استرحنا منه". الآية تقول: سواء مات محمد أو عاش، فأنتم أيها الكافرون لا مفر لكم من عذاب الله.

.2الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (الأمر بالقول): "قُلْ" أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين.
· الفكرة الثانية (الاستفهام التقريري عن الحالتين): "أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا" أي أخبروني، هل ستختلف حقيقتكم لو حدث هذا أو ذاك؟ إنه استفهام تعجيزي.
· الفكرة الثالثة (نفي المجير للكافرين): "فَمَنْ يُجِيرُ الكافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ" أي من الذي سيحميكم من عذاب الله الأليم إن هو أراد بكم سوءاً؟ لا أحد.

.3أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات أن الله هو وحده الضار النافع، المميت المحيي، وأن عذابه لا يمكن لأحد دفعه. وتفنيد أوهام المشركين الذين يعتمدون على آلهتهم أو قوتهم في دفع العذاب.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على أن مصيره بيد الله، وأن موت النبي أو بقاءه لا يغير من حقيقة الإسلام شيئاً. وتثبيت المؤمنين على أن العبرة بالحق لا بالأشخاص.
· الهدف النفسي: علاج "التعلق بالأشخاص" (كالتعلق بالنبي ﷺ بشخصه) بحيث يظن البعض أن موته يعني انتهاء الرسالة. وتوليد الطمأنينة بأن الله رحيم بعباده، وأن العذاب محصور بالكافرين.
· الهدف المعرفي (المنهجي): إقناع المشركين بأن جدلهم بشأن موت النبي ﷺ ليس له قيمة، لأن المسألة مسألة كفر وإيمان، وليست مسألة بقاء شخص أو موته.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا}

.1"قُلْ" : أمر للنبي ﷺ تعليماً للأمة.
.2"أَرَأَيْتُمْ" : أصلها "أرأيتم؟" بمعنى "أخبروني" أو "أرايتم إن كان كذا"، وهو استفهام يفيد التعجيز و التقرير .إنه تحدٍ فكري.
.3"إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ" :
· "أَهْلَكَنِيَ" أي أماتني أو أنزل بي وبمن معي عذاباً في الدنيا. وهذا رد على الذين تمنوا موت النبي ﷺ أو هلاكه.
· "وَمَنْ مَعِيَ" أي المؤمنين من أصحابه.
.4"أَوْ رَحِمَنَا" : أي أبقانا في الدنيا وأطال أعمارنا ونصرنا ورزقنا ولم يهلكنا.

المحور الثاني: تحليل {فَمَنْ يُجِيرُ الكافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}

.1"فَمَنْ يُجِيرُ" : الاستفهام للنفي والإنكار .أي لا أحد يجير.
.2"يُجِيرُ" : الإجارة هي الحماية والمنع .أي من الذي يحميكم ويمنع عنكم العذاب.
.3"الكافِرِينَ" : خطاب للمشركين، هم المعنيون.
.4"مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ" : العذاب الأليم هو الموجع الشديد .سواء كان في الدنيا) كالخسف والحاصب (أو في الآخرة.

المحور الثالث: المغزى من الآية

· قطع طمع الكافرين بنجاة أنفسهم: كانوا يظنون أن موت النبي ﷺ يعني انتصارهم، أو أن رحمة الله به قد تكون منقصة لدينهم. الآية تقول: هلاك النبي أو رحمته (حياته) لا علاقة له بعذابكم أنتم.
· التركيز على ذات الكفر، لا على الأشخاص: العذاب مستحق للكافرين سواء هلك النبي أو بقي. فلا تشتغلوا بمصيره، واشتغلوا بأنفسكم.
· إثبات القدرة المطلقة لله: الله إن شاء أهلك، وإن شاء رحم، ولا معقب لحكمه. وفي كل الأحوال، أنتم لا تستطيعون دفع عذابه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج "التعلق المرضي بالأشخاص" : بعض الناس يربطون دينهم بشخص النبي ﷺ أو أي عالم أو زعيم، فيصابون بصدمة إذا مات ذلك الشخص. الآية تعلمهم: الله هو المالك، وهو الذي يهلك ويرحم. لا تعلقوا نجاة أنفسكم ببقاء شخص. هذا يعطي استقلالية نفسية وقوة إيمانية.
· علاج "الوهم بأن موت القائد يعني هزيمة القضية": المشركون ظنوا أن موت محمد ﷺ سينهي الإس لام. الآية ترد: الله هو الذي يهلك ويرحم، والإسلام قائم به لا به. هذا يمنح المؤمنين ثباتاً نفسياً وعدم انهيار عند موت العلماء أو القادة.
· توليد "الشعور بالأمان الحقيقي" للمؤمن: إذا كان الله هو الذي يهلك ويرحم، والمؤمن تحت رحمته، فهو آمن. أما الكافر فمهما كان قوياً، لا مجير له.
· علاج "الخوف من موت الأعزاء": المؤمن يعلم أن الله هو المميت، وأنه إن رحمهم أبقاهم، وإن أماتهم فإليه راجعون. هذا يقلل من فاجعة الموت.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان على أن الإيمان لا يتعلق ببقاء النبي: العقل السليم يدرك أن صحة الدين لا تقوم على حياة صاحبه. فالمسيحيون مثلا ً يؤمنون بعيسى مع أنه مات (في زعمهم)، فكيف بالمشركين الذين يظنون أن موت محمد يبطل دعوته؟ وهذا فساد عقلي.
· الرد على المشركين الذين قالوا "إن مات محمد فقد استرحنا": الآية ترد: استراحتكم وهمٌ، فلا مجير لكم من عذاب الله سواء مات محمد أو حيي.
· إثبات أن العذاب معلق بالكفر وليس بتكذيب شخص معين: الكافر يعذب لأنه كافر، وليس لأنه كذب محمداً فقط. فإذا مات محمد، يبقى الكافر كافراً ويعذب.
· تقرير أن الله هو المالك المطلق للهلاك والرحمة: لا يملك ذلك أحد سواه. فالمشركون كانوا يعتمدون على آلهتهم في دفع العذاب، والآية تبين بطلان ذلك.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على أن الدين لله وليس لأي شخص: نعلمهم أن الإسلام هو الحق بغض النظر عن وجود النبي ﷺ أو أي شخص. يجب أن نتمسك بالدين لأن الله أمرنا، وليس لأن فلاناً لا يزال حياً.
· تربيتهم على التفريق بين "الشخص" و "الرسالة" : نحب النبي ﷺ، لكن الرسالة هي من الله. موته لا يموت دينه.
· تربيتهم على أن العبرة بالعمل وليس بالتمني: المشركون تمنوا موت النبي ﷺ. نعلم الطفل أن التمنيات لا تغير شيئاً، بل العمل هو الذي ينجي.
· تربية "التوكل على الله لا على الأشخاص": لا نعلق آمالنا على أشخاص معينين بقاءهم أو موتهم، بل نتوكل على الله.

رابعاً: الرسائل العملية:

· عند وفاة عالم أو زعيم مسلم: تذكر هذه الآية، ولا تيأس، وقل "الله يهلك ويرحم، والإسلام باق".
· عند خوفك من موت من تحب: ادعُ الله أن يرحمهم (إن شاء الله)، ولا تخف، فالله هو المحيي المميت.
· عند تهديدك بأن شخصاً ما سيهلكك: تذكر أنه لا أحد يستطيع إهلاكك إلا بإذن الله.
· في الدعاء: قل "اللهم إنك تميت وتحى، وأنت الرزاق، فلا تكلني إلى نفسي، وارحمني برحمتك التي وسعت كل شيء".

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "فصل الشخص عن الرسالة": اكتب اسم شخص تحبه كثيراً في الدين) أب، عالم، صديق .(ثم تذكر أنه إذا مات، فالإسلام باق، والله هو ربي .كرر هذا التمرين لتستعد نفسياً لموت الأعزاء.
.2تمرين "التفويض لله في الهلاك والرحمة": عندما تمر بأزمة تخاف فيها على نفسك أو على أحبابك، قل "إن يهلكني الله أو يرحمني، فله الأمر .ومهمتي أن أكون مؤمناً".
.3تمرين "تذكير الكافر بأنه لا مجير له": إذا نصحك كافر أو عاص وتهكم من دينك، تذكر هذه الآية، وقل في نفسك: "لو أراد الله بي شراً، لم يستطع هو أن يجيرني، وهو لا يستطيع أن يجير نفسه من

عذاب الله".

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما تمرض مرضاً شديداً وتخاف من الموت. تذكر أن الله إن أراد أن يهلكك فلمن تشكو؟ وإن أراد أن يرحمك فمن يمنعه؟ فاستسلم لقضاء الله.
· الوقفة الثانية: عندما ترى ظالماً قوياً يتوعد المؤمنين بالقتل. تذكر أن الله هو الذي يهلك ويرحم، وليس هذا الظالم. فلا تخفه.
· الوقفة الثالثة: عندما يموت عالم فجأة، وتشعر بحزن شديد. تذكر أن الله أرحم به، وأن العلم باقٍ في الأمة. لا تيأس.
· الوقفة الرابعة: عندما يمرض قائد الأمة أو رئيسها، ويظن البعض أن النهاية قد حلت. تذكر أن الله هو المالك، وأن الأمة لا تقوم على شخص.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ" : اسأل نفسك: هل أنا خائف من موت أحد يقودني؟ هل سينهار إيماني إذا مات؟ أستعد بقلبي لله.
· عند قراءة "أَوْ رَحِمَنَا" : اسأل: هل شكرت الله على رحمته لي بالحياة والصحة؟ هل استعملت هذه النعمة في طاعته؟
· عند قراءة "فَمَنْ يُجِيرُ الكافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ" : اسأل: هل أنا من الكافرين الذين يبحثون عن مجير من عذاب الله؟ لا، فأنا مؤمن بالله. وهل أخاف من عذاب الله إذا عملت سوءاً؟ أخاف، فأتوب.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: الله وحده هو الذي يهلك ويرحم، فلا تخف إلا منه.
· التطبيق: لا تخف من بطش الطغاة، ولا تيأس من رحمة الله. كلاهما بيد الله.
· الدرس الثاني: مصير الكافرين هو العذاب الأليم، لا مجير لهم منه مهما حدث.
· التطبيق: لا تحسد كافراً على نعيمه، فمصيره العذاب. واعمل لتنقذه بالدعوة.
· الدرس الثالث: موت النبي أو المؤمنين ليس نهاية الدين، فالله حي لا يموت.
· التطبيق: ثبّت نفسك على الدين، ولا تهتز عند موت العلماء أو القادة.
· الدرس الرابع: رحمة الله بالمؤمنين لا تمنع عذابه للكافرين.
· التطبيق: لا تتوهم أن رحمة الله بنا ستشمل الكافرين. فلكلّ ما يستحق.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من الاعتماد على الأشخاص إلى الاعتماد على الله: لن تعلق حياتك ودينك بأي شخص مهما عظم شأنه .ستعتمد على الله وحده.
.2من الخوف من موت القادة إلى الطمأنينة: ستعلم أن الأمة لا تموت بموت قائدها، بل بموت عقيدتها .فتعمل لتبقى العقيدة.
.3من الحسد للكافرين إلى الشفقة عليهم: ستراهم كمستأجرين في فندق سيفلس غداً، وليس لديهم مجير من العذاب.
.4من التشاؤم من الموت إلى الاستعداد له: ستعلم أن موتك أو حياة الآخرين بيد الله، فلا تشغل نفسك بغير العمل الصالح.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "الفصل بين الشخص والحقيقة": عدم الخلط بين حب الشخص والإيمان بالحقيقة.
· مهارة "التمييز بين هلاك ورحمة الله": معرفة أن الله يفعل ما يشاء لحكمة.
· مهارة "الاستدلال بعدم وجود مجير للكافرين".
· المهارات النفسية:
· مهارة "عدم التعلق المرضي" : القدرة على حب الأشخاص دون ربط وجودك النفسي بهم.
· مهارة "التوكل في مواجهة الخوف من الموت": تفويض أمر الهلاك والرحمة إلى الله.
· مهارة "الثبات عند الصدمات": الوفاة المفاجئة لا تهز إيمانك.
· المهارات العملية:

· مهارة "الدعاء بالرحمة للمؤمنين".
· مهارة "توجيه النصح للكافر بأن لا معين له".
· مهارة "التخطيط لاستمرارية العمل الصالح بعد موت القادة".

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد القيادي (السياسي): نقد فكرة "القائد الذي لا يموت" أو "الأمة التي تقوم على شخص واحد". ا لأسلمة تعلم أن القادة بشر.
· البعد النفسي (التربوي): علاج التعلق المرضي والاعتماد على الآخرين.
· البعد العقدي (التوحيد): إفراد الله بالإحياء والإماتة، والإجارة من العذاب.
· البعد التاريخي (النبوي): التعامل مع واقع وفاة النبي ﷺ وأصحابه.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة التوحيد: إفراد الله بالملك والإماتة والإحياء والإجارة.
· قيمة الاستقلالية: عدم التعلق بالأشخاص.
· قيمة التوكل: تفويض الأمر لله.
· قيمة الثبات: عدم الاهتزاز بموت الأعزاء.
· قيمة الرجاء: طلب رحمة الله.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "إهلاك الله" : الموت أو العذاب الدنيوي.
· مفهوم "رحمة الله" : الإبقاء في الدنيا مع الإيمان والعافية.
· مفهوم "إجارة الكافرين" : حمايتهم من العذاب.
· مفهوم "عذاب أليم" : العذاب الموجع في الدنيا والآخرة.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "تربية الثبات على المبادئ": لا تهتز بموت الأشخاص.
· مفهوم "تربية القدوة المتعددة": لا تربط الطفل بشخص واحد فقط.
· نفسياً:
· مفهوم "الاستقلالية الإيمانية" :أن يكون إيمانك مباشراً مع الله، لا عبر وسيط بشري.
· مفهوم "تقبل فكرة الموت": كحقيقة لا مفر منها.
· فكرياً:
· مفهوم "نقد فكرة القائد الخالد": في الأنظمة الوثنية والشمولية.
· مفهوم "الاستدلال بأن عذاب الكافرين ليس معلقاً على حياة النبي".

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "مستقل الإرادة" لا يذوب في شخصية قائده. إنسان يعلم أن الله هو المعطي المانع، فلا يخاف إلا منه. هذا هو الإنسان الصلب الذي لا ينهار بموت أحد.
· تنمية المجتمع: مجتمع لا يقوم على "فرد واحد" أو "زعيم أبدي". بل يقوم على مؤسسات وعقيدة. المجتمع الذي يفهم هذه الآية يكون أكثر استقراراً بعد وفاة كباره.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "تمحور الشخص" إلى عقل "تمحور المبدأ". النهضة لا تبنى على أشخاص، بل على أفكار ومؤسسات.
· نفسياً: بناء إنسان "غير هش" نفسياً. موت القائد أو العالم لا يهدم نفسه، لأنه مؤمن بالله وليس بـ الشخص. هذا الاستقرار النفسي ضروري للنهضة.
· فكرياً: تأسيس فكرة "خلود الأمة لا أفرادها". الأمة تبقى ببقاء عقيدتها وليس ببقاء أفرادها. هذا يحفز على بناء أنظمة مستدامة.

· صناعة النهضة: كثير من الحركات الإسلامية انهارت بعد موت مؤسسيها بسبب تعلق الأتباع بشخصهم. هذه الآية تعلم أن النهضة تحتاج إلى أن تكون الرسالة مستقلة عن الأشخاص. لذلك، من أسس النهضة: بناء أجيال تعرف الله مباشرة، ولا تنتظر بقاء زعيم معين. ومن أراد أمة لا تموت بموت رجالها، فعليه بتطبيق هذه الآية.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "فك الارتباط العاطفي المفرط بالأشخاص" في الدين والسياسة.
· تدعونا إلى "الإعداد لمرحلة ما بعد القادة" بتدريب جيل جديد.
· تدعونا إلى "التركيز على الذات الكافرة" بدلا ً من التركيز على النبي أو المؤمنين.
· تدعونا إلى "طلب رحمة الله" و"الخوف من إهلاكه".

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند وفاة عالم أو قائد: قل "إن يهلكه الله أو يرحمنا، فكل شيء بيده، وأنا مستمر على ديني".
· عند مرض شخص عزيز: ادعُ الله أن يرحمه، ولا تخف من موته، فالله هو الفعال.
· عند تهديد أحدهم لك بالموت: تذكر الآية وقل "لا تخيفني، فالله هو الذي يهلك ويرحم، وأنت لا تملك شيئاً".
· عند مشاهدة الكافرين في نعيم: تذكر أنهم لا مجير لهم من عذاب الله.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدراج منهج "الاستقلالية الشخصية في الإيمان" في المدارس، حتى لا يرتبط الطلاب بشخصيات معينة بشكل مطلق.
· في الإعلام: صناعة برامج عن "ما بعد القادة" وكيف استمرت الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ و الخلفاء الراشدين. تبيان أن النجاح ليس بشخص.
· في المساجد: خطب عن "حب النبي دون غلو" وعن "وجوب طاعة الله ورسوله، وليس طاعة الأ شخاص المطلقين". تذكير بأن الله هو من يهلك ويرحم.
· في التنظيمات والمؤسسات: بناء أنظمة للخلافة القيادية، وعدم الاعتماد على شخص واحد لا يمكن ا لاستغناء عنه. تدريب قادة بديلين.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

لطالما تعلقت بالأشخاص. علقت قلوبنا بالوالدين، بالأزواج، بالأبناء، بالشيوخ والعلماء، بالقادة والزعماء. وصرنا نخاف عليهم الموت، نخاف أن نموت ونفقدهم. بل وصل بنا الأمر أننا ربطنا إيماننا ببقاء شخص معين. فإذا مات، اهتز إيماننا.

ثم تأتي هذه الآية لتحررك: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا}

يا قلب... النبي نفسه، خير الخلق، يقول لك: لا تعلقني أنا مع من معي. الله هو الذي يهلك ويرحم. إذا أراد أن يموت، مات. وإذا أراد أن يبقى، بقي. ليس لي من الأمر شيء.

فكيف بغيره من البشر؟

{فَمَنْ يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}

يا قلب... العبرة ليست بحياة محمد أو موته. العبرة بحالك أنت. أيها الكافر، أيها المشرك، أيها العاصي... هل سيجيرك أحد من عذاب الله إذا جاءك؟ هل سيمنعك محمد أو غيره؟

لا أحد. فانتبه.

يا قلب...

حرر نفسك من عبودية الأشخاص. أحبهم، وقدّرهم، ولكن لا تعلق نجاة نفسك بهم. لا تخف من موتهم خوفاً على دينك. فالله حي لا يموت. ودين الله قائم بذاته.

إذا مات والدك، فالله رازقك.
إذا مات زوجك، فالله حافظك.
إذا مات عالمك، فالله هادي القلوب.
وإذا مات نبيك، فشريعته باقية إلى يوم الدين.

اطمئن. لا تخف. الله هو من يهلك ويرحم. وهو خير الحافظين. وهو أرحم الراحمين.

فاستقم يا قلب، واستقل بإيمانك، وثق بالله وحده. ولا تجعل فناء أحد، مهما عظم، سبباً في فناء نفسك.

سابعا

تفسير قوله تعالى

{قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (الملك: 29)

أولاً: مقدمة تمهيدية

1.ارتباط الآية بما قبلها:

الآية السابقة (28) كانت جواباً على تمني المشركين هلاك النبي ﷺ والمؤمنين، حيث قالت: سواء أهلكناكم أو رحمناكم، فالكافرون لا مجير لهم من عذاب أليم. وهذه الآية (29) تأتي لتنتقل من الحديث عن القدرة المطلقة (الإهلاك والرحمة) إلى الحديث عن صفة الرحمة نفسها، وتعلن إيمان المؤمنين وتوكلهم على الله الرحمن. الآية السابقة كانت تهديداً للكافرين، وهذه إعلان إيمان من المؤمنين، وتوعد للكافرين بأنهم سيعلمون من هو الضال حقاً. كما أنها رد مباشر على المشركين الذين كانوا ينكرون تسمية الله بالرحمن (كما في آية الفرقان: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ}). الآية تأمر النبي أن يصرح: هو الرحمن، آمنا به، وعليه توكلنا.

2.الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (الأمر بالقول): "قُلْ" أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين.
· الفكرة الثانية (الإعلان باسم الله الرحمن والإيمان به): "هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ" أي الله هو ذو الرحمة الواسعة، ونحن نؤمن به إيماناً كاملاً.
· الفكرة الثالثة (التوكل عليه): "وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا" أي اعتمدنا عليه في جميع أمورنا، ولم نعتمد على غيره.
· الفكرة الرابعة (الوعيد والتبكيت): "فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" أي ستعلمون يوم القيامة أو عند حلول العذاب: من هو في ضلال واضح؟ نحن أم أنتم؟

3.أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: إثبات اسم الله "الرحمن" الذي كان المشركون ينكرونه، وإثبات أن الإيمان والتوكل لا يكونان إلا على الله وحده.
· الهدف التربوي: تربية المؤمنين على الجهر بالإيمان باسم الله الرحمن، وتجديد التوكل عليه في السر والعلن.
· الهدف النفسي: علاج الخوف من المشركين ووعيدهم بالثقة بالله الرحمن، وتحويل التهديد إلى رد تهديد: أنتم ستعلمون من الضال.
· الهدف المعرفي (المنهجي): بيان معيار الضلال: من لم يؤمن بالرحمن ويتوكل عليه هو الضال المبين، وليس المؤمنون.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا}

.1"قُلْ" : أمر للنبي ﷺ، وفيه تعليم للأمة بأن يكونوا جريئين في إعلان إيمانهم باسم الله الرحمن.
.2"هُوَ الرَّحْمَٰنُ" :
· "هُوَ" ضمير الشأن، أو مبتدأ.
· "الرَّحْمَٰنُ" خبر، أو بدل. وهو اسم من أسماء الله الحسنى، يدل على سعة الرحمة لجميع الخلق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة.
· الرد على المشركين: كانوا يقولون "وما الرحمن؟" فنزلت هذه الآية لتثبت الاسم وتعلن الإيمان به.
.3"آمَنَّا بِهِ" : إيمان كامل، يشمل التصديق بوجوده وبصفاته وبكل ما جاء به رسوله .والإيمان بالله يتضمن الإيمان برحمته الواسعة.
.4"وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا" : التوكل هو الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب .تقديمه على الإيمان يدل على أن التوكل ثمرة الإيمان .والمؤمنون لا يتوكلون على آلهة ولا على جند ولا على أموال، بل على الرحمن وحده.

المحور الثاني: تحليل {فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}

.1"فَسَتَعْلَمُونَ" : الفاء للتفريع، والسين للاستقبال، أي سوف تعلمون حقيقة الأمر يوم القيامة، أو عند نزول العذاب.
.2"مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" : "مَنْ" استفهامية بمعنى "أي الفريقين"، والاستفهام للتقرير والتهديد ."ضَلَالٍ مُبِينٍ" أي واضح ظاهر لا شك فيه.
.3المعنى: ستعلمون يوم القيامة: من هو الضال الحق؟ أهو من آمن بالرحمن وتوكل عليه، أم من أشرك به وأنكر رحمته واتخذ من دونه أولياء؟
· وهو تهديد ووعيد لهم، وإعلان بأنهم هم الضالون، لا المؤمنون.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولاً: الرسائل النفسية:

· علاج "الخوف من إنكار الآخرين لأسماء الله" (التهكم الديني): المؤمن قد يشعر بالخجل أو الضغط إذا سخر منه أحد بسبب اسم من أسماء الله (مثل "الرحمن" عند المشركين). الآية تأمره أن يجهر به: "قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ". هذا يمنحه شجاعة نفسية لمواجهة السخرية.
· علاج "نزعة الاعتماد على الأسباب فقط" (التوكل الناقص): الإنسان أحياناً يتوكل على ماله، وظيفته، ذكائه، أهله. الآية تجدد التوكل على الله الرحمن وحده. هذا يحرره من قلق الاعتماد على أسباب متغيرة.
· توليد "الثقة بالنفس الإيمانية": عندما تعلن "آمنا به وعليه توكلنا"، تشعر بقوة داخلية، لأنك تعلم أن الله الرحمن معك، وأن الضلال الحقيقي في من خالفك.
· تحويل "الشعور بالضعف أمام التهديد" إلى "الشعور بالتفوق الإيماني": المشركون يهددون ويقولون "متى هذا الوعد؟". الآية ترد "فستعلمون من هو في ضلال مبين". هذا يقلب الطاولة نفسياً: أنت لست خائفاً، بل أنت على يقين أنهم الضالون.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان على أن الإيمان بالله الرحمن هو الحق، والشرك هو الضلال المبين: العقل السليم يفرق بين من يؤمن بخالق رحيم يدبر الكون، وبين من يعبد أصناماً لا تضر ولا تنفع. الآية تحسم الأمر: الضال المبين هو من لم يؤمن بالرحمن.
· الرد على من ينكر اسم "الرحمن": أسلوب "قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ" هو إعلان وتحد. فالله عرّف نفسه بهذا الاسم، فمن ينكره فهو مكذب.
· إثبات أن التوكل على الله هو معيار الهدى: من توكل على غير الله (على جند، مال، آلهة) فهو في ضلال. ومن توكل على الله وحده فهو المهتدي.
· تقرير أن نتيجة الأمور ستظهر يوم القيامة: العقل يعلم أن الحق قد يخفى في الدنيا، لكنه سينكشف يوم الجزاء.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على "الجهر بالإيمان" وعدم الخجل من أسماء الله: نعلم الطفل أن يقول بكل ثقة "الله هو الرحمن" حتى لو كان من حوله يسخرون.
· تربيتهم على "التوكل العملي" لا النظري: التوكل ليس ترك العمل، بل هو الاعتماد على الله مع

السعي. نعلمهم: توكلوا على الله، ثم اعملوا.
· تربيتهم على "عدم التسرع في الحكم على الناس في الدنيا" : قد يبدو الكافر قوياً والمؤمن ضعيفاً، لكن الحقيقة ستظهر يوم القيامة "فستعلمون". هذا يربيهم على النظرة البعيدة.
· تربية "المسؤولية عن الإعلان": الأمر "قلْ" يعني أن المؤمن مطالب بأن يكون مبشراً ومنذراً، وأن يعلن إيمانه باللسان قبل القلب.

رابعاً: الرسائل العملية:

· عند سماع أحد ينكر اسم الله أو يسخر من دينك: قل له "هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا". لا تتردد.
· عند الشعور بالخوف من المستقبل: قل "آمنت بالله الرحمن، وعليه توكلت". فهذا يطمئن قلبك.
· عند رؤية الكفار في قوة ظاهرة: تذكر "فستعلمون من هو في ضلال مبين". لا تيأس، فالعاقبة للمتقين.
· في الدعاء: أكثر من قول "اللهم إني آمنت بك وتوكلت عليك، فاهدني وارحمني".

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "الإعلان اليومي": كل صباح، قل بصوت عالٍ) أو في نفسك ("هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا" .هذا يبدد الخوف ويعزز الثقة.
.2تمرين "مراجعة التوكل": مساءً، راجع أين توكلت اليوم على غير الله) على مديرك، على مالك، على صحتك .(ثم قل: "تبت إلى الله، وعليه توكلت وحده".
.3تمرين "استباق المعرفة": عندما تشك في صحة طريقك أمام ضلال الآخرين، تذكر "فستعلمون" . تخيل نفسك يوم القيامة وأنت ترى الضالين .هذا يثبت يقينك.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما تسخر منك مجموعة بسبب دينك. تذكر أن الله هو الرحمن، وهو معك. ارفع رأسك وقلها بثقة.
· الوقفة الثانية: عندما تخاف من الفقر أو المستقبل. تذكر أنك توكلت على الرحمن، وهو أرحم بك من أمك. لا تقلق.
· الوقفة الثالثة: عندما ترى فاسقاً يزداد غنى، ومؤمناً يزداد فقراً. تذكر "فستعلمون" يوم القيامة. فلا تحسد الظالمين.
· الوقفة الرابعة: عندما تسمع خطاباً يهاجم الإسلام باسم "العلمانية" أو "التنوير". تذكر هذه الآية، وأعلن إيمانك بالرحمن.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "قلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ" : اسأل نفسك: هل أنا أخجل من ذكر اسم الله في الأماكن العامة؟ هل أتجنب قول "بسم الله الرحمن الرحيم" خوفاً من السخرية؟ قرر أن لا تخجل.
· عند قراءة "آمَنَّا بِهِ" : اسأل: هل إيماني كامل؟ هل يظهر على جوارحي؟ جدد إيمانك الآن.
· عند قراءة "وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا" : اسأل: هل توكلت اليوم حقاً على الله، أم على الأسباب؟ صحح نيتك.
· عند قراءة "فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" : اسأل: هل أنا مستعد لذلك اليوم؟ هل عملي يثبت أنني لست من الضالين؟

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: اسم "الرحمن" هو من أسماء الله العظيمة، فيجب التلفظ به والإيمان به.
· التطبيق: أكثر من قول "بسم الله الرحمن الرحيم" في بداية أعمالك.
· الدرس الثاني: الإيمان بالله لا بد أن يتبعه التوكل عليه.
· التطبيق: قبل أي عمل، قل "توكلت على الله"، ولا تيأس إذا أخفقت.
· الدرس الثالث: الضلال مبين، وسينكشف يوم القيامة، فلا تهرع إلى الحكم في الدنيا.
· التطبيق: لا تشغل نفسك بإثبات ضلال الآخرين بالجدال العقيم، بل اتركهم إلى يوم الحساب.

· الدرس الرابع: المؤمن مطالب بالجهر بالإسلام، وليس بالإخفاء.
· التطبيق: لا تكن من "المنافقين صغاراً" الذين يخفون إيمانهم خوفاً من الناس. قل الحق ولو كان مراً.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من الخجل من الدين إلى الفخر به: لن تخاف من أن تقول "أنا مسلم، أؤمن بالله الرحمن" . ستفخر بذلك.
.2من الاعتماد على البشر إلى التوكل على الله: سيزيد اعتمادك على الله، ويقل تعلقك بغيره، مما يمنحك حرية نفسية.
.3من القلق على الدنيا إلى الاستعداد للآخرة: لن تشغل نفسك كثيراً بمن يظلمك في الدنيا، لأنك تعلم أن الحقيقة ستظهر يوم "ستعلمون".
.4من الحيرة إلى اليقين: ستعلم أن الضلال الحقيقي هو من خالف الرحمن، فأيا كان شكله في الدنيا.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "التعريف بالله بأسمائه الحسنى": القدرة على شرح اسم "الرحمن".
· مهارة "التمييز بين الضلال المبين والهدى الواضح".
· مهارة "فهم التوكل" كاعتقاد وعمل.
· المهارات النفسية:
· مهارة "الشجاعة الإيمانية" : الجهر بالإيمان رغم الضغوط.
· مهارة "التوكل الفعال": الجمع بين الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله.
· مهارة "تأجيل الحكم إلى يوم القيامة": عدم الانشغال برد السخرية الآن.
· المهارات العملية:
· مهارة "الإعلان اليومي للإيمان".
· مهارة "الدعاء باسم الرحمن" في كل حاجة.
· مهارة "تحويل التهديدات إلى فرص للدعوة".

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد اللغوي (البياني): إثبات اسم "الرحمن" في القرآن، وردّ على من أنكره من المشركين.
· البعد النفسي (الروحي): ربط الإيمان بالرحمن بالتوكل عليه، مما يمنح النفس طمأنينة.
· البعد العقدي (التوحيد): إفراد الله بالإيمان والتوكل، وبيان أن من لم يؤمن به فهو في ضلال.
· البعد التربوي (الاجتماعي): تعليم المؤمنين موقفاً عملياً من الاستهزاء: الإعلان لا الصمت.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة الجهر بالحق: عدم الخوف من الناس.
· قيمة التوكل: الاعتماد على الله.
· قيمة اليقين بالآخرة: أن العلم الحقيقي سيكون يوم القيامة.
· قيمة الثبات: البقاء على الإيمان رغم التحديات.
· قيمة الرحمة: التخلق باسم الله الرحمن بالتراحم بين المؤمنين.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الرحمن" : الله ذو الرحمة الواسعة في الدنيا والآخرة.
· مفهوم "الإيمان بالله" : التصديق بوجوده وصفاته.
· مفهوم "التوكل" : الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب.
· مفهوم "الضلال المبين" : الضلال الواضح الذي لا شك فيه، وهو الشرك.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "تربية الجهر": تعليم الطفل ألا يخفي دينه.
· مفهوم "تربية التوكل": تمارين يومية على تفويض الأمر لله.
· نفسياً:
· مفهوم "الثقة الإيمانية": الثقة التي تأتي من الإيمان بالله الرحمن.
· مفهوم "مواجهة السخرية بالإعلان").
· فكرياً:
· مفهوم "معيارية الضلال": معيار الضلال هو ترك الإيمان بالله والتوكل عليه.
· مفهوم "تأجيل الحكم إلى يوم القيامة": لأن الدنيا ليست دار الجزاء النهائي.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "مؤمن متوكل جريء" لا يخاف لومة لائم، يعلن اسم الله الرحمن في كل مكان. هذا الإنسان هو قدوة لغيره.
· تنمية المجتمع: مجتمع يتسم بالجهر بالحق، والتوكل على الله، والثقة بأن الضلال مبين سيظهر. هذا المجتمع لا يعاني من عقدة الخوف أو النفاق، مما يقوي تماسكه.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الخجل من الدين" إلى عقل "الفخر بالإيمان". الأمة التي تخجل من دينها لا تنهض، والأمة التي تعلن "هُوَ الرَّحْمَٰنُ" بكل ثقة هي أمة قوية.
· نفسياً: بناء إنسان متوكل على الله لا على القوى الخارجية. التوكل يمنح الاستقلالية ويقلل التبعية. وهذا أساس النهضة.
· فكرياً: تأسيس أن "الضلال" ليس بالصورة التي يرسمها الإعلام أو الغالبية، بل بما يخالف أمر الله. هذا يحصن العقل من الانقياد الأعمى للموضة أو الأغلبية.
· صناعة النهضة: الأمة التي تقول "آمنا به وعليه توكلنا" هي أمة لا تنتظر النصر من أحد، ولا تخاف من تخلي حلفائها. توكلها على الله يجعلها تعمل بجد ولا تيأس. والجهر بـ "الرحمن" يردع كل من يحاول أن يخفي هويتها. النهضة تبدأ عندما تعلن الأمة هويتها بكل فخر.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "الجهر باسم الله الرحمن" في كل مناسبة، وعدم الخجل من التسمية الإسلامية.
· تدعونا إلى "تجديد التوكل على الله" في كل الأمور، وعدم التعلق بالقوى البشرية.
· تدعونا إلى "ترك الحكم على الناس في الدنيا" وانتظار يوم القيامة.
· تدعونا إلى "الرد على المستهزئين بالإعلان، لا بالصمت أو الخوف".

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند الاستيقاظ: قل "بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله".
· عند الذهاب إلى العمل: قل "آمنت بالله الرحمن، وعليه توكلت، وهو حسبي".
· عند مواجهة سخرية: قل بصوت واضح "هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ"، ولا تنزعج.
· عند رؤية ظلم: تذكر "فستعلمون" واطمئن أن الحق سينتصر في الآخرة.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: تدريس أسماء الله الحسنى وخاصة "الرحمن" في المدارس، وتدريب الطلاب على النطق بها دون حرج. مناهج لتربية "الجهر بالإيمان" و"التوكل".
· في الإعلام: إنتاج برامج تبرز اسم "الرحمن" وجماله، وترد على من يشوهون صورة الله. برامج تروي قصص أناس جاهروا بإيمانهم وتوكلوا على الله فنجحوا.
· في المساجد: خطب ترسخ مفهوم "التوكل على الله" عملياً (مع الأخذ بالأسباب)، وتعلم المؤمنين ألا يخافوا من كلمة "مسلم" أو "رحمن".
· في السياسة والمجتمع: بناء سياسات تقوم على التوكل على الله أولا ً، ثم على الأسباب. عدم

الخضوع لتهديدات القوى العالمية باسم "العلمانية" أو "حقوق الإنسان" التي تتعارض مع الإيمان بالله الرحمن.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (مفصلة وعميقة)

يا قلب...

كم مرة خجلت من أن تقول "أنا مسلم" بصوت عالٍ في مكان لا يعرفك فيه الناس؟ كم مرة تمنيت لو أن اسم "الله" أو "الرحمن" لا يذكر خوفاً من سخرية المستهزئين؟

ربما سمعت من يقول: "وما الرحمن؟ هذا اسم قديم"، أو "الرحمن ليس إلهاً". ربما ضاق صدرك، وقلت في نفسك: "دعني أسكت، فالجدال لا يفيد".

ثم تأتي هذه الآية لترفع رأسك عالياً: {قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ}

يا قلب... لا تخف. لا تخجل. لا تسكت. قلها بثقة: "هُوَ الرَّحْمَٰنُ". هو الله ذو الرحمة الواسعة، وسعت رحمته كل شيء. هو الذي رحمك حين كنت نطفة، ورحمك حين أخرجك إلى الدنيا، ورحمك حين أعطاك السمع والبصر والفؤاد. فكيف لا تقولها؟

{آمَنَّا بِهِ}

نعم، يا قلب. آمنا به، ليس إيماناً نظرياً، بل إيماناً يملأ الجوارح. إيماناً يمنعنا من عبادة غيره، ويمنعنا من الخوف من سواه. إيماناً نعلنه في السر والعلن.

{وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا}

لا على وسائلنا، ولا على قوانا، ولا على البشر. علينا أن نأخذ بالأسباب، ولكن قلبنا متعلق بالله وحده. إذا مرضنا، توكلنا عليه. إذا جُعنا، توكلنا عليه. إذا خفنا، توكلنا عليه. وإذا متنا، فاليه المصير.

ثم تهدد المستهزئين، وتطمئن نفسك: {فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}

يا قلب... ستعلمون أيها الكافرون يوم القيامة، أو عند الموت، أو عند نزول العذاب. ستعلمون من هو الضال الحق. هل هو من آمن بالرحمن وتوكل عليه أم من أشرك به واتخذ من دونه أولياء؟

عندها، سينكشف كل شيء. ولكن بعد فوات الأوان.

يا قلب...

اليوم، اختر ألا تكون من الضالين. اختر الإيمان الكامل بالله الرحمن. اختر التوكل عليه وحده. اختر أن تجهر بذلك ولا تخجل.

اجعل هذه الآية شعار حياتك.
اكتبها على مكتبك. رددها في صلاتك. قلتها لأولادك.
وسترى كيف تتغير نفسيتك من الخوف إلى الثقة، ومن الضعف إلى القوة، ومن التردد إلى اليقين.
ثامنا
تفسير قوله تعالى
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} (الملك: 30)

أولا ً: مقدمة تمهيدية

.1ارتباط الآية بما قبلها:

هذه هي الآية الأخيرة من سورة الملك، وهي بمثابة التاج والخاتمة المناسب لهذه السورة العظيمة

التي افتتحت بـ {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}. بعد أن تحدثت السورة عن خلق الموت والحياة (1-2)، وعن خلق السماوات السبع (3-4)، وعن عذاب الآخرة (5-11)، وعن علم الله بالسر والعلن (12-14)، وعن تسخير الأرض (15)، وعن التهديد بالخسف والحاصب (16-17)، وعن هلاك الأمم السابقة (18)، وعن الطير المسخر في الهواء (19)، وعن الجند الناصر والرازق (20-21)، وعن المشي على الصراط المستقيم (22)، وعن نعمة السمع والبصر والفؤاد (23)، وعن الذرء في الأرض والحشر (24)، وعن سؤالهم المستعجل عن الوعد (25)، وعن رد العلم إلى الله (26)، وعن سوء وجوه الكافرين يوم القيامة (27)، وعن إعلان الإيمان والتوكل على الرحمن (29).. بعد كل هذا تأتي هذه الآية (30) لتطرح السؤال الأعمق والأكثر حسية وقرباً من حياة الإنسان: الماء. إنها تنتقل من القضايا الكبرى (الخلق، البعث، العذاب، الجند، الرزق) إلى أبسط عنصر ضروري للحياة: الماء. فكما أنه لا سماء ولا أرض ولا نصر ولا رزق إلا بالله، فكذلك لا ماء إلا بالله. وهكذا تختم السورة بأبلغ دليل على حاجة الإنسان المطلقة إلى الله، وعلى أن كل ما سواه – بما في ذلك الماء الذي يبدو عادياً – هو من رحمته. إنها تذكرة بأن النعم التي نعتادها (كالماء) يمكن أن تزول في لحظة، وأنه لا أحد يستطيع إعادتها إلا الله.

2.الأفكار التي تتحدث عنها الآية:

· الفكرة الأولى (الأمر بالقول): "قُلْ" أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الغافلين.
· الفكرة الثانية (الاستفهام التقريري التهديدي): "أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا" أي أخبروني، لو أن الماء الذي تشربونه وتزرعون به وتحيون به أصبح غائراً ذاهباً في الأرض لا تصلون إليه.
· الفكرة الثالثة (السؤال عن الآتي بالماء): "فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ" أي من الذي يستطيع أن يأتيكم بماء جارٍ ظاهرٍ عذبٍ بعد أن غار وذهب؟ الجواب: لا أحد إلا الله.

3.أهداف الآية وغاياتها:

· الهدف العقدي: ترسيخ توحيد الربوبية بأبلغ دليل مادي محسوس: الماء. إثبات أن الله وحده هو الذي يمسك الماء وينزله ويسوقه، وأنه لا يقدر على ذلك أحد سواه.
· الهدف التربوي: تربية المؤمن على شكر نعمة الماء التي يعتبرها الناس عادية، وتذكيره بأن زوالها هو أعظم كارثة، فيحافظ عليها ويشكر الله عليها ولا يبذرها.
· الهدف النفسي: علاج "الغفلة عن النعم الأساسية" (كالماء)، وعلاج "الشعور بالاكتفاء الذاتي" حيث يظن الإنسان أن الماء يأتي من الصنبور أو من محطة التحلية، فينسى أن الله هو المسيّر. وتوليد الخوف من فقدان هذه النعمة.
· الهدف المعرفي (المنهجي): ختم السورة بأقرب دليل وأبسط مثال (الماء) ليكون مقنعاً لكل عاقل، وليكون تذكيراً دائمياً في كل مرة يشرب فيها الإنسان ماء.

ثانياً: التحليل المفاهيمي للآية

المحور الأول: تحليل {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا}

1."قُلْ" : أمر للنبي ﷺ وللأمة من بعده، ليكون هذا السؤال حاضراً في الدعوة.
2."أَرَأَيْتُمْ" : بمعنى "أخبروني" وهو استفهام تعجيزي وتقريري .أي أخبروني بعلمكم ورأيكم.
3."إِنْ أَصْبَحَ" : أي صار في الصباح) وهو كناية عن صيرورته ودوامه (أو صار مفاجأة.
4."مَاؤُكُمْ" : إضافة "ماؤكم" تفيد أن هذا الماء الذي تنتفعون به وتشربون منه هو ملك لكم بالانتفاع، لكن مصدره من الله .إضافة الملك للإنسان مع حقيقة أنه من الله لتكون الحجة أوقع.
5."غَوْرًا" : الغور هو الذهاب في عمق الأرض، والغائر هو البعيد الذي لا تناله الدلاء، أو الذي نضب وذهب في الأرض .المعنى: لو أصبح ماء عيونكم وآباركم غائراً بعيداً عن متناول أيديكم، لا تستطيعون الوصول إليه.

المحور الثاني: تحليل {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ}

1."فَمَنْ يَأْتِيكُمْ" : الاستفهام للنفي والإنكار والتعجيز .أي لا أحد يستطيع أن يأتيكم به.
2."بِمَاءٍ مَعِينٍ" : الماء المعين هو الماء الظاهر الجاري الذي ترونه بأعينكم، السهل المتناول، العذب الشروب ."معين" من العين أي الذي تراه العين ظاهراً، وهو نقيض الغائر.

المحور الثالث: دلالة الآية

· أبلغ مثل على الحاجة إلى الله: بعد كل ما تقدم من أدلة على القدرة، يأتي الدليل الأقرب: الماء. فبدونه لا حياة. والمشركون يعلمون أنهم لا يستطيعون إنزال المطر أو إخراج العيون بمفردهم. فكيف يشركون بالله غيره؟
· تذكير بأصل النعمة: قبل أن يكون هناك صنابير ومحطات تحلية، كان الماء يأتي من الله مباشرة. الآ ية تعيد الوعي إلى هذا الأصل.
· ختام مناسب: كما بدأت السورة بـ {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}، ختمت بـ {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} ليبقى السؤال معلقاً في الأذهان: إن كان الملك بيده، فكيف لا يكون الماء بيده؟

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

أولا ً: الرسائل النفسية:

· علاج "الغفلة عن النعمة بتوفرها" (أخطر أنواع الغفلة): أكثر الناس تغفلا ً عن نعمة الماء لأنها موجودة في كل مكان. الآية تهزهم: ماذا لو أصبح هذا الماء غائراً؟ ستتغير نفسيتك من الأمن إلى الرعب. إذاً، اشكره اليوم.
· علاج "الشعور بالاستغناء عن الله" (الاكتفاء الذاتي الزائف): الإنسان المغرور بقوته وتقنيته يعتقد أنه يستطيع توفير الماء (تحلية، حفر آبار عميقة...). الآية ترد: لو أراد الله أن يغور الماء إلى عمق لا تصل إليه حفاراتك، فمن يأتيك به؟ هذا يعيد التواضع للإنسان.
· توليد "الخوف من فقدان النعم الأساسية" (نعمة الماء): يخاف الناس من فقدان المال والوظيفة، لكنهم لا يخافون من فقدان الماء. الآية تعيد ترتيب الأولويات: أخطر فقدان هو فقدان الماء، لأنه فقدان الحياة.
· تحويل "النظرة الآلية للماء" إلى "النظرة الإيمانية": عندما تفتح الصنبور، لم تعد ترى مجرد ماء، بل ترى رحمة من الله يمكن أن تزول في أي لحظة. هذا يملأ القلب بالشكر والخشية.

ثانياً: الرسائل العقلية:

· البرهان العقلي الأقوى على وحدانية الله: الماء ضرورة للحياة. لا أحد يستطيع أن يأتي بالماء إذا غار. إذاً، المتصرف في الماء هو الله وحده. فلا معبود سواه. هذا برهان يناسب كل عاقل في كل زمان ومكان.
· الرد على الملحدين والطبيعيين: الذين يزعمون أن الماء موجود بمحض الصدفة أو بقوانين الطبيعة. الآية ترد: القوانين وحدها لا تنشئ ماءً معيناً بعد أن يغور. الفاعل هو الله. ومن ينكر ذلك، فليحاول هو أن يأتي بالماء بعد أن يغور.
· إثبات أن العجز البشري مطلق أمام الغيب والمستقبل: قد يملك الإنسان حفارات، لكنه لا يملك أن يعرف متى يغور الماء، ولا يستطيع أن يرده إذا غار. هذا يثبت حاجته المطلقة لله.
· الربط بين بداية السورة (الملك) ونهايتها (الماء): من يملك الملكوت، يملك المطر والعيون والأنهار. العقل يقول: من كان بيده كل شيء، فبيده الماء وحده.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

· تربية الأبناء على شكر نعمة الماء: قبل شرب الماء، نعلمهم أن يقولوا "بسم الله الرحمن الرحيم" و "الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً". ونذكرهم أن الله هو الذي يأتي به.
· تربيتهم على عدم الإسراف في الماء: لأن الماء نعمة قد تغور. الإسراف قلة شكر. نربط في أذهانهم بين هذه الآية وبين الحفاظ على كل قطرة.
· تربيتهم على التفكر في آيات الله البسيطة: لا نلقنهم فقط قضايا كبرى (خلق السماوات) بل نعلمهم أن يتأملوا في كأس الماء الذي يشربونه. من أين أتى؟ من الذي أخرجه؟ هذا يبني إيماناً عميقاً.
· تربيتهم على التوكل وعدم الأمن من مكر الله: لا نعيش في غرور أن مواردنا الطبيعية باقية، بل نعلم أن الله قد يزيلها في لحظة إذا عصيناه.

رابعاً: الرسائل العملية:

· عند شرب الماء: تذكر هذه الآية، وقل: "الحمد لله الذي لم يجعله غوراً، وجعله معيناً". لا تشرب وأنت غافل.
· عند رؤية الجفاف أو أزمة مياه في أي مكان في العالم: تذكر الآية، واشكر الله على نعمتك، وتصدق على المتضررين، وتوب إلى الله.
· عند فتح الصنبور: لا تعتبر الأمر عادياً. قل بقلبك: "الحمد لله على الماء المعين".

· في الدعاء: قل "اللّهم لا تجعل ماءنا غوراً، وأتنا بماء معين من فضلك، ولا تؤاخذنا بذنوبنا فتحبس عنا المطر".

ثالثاً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: كيف يكون تحويل النص إلى حركة إيمانية داخلية؟

.1تمرين "تخيل نضوب الماء": أغمض عينيك وتخيل أنك فتحت الصنبور فلم يخرج منه قطرة . فتحت الثلاجة فليس فيها ماء .ذهبت إلى البئر فوجدته جافاً .كيف ستشعر؟ أيأس؟ رعب؟ ثم قل: "الحمد لله الذي أتاني بماء معين" .هذا التمرين يزرع الشكر العملي.
.2تمرين "الشكر عند كل شربة": اجعل قاعدة: قبل أن تشرب أي ماء) في البيت، العمل، الشارع(، توقف لثانية وتذكر هذه الآية، وقل "الحمد لله".
.3تمرين "مراجعة الإسراف": في نهاية اليوم، راجع كم قطرة من الماء أسرفت فيها) إطالة الوضوء، تنظيف غير ضروري .(استغفر الله، وعاهد نفسك على الترشيد.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية تأملية من الآية في حياتنا العملية

· الوقفة الأولى: عندما تسمع في الأخبار عن جفاف بحيرة، أو نضوب نهر، أو أزمة مياه في دولة. توقف وتدبر: لو حدث هذا في بلدك، ماذا ستفعل؟ من يأتيك بالماء؟ اشكر الله على نعمتك وادعُ للمنكوبين.
· الوقفة الثانية: عندما تفتح الصنبور ويتدفق الماء بقوة. تذكر أن هذه القوة ليست من الأنابيب، بل من رحمة الله. فلا تفسد الماء، ولا تبذر.
· الوقفة الثالثة: عندما تمر بأزمة انقطاع الماء المؤقتة (ساعتين أو يوم). تذكر كيف كان شعورك بـ الضيق، ثم تخيل أن الانقطاع أبدي. من الذي سيعيده؟
· الوقفة الرابعة: عندما تشرب ماء زمزم أو ماء عين جارية. تذكر "ماء معين" الذي يراه عينك، وتذكر أن كل ماء معين هو نعمة من الله.

الأمر الثالث: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس؟

· عند قراءة "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا" : اسأل نفسك: هل أنا معرض لفقدان الماء؟ هل أعيش في غرور أن الماء لن ينضب؟ نعم، أنا عرضة، فاشكر الله.
· عند قراءة "فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ" : أجب بقلبك: لا أحد، إلا الله. ثم قل "فـالله وحده هو الآتي به ، فله الشكر والمنة".

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

· الدرس الأول: الماء هو أساس الحياة، وهو بيد الله وحده.
· التطبيق: لا تغتر بتوفر الماء، واشكر الله عليه في كل لحظة.
· الدرس الثاني: نعم الله قد تزول فجأة، فلا تأمن من مكر الله.
· التطبيق: تب من الذنوب التي قد تكون سبباً في نضوب الماء (كالظلم، الفواحش، نسيان الله).
· الدرس الثالث: عجز البشر مطلق أمام فقدان الماء، فلا يتكبروا بقوتهم.
· التطبيق: تواضع لله، واعلم أنك لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً ولا ماءً.
· الدرس الرابع: كل نعمة مهما بدت صغيرة (كقطرة ماء) هي كبيرة.
· التطبيق: لا تحتقر نعمة، واحمد الله عليها.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

.1من النظرة المادية للموارد الطبيعية إلى النظرة التوحيدية: الماء ليس مجردH2O ، بل هو آية من آيات الله ورحمة منه.
.2من الإسراف والتبذير إلى الترشيد والحفاظ: لأن الماء نعمة قد تغور، فتصبح حريصاً على كل قطرة.
.3من الغفلة الدائمة إلى الشكر الدائم: كل كأس ماء سيذكرك بـالله، فتصبح علاقتك به شكراً مستمراً.
.4من الشعور بالقوة الذاتية إلى الشعور بالعجز والحاجة إلى الله: مهما بلغت تقنيتك، فأنت محتاج

إلى ماء ينزل من السماء أو يخرج من الأرض بإذن الله.

الأمر السادس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

· المهارات المعرفية:
· مهارة "تذكير النفس بنعم الله الأساسية": القدرة على اكتشاف النعم في أبسط الأشياء (الماء).
· مهارة "التفريق بين الأسباب والمسيب الحقيقي": معرفة أن شبكات المياه هي أسباب، والمسبب هو الله.
· مهارة "فهم معنى الغور والمعين" في الجغرافيا والجيولوجيا.
· المهارات النفسية:
· مهارة "الخوف من فقدان النعمة" :الذي يدفع إلى شكرها والمحافظة عليها.
· مهارة "تحويل العادة إلى عبادة": تحويل عادة شرب الماء إلى ذكر وشكر.
· مهارة "التواضع البيئي": الشعور بأن الإنسان ليس سيد الطبيعة بل مستخلف فيها.
· المهارات العملية:
· مهارة "ترشيد استهلاك المياه": تطبيق عملي للآية.
· مهارة "شكر النعمة باللسان والجوارح": قول الحمد لله عند شرب الماء.
· مهارة "الدعاء عند انقطاع الماء": الرجوع إلى الله لا إلى السباك فقط.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

· البعد البيئي (المائي): الإشارة إلى ظاهرة نضوب المياه والجفاف، وحث الإنسان على عدم الإسراف و التفكر في موارد المياه.
· البعد الجيولوجي (الكوني): الحديث عن الماء الغائر (الجوفي) والماء المعين (السطحي أو العيون).
· البعد العقدي (التوحيد): إثبات أن الله هو مسيّر المياه ومبدئها ومعيدها، لا الطبيعة.
· البعد التربوي (السلوكي): غرس قيمة الشكر والاقتصاد في الماء.

الأمر الثاني: القيم من الآية

· قيمة الشكر: على نعمة الماء الظاهرة الباطنة.
· قيمة التواضع: الاعتراف بأن الإنسان لا يملك الماء.
· قيمة الحفاظ على النعمة: عدم الإسراف والتبذير.
· قيمة الخوف من زوال النعمة: الذي يدفع للاستقامة.
· قيمة اليقين بأن النصر من عند الله.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم "الغور" : النضوب والذهاب في الأرض، وهو دمار الحياة.
· مفهوم "الماء المعين" : الظاهر الجاري السهل، وهو رمز الحياة والرحمة.
· مفهوم "أرأيتم" : دعوة للتفكر والتأمل والاستنتاج العقلي.

الأمر الرابع: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

· تربوياً:
· مفهوم "تربية الحفاظ على البيئة": انطلاقاً من هذه الآية.
· مفهوم "تربية شكر النعمة الحسية": قبل النظر إلى النعم المعنوية.
· نفسياً:
· مفهوم "إدارة أزمة الندرة :الاستعداد النفسي لفقدان النعم.
· مفهوم "امتنان النعم الصغيرة"
· فكرياً:
· مفهوم "نظرية المعرفة البيئية": أن معرفة الله تأتي من تأمل الطبيعة.
· مفهوم "الترابط بين العبادة والبيئة": الإيمان يؤدي إلى حماية الأرض.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية

· بناء الإنسان: بناء إنسان "شكور حافظ" لا "مسرف غافل". إنسان يقدر قيمة كل قطرة ماء، ويعرف أن الحضارة تبنى على إدارة الموارد الطبيعية شكراً لله.
· تنمية المجتمع: مجتمع يحرص على ترشيد استهلاك المياه، ويبتكر في تحلية ومعالجة المياه، ويحارب التلوث، ويعلم أن الحفاظ على الماء هو تطبيق لهذه الآية. هذا المجتمع آمن من أزمات الجفاف.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان وصناعة النهضة

· ذهنياً: إعادة تشكيل العقل من عقل "الاستهلاك الجشع" إلى عقل "الإدارة الرشيدة". الماء سينضب إذا استهلك بلا شكر، وسيبقى إذا أُحسن استخدامه.
· نفسياً: بناء إنسان "خائف من العقوبة البيئية" (نضوب الماء)، فيعمل على منعها بصلاحه وتوبته وسلوكه. هذا يخلق مجتمعاً مسؤولاً.
· فكرياً: تأسيس أن "الأسباب الطبيعية" ليست مستقلة عن السببية الإلهية. فالفيزياء تخبر كيف يتبخر المطر، لكن الإيمان يخبر من ينزله.
· صناعة النهضة: النهضة الحقيقية لا تأتي من مجرد استخراج النفط، بل من إدارة قطرة الماء. الأمة التي تغتر بمواردها الطبيعية فتنضب هي أمة تنهار. والأمة التي تشكر الله على الماء وتترشده وتحافظ عليه هي أمة تنهض. هذه الآية تحدد أساس النهضة: ليس الملك، ولا الجند، ولا الرزق فقط، بل "الماء المعين". ومن عرف قيمته واستدامه بالشكر والاستقامة، فقد بنى قاعدة نهضته.

خامساً: الدعوات والتطبيقات العملية المعاصرة

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية؟

· تدعونا إلى "ترشيد استهلاك المياه" في المنازل والمزارع والمصانع.
· تدعونا إلى "شكر نعمة الماء" بقلوبنا وألسنتنا وجوارحنا.
· تدعونا إلى "التوبة من الذنوب" التي قد تكون سبباً في حبس الماء (قال تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا}).
· تدعونا إلى "الابتعاد عن الإسراف" في الوضوء والاغتسال والنظافة.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا اليومية؟

· عند شرب الماء: قل "الحمد لله الذي جعله معيناً عذباً، ولم يجعله غوراً أجاجاً".
· عند الوضوء: تذكر هذه الآية، ولا تسرف في الماء (أي تغلق الصنبور بين الغسلات).
· عند رؤية المطر: احمد الله، وقل "اللهم سقياً نافعاً، واجعله ماء معيناً لا غوراً".
· عند زيارة منطقة جافة: تذكر نعمة الله عليك بالماء، وتصدق على أهلها.

الأمر الثالث: كيف يكون تجسيد الآية في واقعنا المعاصر؟

· في التعليم: إدخال "ترشيد استهلاك المياه" في المناهج الدراسية، مع ربطه بهذه الآية. عمل مسابقات مدرسية عن "الماء نعمة لا تبذر".
· في الإعلام: صناعة إعلانات توعوية عن أزمة المياه العالمية، وتنتهي بهذه الآية "فمن يأتيكم بماء معين؟". إنتاج أفلام وثائقية عن "الجفاف" كعقوبة إلهية للأمم السابقة.
· في المساجد: خطب الجمعة في الصيف (خاصة في أوقات الجفاف) تذكر بهذه الآية، وتحث على التوبة والاستغفار لإنزال المطر. تعليم الناس "فقه الماء" في الإسلام.
· في السياسة والزراعة: توجيه خطط التنمية إلى الحفاظ على المياه، وتحلية المياه، وري النباتات بطرق غير مبذرة (كالري بالتنقيط)، واعتبار ذلك تطبيقاً لهذه الآية.
· في المؤسسات الدينية: توزيع كتيبات وملصقات بعنوان "لو أصبح ماؤكم غوراً" لتذكير الناس.

وأخيراً... رسالة إلى قلبك (خاتمة السورة)

يا قلب...

وصلنا إلى نهاية سورة {تَبَارَكَ الذِي بِيَدِهِ المُلكُ}. سورة هزتك من أولها إلى آخرها. سورة أرتك عظمة الله في خلقه، وقهره لعباده، ورحمته بهم، وعلمه بأسرارهم، وحاجتهم المطلقة إليه.

رأيت فيها الطير يسبح في الهواء، والأرض تمور، والنار توقد، والوجوه تسوء. وتذكرت فيها النعم: السمع، والأبصار، والأفئدة، والمشي على الصراط المستقيم.

ثم وصلت إلى الخاتمة. إلى العقد الذي يجمع كل شيء: الماء.

نعم، الماء. ذلك السائل الذي لا تلتفت إليه عادة، تفتح الصنبور فيخرج، فتشرب وتتوضأ وتغسل، وتمر الأيام وأنت لا تشعر.

ثم تأتي هذه الآية كالصاعقة الأخيرة: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ}

يا قلب...
تخيل لو أن كل صنابير العالم جفت فجأة. تخيل لو أن الأنهار تحولت إلى تراب. تخيل لو أنك فتحت فمك عطشاناً في صحراء قائظة، ولا قطرة. تخيل أن طفلك يبكي عطشاً وأنت لا تستطيع أن تقدم له شيئاً.

من الذي سيعيد لك الماء؟ شركات المياه؟ الحفارات؟ الأمم المتحدة؟ لا، لا أحد. إلا الله.

إنه السؤال الذي يلخص كل شيء. إن لم تكن معه، فأنت لا شيء. وإن كنت معه، فأنت في رحمة واسعة.

يا قلب...
هذا هو الرحمن الذي أعلنت إيمانك به وتوكلت عليه في الآية السابقة. هو الذي أتاك بالماء المعين. هو الذي لم يجعله غوراً. فاشكره.

هذا هو الملك الذي بيده الملك في أول السورة. هو الذي يملك مفاتيح خزائن الأرض والماء.

إذاً، لا تخف بعد اليوم.
اطمئن. الله معك. وهو الذي يأتيك بالماء إذا غار، وبالرزق إذا انقطع، وبالنصر إذا تأخر، وبالهداية إذا ضللت.

اختم تلاوتك لهذه السورة بقلب خاشع، ولسان شاكر.
قل: "الحمد لله الذي جعل ماءنا معيناً، ولم يجعله غوراً.
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.
اللهم تب علينا، وارحمنا، واغفر لنا، واجعلنا من عبادك الصالحين، واجعل خاتمة أعمالنا خيراً، وخاتمة آجالنا إيماناً، واجمعنا بمن نحب في جنات النعيم."

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

.